

الدكتور كمال السامرائي



# حديث الشمانيين

الجزء الاول

الى الأستاذ المساعد  
مدير المخرج  
ع. السعد

في كربلاء  
١٩٩٩/٢/٢٥

وزارة الثقافة والاعلام

---

دار الشؤون الثقافية العامة  
بغداد - ١٩٩٤

الدكتور كمال السامرائي

**حديث الثمانين**

**سيرة وذكریات**

( الجزء الاول )

كُنْتُ لَهُ هَذِهِ الْمَذَكِرَاتِ لِنَفْسِي وَلِأَوْلَادِي ،  
وَمِنْ رِجْلِي مَنْ أَهْلِي وَمَنْ رَحْلِي

كَمَارِ السَّامِرِيِّ

## مقدمة لا بد من قراءتها

هذه ذكريات كتبت أكثرها من الحافظة ، غير أنني لم أدخل فيها إلا ما هو واضح لديّ الى حد اليقين ، وأدخلت قسماً آخر منها مما اعتدت أن أسجله على جذاذات بإشارات ولغوز عن خواطري وأحداث أيامي منذ أوائل حياتي التي وجدت فيها نفسي ميالاً لتسجيل تلك الذكريات ، وفي ذاكرتي منذ ذلك الحين خزين ضخم عن سنيّ حياتي الأولى ، وأعمالي في مهنتي الطبية فيما بعد ذلك ، يبعث بعضها في نفسي السرور والفخر ، وبعضها يثير فيّ الندم والغم والخجل . وكان أغلب هذا الشطر الأخير جراء العجالة التي كانت تركبني حين أشعر بضرورة المنافسة العلمية وحب التميّز ، وانتهاز القرص .

وقد تملكنتني منذ بدء تسجيل ذكرياتي نزعة قوية الى أن أكون صريحاً قدر وسعي ، وواضحاً دون مواربة ، وأن لا أدخل فيها ما فيه الإدعاء بصواب أفكارٍ وتصرفاتي وأعمالي ، مع أنني مقتنع ان أية سيرة ذاتية لا يحتمل أن يتحاشى كاتبها أشياء من هذا القبيل . كما قررت أن أتجنب الكلام عن القضايا السياسية . وركّزت في هذه الذكريات على ما كان عندي من أفكار في حقل اختصاصي الطبي ، وذكر بعض الحالات المرضية التي لها مغزى خاص في ممارسة المهنة أو ما لهذه الحالات من علاقة في الحياة العامة . ولا أدعي أنني اجتماعي وذو معشر أكثر من زملائي الأطباء ، ولا عالم باختصاصي إلا بمستوى بعض منهم في هذا الاختصاص ، وقد أكون وسطاً بين من انغمس في بحوثه وأعماله الطبية ، وبين من جمع الى هذه المهنة هوايات أخرى كالآدب ودراسة التاريخ ، أو العمل بالتصوير الفوتوغرافي ، أو بتربية الزهور والحيوانات اليتية ، لذلك تضمنت هذه المذكرات كثيراً من الأمور العابرة التي تحدث في حياة أي شخص ، مغموراً كان أو مشهوراً ، كما

نصنت أمورا أخرى لا تدور إلا في حياة من يمارس صناعة الطب أو معالجة الأمراض النسائية بالتخصيص ، ولهذا قد يسر في هذه الذكريات ما هو نافع لا متعة فيه لغيري ، غير أن وقائعها بأي حال من صنع يدي ، أو بوحى من فكري ، وهذا ما يبرر إدخالها في هذه الأوراق التي أعدها بهذه النظرة ، قد كتبتها لنفسى في الدرجة الأولى ثم لزوجتي ولأولادي وأفراد أسرتي الآخرين . وقد قيل أن « من يكتب تاريخ حياته فكأنه يعيش حياته مرتين » ، ومن لا يريد أن يعيش حياة الصبا مرة أخرى ؟

وقد كتبت هذه المذكرات بحسب تسلسلها التاريخي من السنين والأشهر والأيام ، وقد يقع فيها خطأ في ضبط هذه التواريخ ولكن ليس في مضامينها مثل ذلك . . . كما أهملت ذكر تاريخ وفيات الأشخاص ، ذلك لأن مذكراتي كتبت وأكثرهم في قيد الحياة . ويحصل في هذه المذكرات أن لا يتكسل المتحدث عن بعض الأشخاص أو الأحداث في زمن محدد ، فأذكر أولها في تاريخ وأعود لأكمل الموضوع في تاريخ لاحق ، وسوف أشير إلى هذا التقطيع لكي لا يأتي السرد مبتورا أو بنهاية غير واضحة .

وهدي من التمسول في مذكراتي هو أن أجعلها متعة للقارئ الطيب ولغير الطيب أيضاً . وأنا في الوقت نفسه لا أدعي أن فيها فوائد علمية أو عملية من خالص أفكارى وتجاربى ، كما لا أزعم أن فيها فلسفة أفرد بها وحدي ، أو عمل جليل يستحق تسجيله للعبرة والتاريخ ، كما يفعل رجال الفكر وقادة الشعوب . وبالرغم من أنني حاولت جهدي أن لا أكتب أمرا مما يزيد من متعة القارئ أو إفادته ، غير أنني أخفيت مضطرا الكثير مما له علاقة بشخصية المرأة ونفسيته حين تمرض ، كما تجنبت سرد الأدوار التي لعبها الحق والحق في حياتي وحياة زملائي على الرغم من ضرورة التعرض لها بقدر ما يتطلبه سياق الأحداث ، ورسم صورة واضحة لشخصي ولغيري ، ودوداً كت أو مخلصاً أو مشاكساً ، ولذلك خلت بعض موافقي وخطوات مسيرتي في هذه الذكريات من التفسير والتبرير ، فبدأ السياق في بعضها



متقطعاً أو مبهاً • كذلك تحاشيت ذكر ما ينتقص من خصوصيات زملائي ومعارفي التي وقعت عليها رواية أو عياناً إلا القليل منهم وبحذر شديد ، وحسن نية ، ومع ذلك اطلب من هؤلاء المعذرة إذا ضاعت صدورهم بصراحتي • وقد ذكرت أسماء بعضهم بحرف أو بحرفين ، وحاوت أن لا يكون معرفة مدلول أي منهما سهلاً • واهتلت دهر الألقاب والكنى وسنة من توفي منهم • وادخلت في أول هذه الذكريات نبذة عن حياتي أيام الطفولة التي وعيتها ، وأيام الصبا التي أذكرها بوضوح ، ومعلومات عن جغرافية مسقط رأسي سامراء وتاريخها ، وقد يكون هذا الجزء الأخير من ذكرياتي غير ممتع للقارئ غير أنه ضروري لوضعي في الصورة التي خطتها الأقدار لحياتي • ولا شك أن تلك الحقبة نالت هي الأساس الذي قامت عليه ، وتكونت منه شخصيتي بما فيها من مناقب ومثالب •

أما الذي سجلته عن حياتي كطالب جامعي أو كطبيب ممارس أو تدريسي في تلبه طب بغداد ، فإنه جزء من تاريخ هذه الكلية ، بل من تاريخ العراق الحديث بشكل عام ، وتسجيله ضروري قبل أن يلفه النسيان والضياع ويغويه التراب •

وجعلت هذه الذكريات بموجب ما تقدم خمسة أقسام ، الأول منها في حياة الطفولة والصبا في سامراء ، والقسم الثاني في أيامي بالمدرسة المتوسطة في الحلة ، والقسم الثالث في أيامي بالمدرسة الإعدادية المركزية ببغداد • وكرست القسم الرابع لسني حياتي بكلية طب بغداد ، أما القسم الخامس فجعلته لما بعد التخرج في الكلية ، وفي ممارسة الطب وتعليمه بكلية الطب • وأدخلت في هذا القسم الأخير بعض الخطوات التي مشيتها في تجاربي في الطب النسوي ، والمبادرات التي أدخلتها فيه •

وعسى أني بهذا الكتاب أضفت معلومات على تاريخ الطب والأطباء في بغداد الحديثة ، والله الحمد وحده ومنه العون والرضا •

الدكتور كمال السامرائي

## القسم الاول

سامراء القديمة والحديثة ، وأسرتي ودراستي الاولى فيها

اروي ما يأتي عن أبي رحمه الله :

بعد أن أقام جدي ( محمد أغا ) صلاة الظهر مدّ ذراعه اليمنى وطوى طرف سجادته الى جانبه الأيسر ، وتربّع على ما بقي تحته منها . ثم نادى على ولده الأكبر ( توفيق ) وهو أبي ، وطلب منه أن يقعد أمامه ، ثم دسّ يمينه في جيب ( زبونه ) وأخرج منه ورقة فكّ ملياتها وقرّبها من عينيه ليقرأ ما هو مكتوب فيها . وكانت هذه الورقة رسالة حملها إليه ( الكروان ) من كركوك قبل يوم واحد ، وقرأها بينه وبين نفسه أكثر من مرة ، ورأى أن يقرأها مرة أخرى أمام ولده ( توفيق ) الذي قعد أمامه طائعا في انتظار أوامره . قال جدي يخاطب أبي توفيق :

— أريد أن أزوّجك يا ابني !

وسكت جدي ، أما أبي فقد أعقلت لسانه هذه المفاجأة مما سمعه من أبيه ، إذ لم يكن زواجه موضع بحث بينهما في يوم من الأيام ، فضلا عن أن أبي كان ما يزال بعد في منتصف العقد الثاني من عمره ، لذلك ذهّل وحار في ما يجب أن يقوله لأبيه ، وأي موقف يتخذه ، أما جدي فلم ينتظر رداً من ابنه توفيق ، وفي حسابه أن ما عرضه على ولده هو أمنية في غاية ما يرجوه الأبناء من الآباء . كما كان يديهياً لدى جدي أن لا يناقش الابن الإرادة الأبوية ، فخفض أبي رأسه حياءً أو امتناناً ، واكتفى بالتعقيب عن موقفه بقوله :

— نعم يا أبي .



وسكت ، أما جدي فاستطرد يقول :

— المكارى ( صالح السماعيل ) يعود الى كركوك صباح يوم الجمعة ،  
يعني ( وبدأ يعدّ بأصابعه ) بعد خمسة أيام وأنت وأختي زينب وعسك  
حسن تسافرون معه ، وهناك في كركوك ابن عسي ( ويس ) يساعدك في إتمام  
مراسيم الزواج من حنيفة بنت السيد عبدالله • والعم الذي أشار إليه جدي  
هو أبو المرحوم مفتي كركوك الشيخ رضا اغندي واعظ جامع (بريادي) حتى  
أواخر العهد الملكي في العراق ، وهو أيضاً صاحب المدرسة الدينية المعروفة  
باسمه في تلك المحلة بقلعة كركوك •

وسافر أبي الى كركوك وعاد الى سامراء بعروسة التي هي أمي ، وتمّ  
زواجهما بحفل عائلي متواضع • ولم يكن بين أبي وعروسة سابق تعارف ،  
ولا رأى أحدهما الآخر ، وهي حالة مألوفة في زمانها • وكثيراً ما يخطر ببالني  
بعد أن علمت بطريقة تلك الحطبة والمجيء بالعروس الى سامراء ، ما حدث  
في تلك الرحلة المصيرية ، والشقة بين سامراء وكركوك قد تستغرق أكثر من  
نهار وليلة ، فكيف كان أبي يداري خطيبته ويعنى بها أثناء ذلك الطريق  
الطويل ، وأي شعور تار في نفس كليهما حين كان أبي يمسك زندها ليعينها  
على ركوب الدابة أو الترحل عنها ؟



كان جدي ربع القامة ، ويرتدي الجبّة ، ويعتمر طربوشاً أبيض يلفّ  
حوله بما يشبه (الكشيده) التي يرتديها من يحج بيت الله الحرام ، على أن  
جدي لم يكن من بين هؤلاء • وهو ابن حسن بن أحمد بن حجي ويس بن  
حسن بن صالح • ويروي لي الشيخ حبيب الخيزران عن أبيه أن بيت جدي  
كان من بيوت سامراء القديمة ، وأن أبي ( توفيق المحمد ) كان ذا شأن أيام  
الحكم العثماني بسامراء • كما توفرت لي معلومات أن أسرتي من عشيرة  
بني جميل التي سكنت الحدود العراقية السورية وكان منهم ( بنو أسد ) •  
ولأسباب معاشية تفرق أفراد بيت أبي جدي فمنهم من سكن العمارة ومنهم

من رحل إلى كركوك ومنهم من أئر البقاء في سامراء • وكان سكان كركوك يتحدون اللغة التركية شأن كثير من سكان العراق في العهد العثماني ، ومن يتكلم بهذه اللغة كان يعرف ( باسم الكردي ) فلما عاد جدي إلى سامراء أطلق عليه اسم ( الكردي ) بينما هو لا يعرف من اللغة الكردية كلمة واحدة • وزوج جدي من إمرأة عبيدية دون عقب منها ، وبعد وفاتها تزوج أختها فأنجب منه خمسة أولاد وابنتين ، وكان أبي أكبرهم جميعاً •

ويروي شيوخ سامراء أن جدي كان نهما ورعا يقيم الصلاة بأوقاتها ، ويقول أبي أنه بينما كان جدي في ليته صيف ظمأ يتفقد الأبريق ليتوضأ لصاراة النجر زلت قدمه وكان يومها شحاً عتياً فسقط على الأرض ودثت عظام متوضد وتوفاه الله بعد أيام قليلة •

وقد سكن أبي وأعمامي في محلة واحدة ، وفي بيوت متقاربة وقريبة من بيت جدي • ولم تكن يومئذ في سامراء مدارس بل فيها كتاب لتعلم قراءة القرآن الكريم ، وهذه أيضاً قليلة جداً • فتعلم أبي قراءة القرآن على أعلام رشيد الدوري ، كما تعلم عليه الكتابة على لوح صقيل من المعدن الخفيف باستعمال أقلام القصب ، وممداد أسود مصنوع من مسحوق العفص والملح وسخام القدور محلوقة بالماء • وكان الذين يعرفون القراءة والكتابة يومئذ قلة ويخاطبهم الناس بلقب ( الأفندي ) • وثقافة هؤلاء الأفندية ضئيلة جداً ليست أكثر من القراءة والكتابة • مع ذلك ، كان الناس ينظرون إليهم بشيء من التقدير ، وتعتمد عليهم الحكومة العثمانية في توظيفهم في بعض دوائرهم ، فعل أبي مستنطقاً في دوائر الشرطة ، وارتدى البزة الخاصة بهذه الوظيفة وقوامها السترة والسروال والنطاق المذهب و( الكلاو ) الرمادي اللون والمخاطى بالهلال والنجمة المصنوعتين من معدن أبيض براق •

أما أمي ( حنيفة ) بنت السيد عبيد الله ، فيدعي أهلها وآخرون ممن يعرفون أيها أنها من نسل السيد جميل ( بكسر الجيم ) صاحب الضريح

السواحل الخريب من مدينة مكة من جهة الجنوب ، وريبه ، وريبه ، وريبه  
يسعد الناس ويبركون بها ويرصدون بها ، وريبه ، وريبه ، وريبه  
جدارها ، بستانها ، وريبه ، وريبه ، وريبه ، وريبه ، وريبه  
انفسه .

وأمي من أبي مديته لا تنوها إدمه صلاه السبح ود الصلوات  
الأخرى . وحين وسيت على نفسي وجدتها عتيبة صارمة مع إخوتي  
وأخواني . وديته ، يا أبا ، أليست وعظامة وطافته ، على أنها ذات عروة  
على من يصرق باب من نساء وأصحابين ، ود نسي موصيهم بـ  
وفي غيب . وب سهر رمضات ، وعيددين . وجمير بدور يضرب  
دانت بداوي العيون ارمدة والرببة ، وهي تصنع دواها على نحو عريب  
قد كوت احده من ما أبي دانت قد نوبت نبي مودي ، سحبه مي  
بيضا دجاجة وثقب فشرتها في احد فسيها ، ونسر فيها من خلال هذا السب  
فيلا من لبن نساء ترضع بنت ( لا ولدا ) ثم يضع هذه البيضة في مكان  
امين سوحه الشمس طيبة ايام الصيف ، فاد جفت محتوياتها بعد ذلك  
صحها وحفظت ذرونها في درورة صغيرة تستعملها علاجا للعيون المريضة .  
ودنت أمي بعمل دس إحسابا لوجه الله تعالى ، والله وحده يعلم لم اضررت  
عيون الناس بهذه المعالجة وكم سمعت منهم !

وكان أبي وأمي دوما على وفاق ، ولا يختلفان على أمر ذي أهمية يعكر  
سكينة البيت وراحه من فيه . على أن أمي ذات بشكل شام أكثر سيطرة  
على إخوتي وأختي ، وعلى أبي أحيانا ، إلا مرة واحدة سمعتها تعارض  
موقف أبي عرفته حالا أنه يتعن بزواج أختي ، سمعتها حين دخلت  
البيت علما من المدرسة ، تقول :

— اسمعني يا أبا مجيد ، الرجل طيب وأبوه من أصحابك  
وسمعت أبي يقول لها :

— لا يعيدي لكلام في هذا الموضوع ورأيي النهائي الرفض ، وابن عمها

هو الزوج الطبيعي والملائم لابتك يا أم مجيد •

فقلت أمي :

— ابن عمها صغير وليس في سن الزواج •

فاجابها بحزم :

— يكبر ، يا أم مجيد •

وبدا لي أن أمي سم قننت بما قاله أبي فانسحبت الى المطبخ وعلى

وجهها كل علامات عدم الرضا •

★ ★ ★

وقد أنجبت أمي من أبي خمسة أولاد وثلاث بنات ، وكنت أنا أصغرهم

جميعاً ، أما أولهم فاسمه (شكر) وقد دفن حياً وهو بعمر عشر سنين تحت

أنقص جدار في دارنا حين كان العمل يهدمون إحدى حجرات البيت

لتوسيعها • ولم أخطر أبي بهذا الحادث المفجع لم تنفعه الهرولة الى مكانها

إلا ليشاهد كف ابنه في آخر حركتها بين الحجرة وكأنه بتلك الحركات

يودع الأهل والدنيا الى الأبد •

مدينة سامراء

الخليفة المنصور بالله المتوفى سنة ٢٢٧هـ / ٨٣٣م هو الذي بنى هذه

المدينة ، واتخذها عاصمة لدولته • ومع انها بقيت مأهولة منذ ذلك التاريخ ،

غير انها تدهورت بسرعة غريبة منذ نقل الخليفة العباسي المعتمد على الله

المتوفى سنة ٢٧٩هـ / ٨٩٢م عاصمة دولته من سامراء الى بغداد ، ولم تسترجع

سامراء تكوينها الاجنماعي إلا في القرنين الأخيرين ، وبصورة تدريجية

بطيئة •

وقع سامراء على بعد مائة وعشرين كيلومتراً شمالي بغداد ، ومكانها

على مرتفع قريب من شاطئ دجلة الشرقي • ويبدو هذا النهر لمن يقف

على ذلك الشاطئ الصخري العالي وكأنه ينظر الى قعر بئر عميقة. والصخور التي على هذا الشاطئ كتل ضخمة من حصى كبيرة وصغيرة بتلاحم شديد ، وقد انفصلت فيما مضى من الازمان عن مواضعها فسقطت بثقل هائل على ساحل النهر فغاص بعضها في مائه وارتدى بعضها الآخر على الأرض العالية التي تنحدر الى النهر ، كما في بعض كتل الصخور التي لم تسقط في شقوق لا تنفذ الى طول مسكها . ولا يعرف كم مضى عليها من السنين دون أن يكتمل انفصالها كما انفصلت الكتل الأخرى .

وفي شمال هذا المجرى من النهر ينساب الماء بسرعة على أرض حصباء تسمى (الببى) وسرعة الماء عليه لا تساعد على أن تعيش فيه إلا الأسماك الكبيرة كالشبوط الأحمر والبز ، وصيدها ويبيعها أحد الاعمال التي يعيش عليها بعض قليل من أهل هذه المدينة .

ومنطقة سامراء غنية بآثار مؤسسيها الخليفة المعتصم بالله وابنه المتوكل على الله ، وكثير من هذه الآثار لا تزال شاخصة وبحالة جيدة الى الوقت الراهن ، من بينها وأشهرها ( المسجد الجامع ) ومثذته (الملوية) التي تعلو قمته عن الأرض باثنين وخمسين متراً وهي أعلى المآذن الإسلامية على ما أعلم . وقد تكون هذه المئذنة قد استخدمت مرصداً لمشاهدة القادمين الى المدينة من بعيد . ويكون الصعود إليها من مدرب يلتف حولها على عكس دوران عقربي الساعة حتى يصل الى قمته التي يسميها السامرائيون (الجاون) ولا يذكر السامرائيون شخصاً كبيراً أم صغيراً سقط من مدرب ( الملوية ) إلا رجلاً اكتشف بعد ذلك أنه من مجائين دار الشفاء في بغداد ، وقد خرج ليومه معافى على ما زعم هو نفسه ليلقى حتفه بسقوطه من الملوية . كما تمارس بسيطات النساء العقيمت رمي عباءتهن من ( الجاون ) الى الأرض فإن افتحت العباءة قبل وصولها الى الأرض استبشرون باحتمال الحمل في يوم قادم .

ومن آثار العبد بن أيضاً ( دار الخلافة ) المطلة على نهر دجلة من  
 - - - - - و بركة المتوكل ، وتل ( العليج ) ، وغير هذه آثار كثيرة قد  
 - - - - - على الثلاثين أو الأربعين وجميعها على الضفة الشرقية من نهر  
 دجلة بـساء ( الصليبية ) وقصر العاشق ( المعشوق ) الذي أقامه الخليفة  
 العباسي المعتمد قبلة دار الخلافة في الجانب الغربي من سامراء .



و كانت سامراء في أيام صباي دائرية المساحة ، ومحاطة بسور ضخ  
 البين ، وله أربعة أبواب أغلق الباب الجنوبي منها في زمن لم أدركه في  
 عسري بجدار من الحجارة ، فاكسب منذ ذلك اليوم اسم ( الباب الملطوش ) .  
 أما باب بغداد فهو منفذ في شرق سامراء ، وقد تكون هذه التسمية قد  
 جاءه من كونه مخرجاً للكراس المسافرين الى بغداد والعائدين منها الى  
 سامراء . أما باب ( الناصرية ) فهو المدخل الشمالي من المدينة ومنه يدخل  
 المزارعون الى المدة ليعوا فيها محاصيلهم الزراعية ، ولا يعرف أصل هذا  
 الاسم . ويعرف باب الرابع باسم القاطون ( القاطول ) وهو الباب الذي  
 يدخله التدمون من بغداد بالنقار الذي يقف عند قرية « القلعة » في  
 الجانب الغربي من نهر دجلة . وتسمى نهاية الطريق الذي يتحدر من هذين  
 البابين الى نهر دجلة بشريعة الناصرية وشريعة القاطون . وكانت المداخل  
 الثلاثة التي ذكرها حتى أواخر الثلاثينات من هذا القرن تسد ليلاً بأبواب  
 ضخمة وثقيلة مصنوعة من خشب شجر الجوز الصلب ، ومغلقة بصفائح  
 سبيكة من الحديد . ولا يعرف بصورة دقيقة وموثقة تاريخ تشييد سور  
 المدينة ، ومن أثق على بنائه إلا أنه بالتأكيد ليس من أعمال العباسيين بل  
 من - - - - - هؤلا بقرون .

وما يحدث به ( المكارى ) المعمر السيد رمضان الدوري ، انه في يوم  
 من الأيام ، وهو في طريقه من قرية ( الدور ) الى ( بلد ) لشراء التمر من هذه



المدينة ، طرق سمعه أن ثمة حيلة عمل دأبها لسور سامراء (بالسجدة) ،  
 فصر يتعد بدوابه عن حدود سامراء ويجذبها ليلاً ليتنادى أخذه الى  
 اشاركه في بناء السور . ويقول سيد رمضان ان عمره يومئذ كان بحدود  
 العشرين سنة . وكان سيد رمضان حين أدركت حيانه يدخل بيتنا وهو يضرب  
 بعصاه حصى أرض مدخل البيت ، فتستبميه أمي حتى يحضر أبي ليتناولوا  
 معاً طعام الغداء . وكان رمضان يومئذ صغير الحجم محدودب الظهر ،  
 أدرد ، يدرخن البغ بغليون مصوع من الطين المزجج بلون السنجاب .  
 وتأمرني أمي أن أمرس له ثريد التشريب ليسهل عليه ازدراده ، ثم يأمرني  
 أبي بعد الانتهاء من تناول غدائه أن أغسل يديه . وكنت أكره أشد الكره  
 ان أفعل ذلك ، ولكن أين لي الجراءة على أن أرفض طلب أبوي . ولا أذكر  
 متى توفي سيد رمضان ، وقيل انه بلغ من العمر مائة وعشرين سنة .

أما المعبر الآخر الذي أدرك بناء سور سامراء فهو ( جواد الحمامة ) ،  
 وكان مزاماً لسيد رمضان ، ويدعي أنه كان من جيلة من شارك في بناء  
 السور . وقد يكون تاريخ بناءه في الثلث الاول من القرن التاسع عشر ،  
 وقيل ان الذي أثنق على تشييده محسن ابراني وقيل بل هي سيدة هندية .  
 الحاضرة العسكرية :

يتوسط مدينة سامراء ضريحاً الإمامين العاشر والحادي عشر علي  
 الهادي وابنه الحسن العسكري . وقد أقيم بناء الضريحين بحدود مطلع  
 القرن التاسع عشر .

وتعلو الضريح العسكري قبة ضخمة جبلة الهندسة ، ومكسوة  
 حجارتها بصفائح من الذهب . وعلى مدخل هذه الحاضرة مئذنتان رشيقتان  
 سامقتان مزيتان بالفسيفساء الزاهية الألوان . وباحة الحضرتين واسعة  
 محيط بها من كل الجهات ، ومرصوفة بحجر الحلان الموصلاني . كما يحيط  
 ساحة سور فوامه عدد كبير من الأواوين ، ولها أربعة أبواب أوسعها هو

الجنوبي من الباحة ، وهو المدخل إليها من ( سوق سامراء الكبير ) • ويعلو هذا المدخل طاق تتدلى من قمته سلسلة ضخمة الحلقات وبلون الذهب ، يضطر الداخل الى باحة الضريح أن يخفض رأسه ليجنب رأسه الاصطدام بها ، وبهذه الحركة ينحني الداخل الى الباحة ليؤدي دون وعي منه التحية الواجب تأديتها لصاحبي الضريح • كما تعلو هذا الباب قبة منشورة الهندسة تحمل ساعة كبيرة تسمع دقاتها بالتوقيت الاسلامي ( الزوالي ) في جميع نواحي المدينة وأطرافها ، في الأحوال الجوية الاعتيادية • ولا تزال هذه الساعة تعمل بدقة وانتظام الى اليوم الراهن ، ورنين دقاتها يوحى بعمرها الطويل وبالحنمة والروح الديني •

وعلى يمين مدخل هذا الباب ايوان محصن بشباك من الحديد ، وبداخله ثلاثة حباب كبيرة ، ومن وراء هذه الشباك يقعد على كرسي وطيء رجل بدين يداور مياه الحباب ويمسلا الطوس النحاسية من مائها ليقدمها للعطاشى حين يمدون أيديهم من خلال فجوات الشباك •

وكان هذا الرجل الذي يقعد على الكرسي الوطيء ذا وجه مخيف موخش كأنه من السباع التي تتحفز لافتراس طريدة • وبوما اختفى هذا الرجل وعرفنا حين ذاك أن طبيب سامراء الهندي ( حسن خان ) قد أمر بإبعاده الى مجذمة العمارة حين تأكد من إصابته بالجذام ، وقد أخذ عنوة من مسكنه بالرغم من وساطة علماء المدرسة الايرانية بسامراء لابقائه •

وقرب من ضريح الحسن العسكري شمالاً وضمن مجمع الحضرة العسكرية يقع المسجد الكبير بسامراء ، تعلوه قبة ضخمة مكسوة بالقاشاني المزجج والمحلى بالزخارف والنقوش بأشكال في غاية الابداع • والى جانب المدخل الى هذا المسجد باب تنحدر منه درجات من الرخام الأبيض الى ( سرداب الغيبة ) وفي قعر هذا السرداب كووة غير عميقة محصنة بآطار من خشب الساج محفور على ضلعه الأيمن اسم الخليفة الناصر لدين الله العباسي

سنة ٦٠٦ هـ . ويعتقد بعض البسطاء من الناس أن الإمام الثاني عشر . صاحب الزمان (مهدي) ابن الحسن العسكري قد اختفى عن طريق هذه الكوفة .

١٠٠٠ سمراء :

سمراء عشيرة النكوين والقبائل ، وتجمع العشيرة عادة في حارة واحدة من المدينة ، أو في مكان زراعي مما حولها قريب أو بعيد عنها ، ونعرف لهذا السب حارات وأراض بأسماء ساكنيها من العشائر ، فكان منها محلة ابو بدرى . ومحلة ابو باز ، ومحلة ابو عباس ، ومحلة ابو نيسان وغير هذه المحلات . ويتكابر السامرائي باتمائه الى العشيرة التي ينحدر منها . كما نسب السامرائي عادة الى أبيه بعد إضافة (أب) التعريف الى اسم أبيه فيقال كمال التوفيق وعباس المحمد ، وعباس الجونة ، وجاسم العلي الأكبر ، ومهدي العرنة وغير ذلك من الأسماء .

ولا تعرف أية عشيرة أقدم من غيرها في سمراء ، ولا بد أن أياً منها قد انحدر من رحل جاء إليها من مكان ما فنسل أبناءً وأحفاداً حتى صار منهم عشيرة . باسم ذلك الأب الأعلى . كما دخل سمراء بعد ذلك أقوام من مدن مجاوره لسمراء كالدور بشكل خاص وتكريت ، غير أن أكثر هؤلاء الازحين إليها احتفظوا بنسبتهم الى مدنهم الأولى مع انهم تعايشوا مع أهل سمراء كما لو أنهم من هذه المدينة .

والأكبر من أهل سمراء والعشائر المحيطة بها يعملون بالزراعة إما على مياه المزار (الدم) أو بزرعون (الخضراوات) في فصل الصيف بالداليات (البكرات أو الكرواد) أو بسكائر ضخ ماء دجلة الى الأراضي العالية . ولكل عشيرة أرضها الخاصة بها يتوارثونها جيلاً بعد جيل .

وتتفاخر العشيرة بعدد نفوسها وشرف أعمالها ، وقوى رجالها، وتنحدر

هذه العصبية الى صبايا المدينة وأولادها ، فيتقاتلون فيما بينهم باستعمال العصي أو رمي الحصى بالمقلع ، على ان التوادد والتزواج بين أفراد العشائر المخلفة غير نادر ، فيكون جميع أفراد عشيرة الزوجة أخوالاً لأبناء الزوج .

**النساء في سامراء :**

المرأة السامرائية متحفظة جداً داخل بيتها وخارجها ، وتبالغ في تحجبها إذا خرجت من بيتها ، فتبسس الواحدة منهن عباءتين واحدة فوق الأخرى ، تحلل إحداها على كتفها لتطول حتى تغطي قدميها ، وتحمل الأخرى على رأسها لتسدل فوق الأولى . ولا بد من (يوشية) حجاب تغطي به وجهها لتخفي معاملة المحرمة . ويحدث التزاور فيما بين كبيرات نساء سامراء في أوقات ما بعد الظهر في العادة ، والأمهات والعجائز هن طرف هذه اللقاءات حصراً .

والمرأة بأي عمر ، لا تدخل السوق ، ولا تقف على أبواب الدكاكين بأي حال ، وفي أي وقت . والرجل هو الذي يشتري حاجيات البيت يوماً بيوم . وباعة الأقمشة النسائية يبعثون بنماذج بضاعتهم الى نساء البيوت ليخترن ما يفضلنه منها .

والزوجة السامرائية طائعة لزوجها حباً وخوفاً ، ومحافظة للعهد معه صبراً ووفاءً ، وتبقى إذا ترمّلت تلبس السواد طوال حياتها بعد ذلك . ولم تكن تباع في سامراء ملابس نسائية جاهزة بل تخاط ملابس النساء بأيدي نساء البلدة المحترفات لهذه المهنة .

وقبل تأسيس اسالة الماء بسامراء سنة ١٩٣٢ كان كثير من نساء المدينة تنقل الماء من نهر دجلة بقرب يحملنها على ظهورهن أو على ظهور الحمير ، الى بيوتهن أو الى بيوت مخدميهن الموسرين . كما كان في كل بيت رحي لطحن حبوب الحنطة ، وتنور لخبرها ، ولم تدخل ماكنات الطواحين سامراء إلا في أواخر العشرينات .

## بيوت السكن في سامراء :

وبيوت سامراء متلاصقة لا يفصل فيما بينها إلا جدران أعماق حجراتها . وأكثرها بطابق واحد ، وسطوحها وطيبة ، وبارتفاعات متقاربة حتى يستطيع الشخص أن ينتقل من بيت الى بيت عبر هذه السطوح ليصل الى حارة بعيدة لا تصلها السابلة إلا عن طريق طويل متعرج .

وأكثر بيوت سامراء نظيفة ومريحة بالرغم من أن هندستها ومتاعها وأفرشتها وأوانيتها في منتهى البساطة والبدائية . ومدخل البيت دهليز قصير ينمطف يمينا أو يسارا قبل أن يتفد الى فناء البيت ، وهو على الأكثر قليل النور إلا في مدخله ونهايته ، وتكون أرضه مرصوفة بحصى مختلفة الحجم يتعثر الماشي عليها فيحدث أصواتاً يسمعونها من في البيت قبل أن يلجئه القادم ، وربما كان القصد من هذه الحصى على أرض الدهليز الاعلان عن خطوات القادم الى الدار فتأخذ النساء وقارهن وتسترهن سواء كان القادم من أهل البيت أو بعيداً عنه .

والحياة في هذه البيوت بسيطة وساذجة إلا أنها منظمة ودافئة للروح ، ودافعة الى الألفة . وقد تجتمع العائلة لتناقش مشاكلها البيتية عرضاً دون تحضير ، وبتماهل وبرود .



## البيت الذي ولدت فيه :

يقع بيتنا فيما بين باب الناصرية وسوق اليهود ، وهذا هو السوق الثالث في المدينة وقد عرف بهذا الاسم لوجود ثلاثة حوانيت فيه أصحابها من اليهود ، أحدهم بزاز اسمه يوسف الحسقل ، والثاني صائغ فضة اسمه معتوق العبدالله ، والثالث صائغ ذهب اسمه عاشر . كما كان في هذا السوق يهودي آخر كثر اللحية يعمل إسكافياً متنقلاً وراء النقيء في الصيف ودفء الشمس في الشتاء ، فيجد المكان المناسب له بحسب ذلك ،

وشرش عنه النسطة على فارعة الطريق • كما كان هذا اليهودي نفسه  
سدن الكس الذي يطلق عليه الأهلالي اسم (التوراة) التي تلاصق بيتنا •  
واسم هذا اليهودي ونقبه يوسف (الرگاع) •

ومن نموذج لأكثر بيوت سامراء ، فهو يتكون من طابقين من جانبه  
الشمالي وطابق واحد من جانبه الجنوبي ، وهندسته لا تخلو من الذكاء  
والغاية المقصودة ، إذ فيه حجرات تقابل أبوابها اتجاه الشمال لتدخلها  
الريح الباردة في الصيف ، وحجرات تقابل أبوابها الجنوب وتكون هذه دافئة  
بحرارذ الشمس لتستعمل في فصل الشتاء • ومن مرافق البيت بئر يدلى  
منؤه لغسل حوش البيت المرصوف بالطابوق الفرشي • وهذا الحوش  
مكشوف ليستطع ساكنه أن يمد عنقه من باب حجراته ليرى غيوم السماء  
أو نجومها وهذا أمر يهم أهل سامراء عموماً لاعتماد الكثير منهم على  
زراعة الديم •

وفي بيتنا سراديب ثلاثة ، إثنان منها في الجانب الشمالي من البيت ،  
أحدهما لخزن المؤن ، والثاني لنساء العائلة في أيام الصيف ، وسرداب واحد  
في الجانب الجنوبي من البيت وهو للرجال وحدهم • وفي هذا السرداب  
كوة تسمى (الزنبور) تتصل بمنفذ يرتفع لينتهي بسطح البيت ، وهو يساعد  
بشكل واضح على حركة هواء هذا السرداب • وتعتقد أمي أن في هذا  
السرداب (ملاك صالح) وتمنع دخول الأطفال الصغار إليه بوصفهم لم  
يظهروا بعد ، وفي أجسادهم لا بد من وجود وسخة ، كما كانت أمي توقد  
في كل ليلة جمعة شعة تضعها على الدرجة الأولى من سلم السرداب •  
واتشر هذا المعقد بين نساء المحلة ومن ضمنهن (عزيزة) بنت يوسف  
الحسقل ، وصرنَ يذرنَ لتمنياتهن الشموع تبركاً لذلك الملك الصالح •

وفي الطابق الثاني من بيتنا أربع حجرات تطل اثنتان منها على حوش  
البيت ، وإثنان على الطريق الذي يربط باب سور الناصرية بسوق اليهود،



وواحدة من هذه الحجرات مشيدة على صاف واسع يربط فيما بين بيتا والبيت الذي يقابله عبر الطريق . ونوافذ هذه الحجرة عليه ، تطل أربع منها على سور اليهود الواقع جنوبي الطريق ، وأربع أخرى تعبها تطل على الطريق الذي ينتهي بباب سور الناصرية في شمال المدينة .

وفي البيت مطبخ واسع على يسار المدخل الى حوش البيت ، ولم يكن لهذا المطبخ باب ليصد عنه الريح والمطر ، بل هو منفذ للدخان في الدرجة الاولى . ويستعمل الحطب لطهي الطعام ، فيتكثف ذلك الدخان فيه وتصير جدرانها على مر الأيام بنون القير . وفي قعر هذا المطبخ (تنور) ، يخبز فيه عجينة الحنطة او يطهى شواء اللحوم ، والى يسار هذا التنور كوة تنفذ الى بئر عميقة يدلى منها اماء على (دولاب) حشبي لغسل حوش البيت .

والى جانب المطبخ اصطبل لا تخلو في أكثر شهور السنة من إحدى أفراسنا الثلاث ، واحدة منها ناصعة البياض من (رسن) (حمدانية السمرى) واسمها (دروة) ، والأخرى رمانية اللون واسمها (نسمة) أما الفرس الشقراء فاسمها (صبيحة) . وكانت أمي واختي يحبن هذه الخيول وتعطفان عليها بحنان ، وأسمعهن أحيانا يكلمنها بنغم رقيق كما يكلمن الأطفال الصغار . وكانت هذه الخيول إذا اقتربت أمي منها مدّت أعناقها لتمسّ بها كتف أمي إمتناناً لما تأتني به لها من العلف ، وهكذا أيضاً فعل مع أختي .

ومربط الفرس الحمدانية في الشتاء داخل حجرة ملاصقة لمربطها في الصيف القريب من المطبخ ، وملاصق من الجانب الآخر للحجرة التي ينام فيها أبي ، ومربط هذه الفرس معتمة لا نافذة فيها سوى فتحة صغيرة تعلو مدخله ، وكانت الخفافيش تلج من خلال هذه الفتحة لتتعلق بأرجلها بعقود الحجرة ، وقد تسقط هذه الخفافيش على قطاة الفرس أو على الأرض فتطير ثانية ولكن على غير هدى في ظلام هذه الحجرة فنصطدم بالفرس فتثور هذه فزعة وتضرب بحوافرها الخلفية الجدار الذي يفصل المربط عن حجرة

مأم أبي من جهة وعن حجره جارسا الأرملة ( ملحه ام عباس ) من جهة أخرى  
يسيطر بها أبي لها سيطر جارسا (ملحه) حين يكون في عمره النوم .  
وتم يدرب عارمة الحفايش بصريه وجل الفرس أثناء الليل إلا ذات يوم كان  
بي يسلمو من هذه العاهرة المزعجة في مجلس تبيح أبو نيسان ( مهدي  
العرب ) فقال أحد الحاضرين في المجلس لأبي ان الحفايش م نصح على  
الفرس بل تحذر إياها عارمة لسلنس طريقها الى عروب رجلا فتلتصق به  
لعدي من دمها فتحاول الفرس إبعادها عن رجلا فنصر ببحايرها الجدار ،  
ثم اردت دبت الجليس يقول لأبي : ( ابعد تلك الحفايش عن المربط بسد  
النافذة الصغيرة التي تعلو بابها فلا تدخلها الحفايش لتزعج الفرس ونزعجكم )  
وقد عمل أبي في اليوم الثاني بصيحه ذلك الجليس فتوقفت ضربات الفرس  
على جدار حجره المربط . فذات الليالي التالية بعد ذلك هائه مريحه لأبي  
ولجارسا ملحه ام عباس ، ولما نرى الحفايش بأعداد هائلة قيل غروب  
الشمس وهي بصير نحو نهر دجلة او عائدة منها الى داخل بيوت سامراء او  
الخراب التي حولها •

وتخرج الحفايش من وكناها الى الفضاء لتستروح نسائم المساء قبل  
انحدار الظلام ( ولذلك يسميها السامرائيون خشاف الليل ) ، وتقنص في  
طيرانها الدباب والحشرات التي تتطاير مرتفعة في هذه الساعات ، وكأها على  
موعد لتكون عشاء دسماً لهذه الحفايش . وهذه الحيوانات من صنف  
(البواب) ، وذاب وجه كوجه الثعلب بما فيه الأذنان المنتصبان ، وفراؤها  
رمادي قصير ناعم ، وهي تسكن الخرائب على الأكثر ، وقد تعيش في سقوف  
البيوت المسكونة ، وهي تدخلها من أبوابها الوسيعة أو من منافذها الصغيرة  
التي تعلوها ، وتلتصق بسقوفها ثم تزحف على بطونها لتستقر في مكان تختاره  
وهي متعلقة بأقدامها بما يبرز من السقوف •

كما لا يخلو كثير من بيوت الناس من أعشاش طيور السندوهند وهي

صنع هذه الأعشاس من النسي اللين الذي يحمله بمنفيراها ويلصقه على رءوبه من سوان الحجرات فيكون منها ما يشبه نصف (فئة) بعنق يكفي لاحتضان بيضها وفراخها بعد ذلك .

والسند وهند طيور جميلة يغلب عليها اللون الأسود البراق ، وتغرد برنزه متواصه وخصوصاً حين تنوجه الى أعشاشها . وتعتقد السامرائيات انها من الطيور ذات الحرمة وقتلها محرم . وهي من الطيور المهاجرة فتغادر هي وأفراخها بيوت سامراء في أول شهر تشرين لعود الى أعشاشها نفسها في بداية شهر حزيران ، فادا دخلت البيوت من منافذها استقبلتها أم البيت بالترحيب والتهليل .

أما طير اللفق فيعيش على مرتفعات البيوت ، أو على فباب المساجد ، أو أكواخ الريف ، وهو مثل طيور السند وهند يهجر سامراء متى حلّ لبرد فيها ، وهي مشها أيضاً لا تطرد عن أعشاشها ولا تستهدف للضرب ، والعائلة منهما بذكر وأثنى ، وتضع الأثنى بيضتين فقط ، ويتناوب الزوجان على احتضانها . وحين يحط أحدهما على عشه يأخذ دوره في الحضانة ، يضطّق الاثنان بمنقاريهما الأحمرين الطويلين ، إيذاناً بعودته الى بيته أو ساعراً بمقامه بين عائلته .

ويقال أن الذكر من اللفالق عيور على أثناء أشد الغيرة . وقد سمعت ممن أثنى به ( وهو طيب من أهل كفري ) أن أحد الصبيان الخبثاء طرد النلق من عشه وأبدل بيضتيه ببيضتين من بيوض الدجاج ، فلما عاد اللفق الذكر الى عشه ليحتضن البيضتين ، دهش باستغراب حين رأى البيضتين صغيرتين فظن أن أثناء قد خائنه مع طير آخر ، فانتظرها حتى عادت لتأخذ دورها من الحضانة ، فطردها عن عشه ولاحقها وهو ينقرها بمنقاره ، ثم عاد الى العش ونقر البيضتين التين فيه وحطمهما كياً .

كما أذكر من الحيوانات التي عرفت في صغري بسامراء ما كان يعرف

(لديج) ، و لا لم ار هذا الحيوان حياً ، بل رأيته قليلاً في طرفت المدينة، وهو بحجم يد صغير ، وجسمه مغصى بصوات بدون (فم) وبدون اسود في طرفه امدب وبلون بيض في باقي طولها ، وكنا نريها لتكون فارم للحيه . ويتنور صيادوها اياها هوجبت تنص عن جلده هذه الاسوات فنصق منه دنس . وقد يكون في ذاك مبالغة أو خيال .

الحيوان في الصحراء :

ينسرد يبقى الرجل خارج بيوتهم بعد دان المغرب ، والأكثرية منهم يعودون عند غروب الشمس بدون العشاء مع أفراد عوائلهم . وقد يخرجون بعد ذلك الى إحدى المقاهي أو احد دواوين الشيوخ .

ولم تكن ادوات بدون الصدم كالملاعق والشوك يومئذ معروفة، ويقدم الصدم في سحون على سماء يهرش على الارض او في (صية) ترفع على محمل حسي وطيء فيتجسع حولها رجال البيت ويندولونه بأصابعهم . أما النساء ولا صغار فيضطرون دورهم بعد ان ينتهي الرجال من تناوله .

والعصون عن العمل يرادون المقاهي مساء النهار ، ويتحدثون بأصوات عابيه لا يحلو من البههي ، أو التهديد لصرف من أطراف المقهى أو لشخص ليس من هؤلاء .



وكن في سامراء (دواوين) لأكر شيوخ عشائر سامراء ، من أبررها ديوان عباس المحمد الحمد ، رئيس عشيره ابو عباس ، وديوان الشيخ مهدي العرنه رئيس عشيره ابو نيسان وديوان جاسم العلي لأكر رئيس عشيره ابو بدر . وكنت امس وداً بين أبي وبين الشيخ عباس المحمد الحمد فيكثر أي من الردد الى ديوانه في الليل فأحمل الى جانبه الفاوس النعني لأمر به الطرف الى ديوان الشيخ ، الذي يكون حينذاك مكتظاً برواده وأبناع عشيرته وهم يتحدثون بأصوات عابيه . وجل أحاديثهم ما له علاقة



سبعوي مولدا • وزهره العلتو سيده وديعه ومحترمه وكبيرة السن شار  
كتر الثوابل يومند في سامراء ، وعرفها الامهات بانها خفيضة اليد في توليد  
الامهات • وحسن مداراه النساء ووليدها ، فيحترمها رب البيت وتأنس لها  
أم البيت وتحاطبها باسم (جدّه) كناية عن مكانة الجدة بالنسب بين أفراد  
العائلة •

ولما فحنت عيني على الدي وصرت أعرف أشخاص البيت لا أذكر أنني  
ريت يوماً ما قيل لي انه ابي ، يد كان في تلك الايام اسير الانكليزي في  
(سرپوب) بديار الهند بوصفه احد موظفي الحكومة العثمانية بسامراء  
ومناوئاً لدخول الانكليز الى العراق •

وكانت أمي في أيام غيابه تأخذني في ليالي الصيف المقمرة الى سطح  
البيت ، وترفع براحة يدها حكي لأطّلع الى القمر ، وتلقني أن أسأله عن  
أبي ؛ أين هو ؟ وعن يوم أيا به ؟ وأردد معها وهي تقول ( يا كمرنا العالي  
وين أبونا العالي ؟ ) • وأظن أنا أرنو الى القمر ولا أقول شيئاً ، وتستمر  
أمي تنظر الى القمر وهي تقول أشياء أخرى لا أفهمها • ثم ترفعني بعد  
ذلك بيديها لأكون بمستوى سنارة السطح المطل على الطريق ، فأتشبث  
بيديّ على حافتها ، وأمد عنقي لأراقب السابلة في الطريق ، وهم يعودون  
الى بيوتهم بعد السهر في مقهى ( صالح الحبيب ) بسوق اليهود • وألاحظ  
أمي تنصت بهتمام الى ما يتحدثون فيه ، فان سمعت منهم ما يدل على الفرج  
أو الفرح ، استبشرت وقالت وهي تقبلي بسرور طافح : إن أباك بخير  
يا كمال •

وأذكر يوماً وصلتنا فيه رسالة من أبي وفي طيّها صورته الشمسية أي  
(عكسه) بلعه تلك الأيام • وتلافت أيدي أمي وأختي الصورة ، وقالت  
إحداهن وهي تحديق فيها :

— أنا لا أرى شيئاً من أيننا في هذا العكس !



ومدب الأخرى عنها لنظر الى الصورة وقالت :

— بلى ، هذا راسه وهذا كلاؤه وهذا وجهه •

وعادت الأولى لنظر الى الصورة وقالت :

— والله صحيح ، وهذه عيونه وهذه لحيته •

وأخذت أمي الصورة بيديها وعرضتها أمام عيني بحبورٍ وهي تسر بأصابعها على معالم وجهه ونفوس بي . هذا بابا • وحين أستعرض كل ذلك في هذا اليوم يملكني لاستغراب حين أذكر عدم استطاعة اختي العرف على والدي من صورته الفوتوغرافية • واحتدي وامي لسن مثقبات ، واحتدي الصغرى للغرابه كانت تعرف قراءة كتاب مولد النبي محمد (ص) وليس غيره من الكتب فلا أستغرب الا ان لا يسهل على اختي ولا على أي من الناس الذين لم يكتروا من رؤية الصور المسطحة التي تنقصها كامل أبعادها الثلاثة أن يشخصوا محتوياتها وأجزاءها الدقيقة •



لا أذكر متى تفتحت مداركي ونفهمي للأحداث اليومية التي زامتها في طفولتي الأولى ، على ان بعض ما أذكر منها يبرز في ذاكرتي واضحاً ومحدد المعالم ، وكأنه قد حدث في يوم قريب ، والبعض الآخر كانت أحداثه لا تزال تدور أمامي حتى هذه الساعة • فأذكر مثلاً الجندي التركي الذي خرج من بين طابور جماعته وهم يعبرون الطريق الذي يشرف عليه بيتنا ، وتقدم مني مسرعاً بينما كنت واقفاً على عتبة بيتنا (تتش) من يدي قطعة من الخبز كنت ألهو بقضمها ، فهرولت خائفاً الى داخل البيت وارتيمت وأنا أبكي بحضن أمي ، وفصصت عليها ما حدث لي على باب البيت ، فخرجت أمي تستوضح الأمر ، وعادت إليّ وهي تقول :

— لا تخف يا ابني ان هؤلاء من ملة الاسلام ، ومسحت بفوطتها السوداء دموعي ، وأخذت بيدي وقادتني الى حجرة المؤن المظلمة ، وتناولت رغيفاً

من الحيز ورست على وسطه (صليوفا) من السر ، وطلبت مي أن أحمله  
إلى الجود الذين يعبرون الطريق أمام بيتنا ، فامتنعت خوفاً منهم ، فتركني  
أمي ويست صوب الباب ، ولما رأيتها أبطأت تقدمت منها بوجل وحذر ،  
وشدء ، أدهلني أمرها ، فقد وجدتها وأنا التصق بها ، ترتجف وهي ترفع  
طرف فوطتها لتسح بها عينيها المبتلتين بالدمع . ولم أرَ الجندي الذي  
نهب مني قطعة الخبز ، بل رأيت جموعاً من صفه يسرون بتراخ وبلا نظام  
على الطريق المترب الذي يصل إلى باب الناصرية ، فيثيرون بين أقدامهم ومن  
ورائهم الغبار ، وكان كل واحد منهم مثل ذلك الجندي الذي أخافني ،  
متعباً وثيابه خالقة ووجهه مكدود ومكسو بمزيج من التراب والعرق .

والتصقت بجانب أمي التي ما زالت ترتجف و(القوطه) تحت عينيها  
الدامعتين . ورأيت على الجانب الآخر من الطريق جارتنا العجوز (ريحانة)  
تقف على عتبة دارها وهي أيضاً تبكي بصمت وتضرب صدرها بجمع يدها  
وتنظم خدوها المجذور وتخدشه بأظافر أصابعها .. أنا لم أزل أذكر هذا  
الحادث وكأنه نقطة البداية في حياتي ونشاط مداركي بالرغم من أن أهلي  
يدعون أنني لم أكن يوم انسحاب الجيش العثماني ومروره بسامراء بعمر  
يسكن أن أعني فيه ما حدث يومئذ بتلك التفاصيل الدقيقة التي أذكرها  
لهم ، بينما لا أذكر يوم دخل الانكليز سامراء إثر انسحاب الجيش العثماني  
منها . ولكنني رأيت الخنادق المتعرجة التي تقاطع الطريق الذي يصل إلى  
شمال العراق . وقد علمت من أهلي أنهم داهموا يوماً بيتنا وفتشوا ما فيه  
وأخذوا منه بعض ما وجدوه من الكتب والأوراق وحملوها في أحد أدراج  
المضدة التي كنت في غرفة الطاق ، وبقي وجه هذه المضدة كالوجه الأعور ،  
يعوزها ذلك الدرج إلى آخر أيام تلك المضدة . كما اقتادت القوات  
الانكليزية أبي ومعه الشيخ مهدي العرنة أسيرين أو رهيتين لمواقفهم  
المعارضة للانكليز ، وبقي بالأسر في سمربول وهنجام زهاء سنتين .

### عوده أني من سمريول

أذكر أني رأيت أبي لأول مرة حين كنت أستسلم ليدي أختي لتدخل قدمي في الحذاء الذي جاء به إليّ من بغداد عند مروره بها أثناء عودته من سمريول . وطلبت مني أختي أنتذ أن أنظر الى أبي الذي وقف ينظر إليّ بشوق وحنان ، غير أنني لم أستجب لأمرها بل مكثت أنظر الى حذائي الجديد الجميل ، فتقدم مني أبي وحملني بيديه وقبلني وضممني الى صدره ، إلا أنني نفرت منه وعدت أكمل ارتداء حذائي .

### ميجر بري يحكم في سامراء

ولا أذكر كيف آل الحكم في سامراء الى رجل من أهلها اسمه أحمد محمد صالح وهو من أعيان البلدة وأخبارها ، ويعرف فيما بينهم باسم (أحمد بك) . وهذا اللقب تركي جاءه تقليداً لوجهاء الأتراك المعروفين بهذا اللقب لا خلعة من السلطان العثماني . وكان أحمد بك يرتدي الطربوش الأحمر خلافاً لأهل سامراء الذين يرتدون اليشماغ والعقال الاسود . كما كان في سامراء حاكم آخر وبدرجة أعلى اسمه (ميجر بري) وهو من ضباط الجيش البريطاني الذي عمل بامرة الجنرال (مود) ، ولا أذكر معالم هذا الحاكم ولكنني أذكر معالم كلبه الأبتري الذيل دي الفراء السنجابي الكثيف المتهدل . ويروي أن ميجر بري كان قاسياً في أحكامه على أهالي سامراء ، فيعاقب من يخالف أوامره بجلد ظهره بالسوط أمام جماهير الناس بمكان في السوق الكبير يقابل مدخل الحضرة العسكرية .

وأذكر بشكل غير واضح خلافاً حدث بين هذا الانكليزي الشرس وبين عشائر سامراء المحيطة بها مما دفع تلك العشائر الى أن تهاجم المدينة وتحاصرها أكثر من ثلاثة أيام قاسى منها سكان سامراء الجوع والعطش . وكانت البئر الوحيدة التي يستساغ ماؤها هي الموجودة في بيت (الطيف المراد) أما آبار

بيوت سامراء الأخرى فإؤها (مح) ولذلك كان أهالي سامراء في أيام  
الحصار الذي فرضه العثائر على المدينة يقفون بطواير في انتظار دورهم  
لدلي الماء من تلك البئر .

أمي عالجت خراجاً في يدي وكذلك

عالجتي من حمى بطريقة شعبية

أُصبت وأنا في سن الخامسة تقريباً بخراج في كفي اليمنى ، فورمت  
وصارت تؤلمني ، فأبكي ولا أرتاح منها ليلاً ونهاراً . وذات صباح دخلت  
بنا الأرملة ( حنا الجابر ) ولما سمعتني أتعب دخلت وراء أمي الى المطبخ  
وسعدت توشوش في أذنها اسم دواء ، لم اسمع منها مفرداته ، غير أنني  
سعدتها تؤكد لأمي أن هذا الدواء مجرب على أن يستعمل في الليل لا في  
النهار ، وأنه كما يقول (دهدي) الحلاق أفضل علاج لحالة يدي . وبعد  
غروب الشمس لطخت أمي كفي المتألمة بمادة عجينية القوام ، ولقتها بكمية  
كبيرة من الصوف . وأذكر أنني لم أرتح في تلك الليلة الى رائحة تنسنة  
تبعث من تحت لحافي ، وحين استيقظت في الصباح كان ألم كفي قد خف  
الى قدر كبير ، ثم توقف نهائياً . وظهر لنا أن خراجاً كان في راحة يدي قد  
انتشر فبدلت منه مدة وخف الضغط منها على أنسجة يدي فتوقف الألم .  
وعرفت بعد ذلك أن (الدواء) الذي لطخت أمي يدي به كان مسحوقاً من  
الزجاج مخلوطاً بغائط لا يزال دافئاً بحرارة الجسم .

وبعد أشهر على ما أذكر أصبت بحصى طالت معي نحو أسبوعين فاقترح  
أحد أصدقاء أبي الذين يمارسون علاج بعض الحالات المرضية بالطرق  
الشعبية أن يضعوني في (عكة) وهي الجراب الذي يحفظ فيه الدهن أو  
الدبس ، فكرهت هذه المكرة وقومت تطبيقها علي ، وتوسلت بأمي أن  
سبدها ، وأخيراً خضعت لإرادتها ، فأدخلتني في (العكة) بعد أن حورتها  
لنلائم شكل وحجم جسي . وبقيت حبساً في هذه العكة حتى جفئت على

حسى . نه بضموه إرباً إرباً بقص وحرروني منها ، وقد فارقتني الحسى  
ونه تعودنى بعد ذلك .

### دخولي الى الكتاب

وذني أبي ذات صباح الى كتاب الملا ( محمد الأملس ) ، فكرهته  
خوف من أول نظرة . كان في نحو الأربعين من العمر ، ذا لحية سوداء مشعثة  
وقد وخطها الشيب من جانبيها ، وعينين دامتين ، وأسنان طويلة صفراء ،  
وعى رأسه عة خضراء ملفوفة بغير إعناء حول طربوش أحمر فاقع . وكان  
قوام طلبته عشرين صبياً أو خمسة وعشرين بالأكثر ، يقعدون متربعين على  
حشيات متافرة الاشكال والألوان ، يجيئون بها من بيوتهم . وكان للملا  
ابة في منتصف العقد الثاني من العمر ، ذات بطن منتفخة وشعر منقوش .  
وكانت تكثر من الصراخ لأتفه الأسباب ، فيسترضيها أبوها الملا بما يجمعه  
من جيوب طلبته من المأكولات . وكان الصبيان في هذا الكتاب يقرأون  
بأصوات صاخبة ، ويهزّون جذوعهم الى أمام والى وراء ، والملا بين الفينة  
والفينة يصيح بصوت هادر مرعب ، وهو يرفع عصاه الطويلة في الهواء ثم  
يضرب بها الأرض ، ويقول :

— أنت إرفع (حسّك) ، خطني أسمعك يا ولد .

يقول الملا ذلك وهو لا يعني أحداً من طلبته بالذات ، ثم بعد مدة يصيح :

— العمى يا أثول ، زبرة لا فتحة .

وهذا أيضاً يقوله وليس هناك من أخطأ به (زبرة) أو ضمة أو فتحة .

واتهى هذا اليوم وأنا لم أفهم شيئاً ولا علمت ماذا يجب أن أتعلم .



كن دخولي الى الكتاب حدثاً تحولياً في حياتي الأولى ، فلم أعد ألعب  
في ساعات الصباح مع أصدقائي في (دربونة) المحلة ، وعليّ أن أحافظ على  
نظافة ملابسي وحذائي ، وأعيد في بيتي قراءة ما تعلمته في ( الكتاب ) ،

وَأَمَّا مَا كَانَ مِنْ حَيْبِ الْعَنَمِ أَوِ الْفُتُورَةِ ، فَحَسْبُكَ  
وَأَمَّا مَا كَانَ مِنْ حَيْبِ الْعَنَمِ أَوِ الْفُتُورَةِ ، فَحَسْبُكَ

فأجابني قائلاً : لا تفقد هذا ولا هذا .

فأخذ منه مسبل اليدين خافض الرأس ، ولما أصبح قريباً منه يصرخ مرة أخرى :

ب تعاضد بعد از اشراف

عندما بضع خطوات لأصير قريباً منه ، فידس يده في جيب ثوبي ويأخذ نصيبه الأكبر مما فيه من حلوى وغيرها ، فأخرجته بعد ذلك الى جانب الطلبة وأعمل مثل ما يعملون ، فأهز جذعي الى أمم والى خلف ، وأزعق مقدماً إحدى النس إلى جاني . هذا حين ومت إذان الطهر انصرفنا الى بونتنا ونحن مداعبين . ودخل بيتي وأنا أحمل تحت إبطي ( جزو عم ) لأضعه فوق رقبتي عند مدخل الحجرة التي تتناول فيها غذائنا ، وبالرغم من أنني أحمل في وضعه بهذا المكان ، لكثرة ما يؤكد عليّ أمي ، فهي حين تراني من مكان ما لا تسي في ذلك أن أضع (الجزء) في ذلك المكان بنذات . كانت أمي حدة دقيقة في مثل هذه الأمور ، وقد أخذت عنها شيئاً من هذه الدد . كما لا تنسى حين تقعد حول (سينية) الغداء أن تسألني :

[illegible]

سید محمد باقر

$$I = \frac{1}{2} \int_{-\infty}^{\infty} \frac{1}{\sqrt{1 + \frac{1}{4} \left( \frac{d\psi}{dx} \right)^2}} dx$$



ولما انتهى من تناول الغداء تصيح بي :

— وين جزوك ؟ ( أين جزءك ؟ )

وأعرف أنها تريد مني أن أقرأ أمامها ما تعلمته في كتاب الملا في ذلك اليوم ، فأقول لها :

— ماما ، ( خلّي ) الأكل ينزل الى معدتي أولاً •

فترد عليّ بسخط :

— أعرفك ، ما تريد تصير آدمي ، أريد أسمعك ، غوم جيب الجزو بالعجل •

ولا عصيان لأوامرها ، فأجيء ( بالجزو ) وأتربع أمامها على حصير فوق الأرض ، وأفتح على فخذي ، وأدس رأسي بين دفتيه لأقرأ ، وأمي تروح ونجيء فيما بيني وبين المطبخ ، وأسمعها تقول وهي بعيدة عني :

— أريد أسمعك ، إرفع حسك •

وأرفع صوتي قليلاً ، وقد تجيء وتجلس الى جانبي ، لتنقل نظرها بين فمي وصفحة الجزو التي أقرأ فيها • وكان ذلك يحرجني ويربكني ، فلا تستقيم قراءتي ، وتكثر أغلاطي فيها ، حينذاك تنظر إلي بغضب وتقول :

— غلطت ؟

— لا يا ماما ما غلطت ، خلّيني أقرأ •

— ( زين ) أقرأ •

وأمي لا تعرف القراءة ، ولا تعرف من آيات القرآن الكريم إلا ما تردده في صلاتها حفظاً ، ومن هنا فطنت الى علاج تدخلها في شؤوني عندما أقرأ أمامها ، فصرت أتجاوز الكلمة التي يصعب عليّ قراءتها • فعرفت أن ذلك يرضيها ويسعدّها ويبعدها عني •

وأمي تعتقد ، لفرط تديتها ، أنني إذا تعلمت قراءة القرآن صرت ( آدمياً ) على حد قولها ، وهذا هو أبي تعلم قراءة القرآن فصار رجلاً جباراً كما تراه • واخوتي تعلموا قراءته فصاروا في خدمة الحكومة ، لذلك

صارب تعتقد أن القراءة في القرآن أفضل من الراحة بعد الطعام ، وأكثر فائدة وضوءاً لتوفير النعمة ، وإحلال البركة في البيت •

و ذات يوم طلب مني أبي فجأة أن أقرأ أمامه ما تعلمته في كتاب الملا محمد الأملس ، فلما بدأت أقرأ أمامه كثرت أغلاطي في القراءة ، فسألني متى قرأت هذه السورة ؟ قلت له أنني لا أزال فيها ، فطلب مني أن أقرأ أمامه سورة تعلمتها في الملا ، فتلكأت في قراءة هذه السورة أيضاً ، وكثرت أغلاطي فيها ، وانحدرت من وجهي قطرات العرق على صفحات القرآن الذي كنت أقرأ فيه أمام أبي • وفجأة قال لي : يكفي •

وأخذ القرآن الكريم من بين يدي وتركني مذهولاً • وفي صباح الغد أخطرني أمي وهي تستحضر لي فطوري أن أبي سيأخذني الآن الى الملا هاشم • فتوسلت إليها أن تقنعه بأن لا يفعل ذلك ، فردتني بصرامة وهي تقول ان الملا محمد الأملس لم يحسن تعليمك قراءة القرآن • وما كدت أتم فطوري حتى نهضت أمي وأحضرت جزو القرآن بنفسها على غير عادتها، وطلبت مني أن أغسل فمي وأتأهيا لمصاحبة أبي الى كتاب الملا هاشم • واقتنيت خطوات أبي في طرقات لم أألفها من قبل ، ودخلنا من باب وسبعة تعلو مستوى الشارع الى ساحة كبيرة غطيت بعضها بالحصر • وفي ركن مسقوف قريب منها رأيت عدداً من الصبيان في مثل عمري يتحلقون حول رجل طاعن في السن ، ذي لحية طويلة بيضاء الشعر وطلعة نورانية ووجه مشرب بالحمرة ، وعينين زرقاوين تنبعث منهما حرارة وبقظة ، فلما تقدم أبي منه نهض هو ليقوم من مكانه احتراماً وتقديراً لأبي ، فاذا هو قصير القامة بدين محدودب الظهر ، وتبادل التحية مع أبي بحرارة ، وكررا التحية بشيء من المعاتبة ، ثم التفت الملا إليّ وأنا منكش الى جانب أبي ، وصاح بي أن أقرب منه ، فلما صرت بحذاءه مدّ يده المكتنزة يتلمس بها أذني ، ثم فركها بخشونة وهو يقول لي :

— آني عندي قراية ما عندي لعب •  
أما أبي فعقب على ما قاله هذا الملا قائلاً :  
— انت تعرف شعلك يا ملا ، آني ما عليّ ، وغادر الكتاب •  
وذى الملا على (الخلفة) حسين ، وهو شاب أطول مني وأكبر عمراً ،  
وقد له بأمر :

— خذ كمال يملك ودير بالك عليه •  
وسرعان ما عرفت أن تعليم قراءة القرآن عند هذا الملا لا تختلف عما  
رأيت في كتاب الملا محمد الأملس ، وهي القراءة بصوت عالٍ ، صبي  
يقرأ في سورة الفاتحة ، وآخر في سورة (ق) وآخر في سورة (النمل)  
وهكذا ، والملا بين حين وحين يصبح مستهدفاً صبيّاً لا على التعيين أن يرفع  
صوته لسمعه •

وبعد أيام بدا لي الملا هاشم ليس قاسياً كما بدا لي أول يوم رأيته ،  
ولاً ما كما يبدو مظهره ، فلم أره يوماً يستعمل (الفلقة) ، يدانه كثيراً ما  
أو في الأقل في اليوم مرة ، ينادي غاضباً بصوته الخافت أن يتقدم منه أحد  
الصبيان فيقرص أذنه دونما سبب أعرفه •

ولما (ختمت) قراءة القرآن ، احتفلت عائلتي بهذه المناسبة ، وكانت أمي  
أكثرهم فرحاً بها ، فألبستني أحسن ثيابي ، وكل ما تملك العائلة من حلي  
ذهبية وفضية وأحاطوني بزمرة من أصحابي في كتاب الملا ، بعضهم يرفعون  
على رؤوسهم المصحف الشريف ، وآخرون يلتفون حولي ليحرسوا ما أنحلي  
به من غالي الثمن • كما شارك في هذا الحفل بعض من أولاد محلاتي  
وأقاربي ، وتحرك هذا الموكب من المشاركين في حفل صاحب ، وئيداً من  
كتاب الملا هاشم الى بيتنا ، تتقدمهم جملة من حملة الصواني المزينة بأوراق  
الأس وأوراد الختمة وزهرة الشمس والشموع ، وفرقة صغيرة تضرب على  
الطبل والغناطة وأخرى تردد ( الحمد لله الذي علمنا القرآن ) ، ومن بعيد

رأيت أمي ومن ورائها بعض النسوة على مدخل بيتنا يزغردن من وراء آكنهن التي يرفعنها تحت أنوفهن • واستقبلتني أمي وضمتني الى صدرها بحرارة، وأظنني شعرت في تلك اللحظة أنني قد كبرت وان أمي في قابل الأيام ستعاملني معاملة جديدة لينة • وبقيت أرقب واقع هذا الأمل طويلاً دون أن ألمسه • فقد بقيت أمي تنظر إليّ كما كانت تنظر قبل أن أختتم قراءة القرآن ، طفلاً يحتاج الى ردع وتوجيه •

و ذات ليلة من شهر تموز أو آب ، جفاني النوم بسبب الحر والتعرق • كان عليّ وأنا صغير الأسرة أن أستلقي على فراشي على سطح البيت فور انتهائي من تناول طعام العشاء ، قبل الآخرين من أخوتي وأختي ، فهؤلاء كبار لهم امتيازاتهم العائلية ، فيعملون ويسهرون ما يشاؤون • كما كان عليّ حين أضطجع على فراشي أن أرتدي (اللبّادة) وهي لباس أشبه بالقميص محشو بالقطن ، خوفاً من برد ما بعد منتصف الليل على ما تقوله أمي ، إلا أنني يجب أن أرتديها في أول الليل حتى لو كان الحر من فيج جهنم • وبحسب أوامر أمي يتعين عليّ أن أغفو لا أن أستلقي على الفراش فقط • وفي تلك الليلة كن الحر فيها شديداً ، وخفت أن اخلع اللبادة لأن ذلك لا يرضي أمي وعصيان أوامرها عمل منكر ، وحين اعتقدت أنها قد نامت ، تناولت كوز الماء القريب من سريري ونضحت بمائه فراشي ووسادتي • وعثر حظي فجاءت أمي لتلقي نظرتها الأخيرة عليّ ، فتلصت بكفّها فراشي فلما أحست به مبتلاً ، ظنت أنني بلت فيه وأنا نائم ، فتناومت وتصنعت الشخير لعلّها تؤجل عقابي الى الصباح ثم الله كريم ، إلا أنها قرصت أذني بقوة ، ولم أكن نائماً بعد ، فنظّاهت بفزع المماجاة ، ولم تفت عليها الحيلة ، فطلبت مني بغضب شديد أن أبض لبديل فراشي ، ولم تمهلي لأفهمها أنني لم أب في فراشي أملاً في أن ذلك يخفف من غضبها عليّ ، وأردت أن أنكم فأسكتني بلطمة على خدي ، وأرجعتني

لى فراشهم آحر جاف وحر وانا أشفق بلبكء ، الى أن أحدى النوم الى  
عه أحدى من عصب الأم •

★ ★ ★

وكان من في بيت من بي ومي وأخوي وأخني متدينين ،  
ويقيمون صلاة بوفد ، وكان يجرني معهم في بكر انصباح حين يستيقظون  
لأداء فريضة صلاة فجر • وبعد بانعاش حين أفصح عيني على صوت بي  
وهو يصلي • ويهتف • ويصلي الدعاء الى الله أن يسبغ فيه الستر والعافية ،  
وأن يرزقه ويزولاه وأخوه وأخته مسلمين • وبعد صلاة النجر تدب الحركة  
في كل ركن البيت ومي مصبحة لتنظيف وتجهيز طعام التصوير الذي تسوله  
عدة في عدة بيت صي وهي حجره المؤل شدة حين يكون فيها المؤفد  
الأرضي يتعب بخشب الغض تحت قذري السوربة وأنحليب •

★ ★ ★

وذكر لي كس الرقب لياني الجبعة يفارغ الصبر ، وهي انيلة التي  
يزور فيها أمي ممرء صريح الإمامين علي ابدي وبه الحسن العسكري •  
وتتبع يتا هذه النسبة فيحيي الحمام ، وتدخه واحداً بعد واحد ،  
ورندي بعد الاستحمام يبا طينة تستحضرها أمي قبل يوم ، وهي تشدد  
في تطيق ذلك دون تساهل ، ( لأن دخول الحضرات المقدسة بجسم وسخ  
حرام وخصينه • وزيره في نياني جمع توفر النعمة والبركة والعافية ) •  
وكانت هذه الاستعدادات نفسي الى عدم روحاني أهيبه وأخفه ، وإذا  
أقبت على ضريح أحد الإمامين توفني أمي عند مدخه لأقرأ سورة الفاتحة  
على روح صاحب الضريح • ثم تطوف حول الضريح تردد في صدورنا ، أو  
بصوت حامت سورة الفاتحة والدعاء الى الله ليهبنا العافية والستر والبركة •

★ ★ ★

وكانت حضرة الإمام العسكري يومئذ نضاء بالشموع ، فلم يكن

الكهريه ، قد أدرج الى سامراء بعد ، وصييا الشموخ اكثر ملاءمه وساسقا لجو هذا المكان .

كما كت أترقب ليدي الانين ، وهي ليالي أخرى مقدسه ، في إحداها وند النبي محمد (ص) ، فيقام فيها (الذكر) بمدحه في (تكية) الشيخ وهيب العباس ، والشيخ محمد العلام ، والشيخ أحمد الشيخ محمد . وينفر فيهم محاسب الشيوخ على الدفوف ، ويرتلون المدائح الوجدانية بذكر الرسول (ص) وجدوعهم تتمايل ذات اليمين وذات الشمال . وينهض أحد (محاسب) الشيخ ويصيح بأعلى صوته : مدد ، مدد يا رسول الله ، ويرد عليه ثان : صلوات على (ابو) ابراهيم محمد ، ويعود الاول يصرخ : مدد (يا ابو خمره) ، وفجأة نسمع في يد هذا المحسوب الأخير (الحربة) وهي قضيب من الحديد مذهب البهاية ، يطول حتى يصل الى محزمه ، ويتقدم من الشيخ صاحب التكية ويشير هذا بكبرياء بحركة خفيفة من يده إذاناً منه أن يفعل هذا المحسوب ما ينوي عمله ، وانه تحت حمايته الروحانية ، حينذاك يثبت المحسوب مقبض الحربة على الأرض ، ثم يتلمس طرفها المذهب بأصابع يمينه ، ثم يثبت في موضع من بطنه السفلى ويثني جسمه على الحربة ويدفع بثقله عليها ، ويتبع ذلك بثفنه حتى يبرز طرف الحربة المذهب من خف جسمه . ان ذلك شيء غريب ومرعب ، وقد لا تصدق روايته ، أما مشاهدته عياناً فنثير العجب والذهول . وفي غضون هذه الحركات تتصاعد الصلوات على النبي المصطفى من أفواه الحاضرين ، ويزايد النقر والضرب على الدفوف ويعلو . ويتقدم من دفع الحربة في بطنه من الشيخ ليسحبها ببطء وهو يتمم بكلمات غير مفهومة ، فاذا انتهى من اخراج الحربة يقفز ذلك المحسوب في الهواء بحركة بهلوانية اعلناً عن انتهاء هذه المعجزة ! وليس في هذه العملية خداع نظر ، أو تحايل بحركات سريعة تضع على المشاهد ملاحقتها لكشف عما يمكن أن يكون فيها ستر لما يشبه السحر

أو الشعوذة • فقد أخذت صور فوتوغرافية وسينمائية فثبتت وأمعنتها خطوة خطوة • ولم أرَ أنا هذه الصور إلا أنني سمعت عنها فقط • على أن هذه المعاليل ليست وفقا على ذوي الطوائف الدينية من المسلمين ، فإن بعض الهنود من غير المسلمين يارسون هذه الحركات في بعض طقوسهم الدينية كجزء من صواتهم في اضرحتهم المقدسة ، وقد يفعلون ما هو أكثر غرابية مما يفعله المسلمون في هذا الموضوع ، وسرّ ذلك غامض لا يعرفه إلا رب العالمين •



ولم يكن في سامراء محلاب لهو لمن هم بعمرى يومذاك ، وأمي لا ترتاح لمصاحبة أولاد محنتي ، وأصغر اخوتي يكبرني بست سنوات • وحاولت يوماً أن أقني طيور الحمام فتارت أمي معارضة ورفضت رفضاً باتاً أي نقاش في هذا الموضوع بحجة أن الحمام يجلب النحس ويقطع الرزق ، وأمي لا يعصى لها امر ، واخلوتي يطيعونها طاعة عمياء ، ونكفي منها إشارة لتصعق أي واحد في بيتنا •

وكنّت أستمع في طفولتي بأحاديث العجائز من النسوة حين يجتمعن في بيتنا في بعض ليالي الشتاء ، فيدردشن في مواضيع لا تقارب بينها ، أو يشاغبن على أزواجهن ، أو يحكين (السوالف) من آخر أخبار القدماء بأسلوب مطوط فيه الكثير من المبالغة والشكيات التافهة ، إلا أنه كان بشكل عام ممتعاً وجذاباً بالنسبة لي • وتطلب أمي من أختي الصغيرة أن تقرأ (المولود) ، وهو كتيب صغير في مولد النبي محمد (ص) ، فتخلّق النسوة حول فانوس نفطي يرتفع على منضدة خشبية مدهونة بلون أخضر مزوّقة حواشيها بماء الذهب • وكانت تستهويني هذه الحلقة ، وخصوصاً إذا كان فيها جارتنا (صالحه الجونة) ، وهي مطلقة في نحو الأربعين من العمر ، طويلة القامة نحيلة القوام ، وذات وجه مجدور داكن السمرة ،

واسم مديب دفين . وعيين صغيرين دامعين ، فردد مع أختي ما نراه في  
سب (مولود) وهي تدن وجهها الى جانب وجه أخي بين دفي الكتاب  
كما لو انهما فيه ، وهي لا تعرف الفراءه قط ، إلا انها لكثرت ما سمعه  
من فراءه (مولود) من أخي صارت تحفظ كثيرا منه على صهر قلبها ، على  
ان نعمة صوتها وجرسه المصليء جعلها أبرز ما في صحن هذه الحقة .

فادا سمعن صرير باب البيت عند عوده ابي من احد دواوين شيوخ  
سامراء ، احضت أختي سب مولود وانقرص المجلس فأسف لذلك إن لم  
أكن قد نمت قبل ذلك .  
طه الفريخ

وفي كل مدينه تقريبا مجنون أو أكثر ، وجنودهم على درجات ، فمنه  
ما يكون المجنون هادئا لا أدى منه . وقد يكون هذا صنفا من أصناف  
التخلف العقلي ، والبعض الآخر لا يؤتمن منه ولا يؤتمن عليه ، فقد يضرب  
من يتقرب منه ، وقد يفلن نفسه ، أو يفلن غيره . وقد وعيت على الصنفين  
في سامراء . وكان من احدهما رجل بنحو الأربعين من العمر اسمه ( طه  
الفريخ ) ، وقد جاء اسمه من كثرة ما يردده مع نفسه بجرس خفيض وهو  
يقول عن نفسه ( طه الفريخ ابن الجلب بن فريخ ) . وهو منين الجسم ،  
متوسط الطول مليح الوجه وبعينين كحلاوين ، ويلف جسمه بأكياس  
الجوت . كما كان يتفوط واقفا في منعصبات الدرايين ، فيحدر غائظه على  
فخذيه وسافيه وقدميه . وهو دائم التجوال في طرقات سامراء وأسواقها ،  
ولا يستجدي الناس ، غير انهم يعطونه بسحاء ولكه لا يأخذ منهم إلا القليل ،  
ثم يعطيه لمن يصادفه من فقراء السابلة في الطريق دون تعيين ، وهو يدخل  
البيوت في الأيام المطيرة فلا تصافه النساء ولا الأطفال ، ويشي بوجه هؤلاء  
ويلاطفهم بلغة غير مفهومة ، وكثيراً ما نسمعه في ليالي الشتاء يغني تحت طاق  
بيناً نوعاً من أنواع المقام العراقي ، أو العتابة أو السويحلي أو البابل بلغة  
تمر فيها بعض الحروف أو الكلمات العربية ولكنها لا تكون لغة نرفها .



وصوته في نغم العنابة والرافيد يرق به اسامع فيصت إليه ويعزله عن  
 كل الذكره واعماله . ولا يعرف اهل سامراء اقرب منه الفريخ . ومنهم من  
 يقول انه من عشيرة البوبار . ومن يقول انه يام واقفا كما سام الحيون .  
 او يام متكئا على جدار بيت ، او على باب حائط معين . ويقال أيضا انه  
 يام في المابر أحيانا ، كما يؤكد احرور انه يام في احد بيوت (البو رحان) .  
 وقد توني به الفريخ في ظروف عامسه ودفن قرب باب المنوش بطهر سور  
 سامراء قبل نهديمه . وبالجملة ، لسامرائين آراء مختلفة وبعضها متضاربة  
 في به الفريخ ، فيعده البعض محبوبا بينما يعده بعض آخر انه من أولياء  
 الله وصار هؤلاء بعد وفاته يتبركون بحلقائه . ومنهم من يزور قبره قرب  
 الباب المنوش ويدر به اششوع وخضب احياء . على ان بعض القصص  
 ان لم يكن جسيما قد ألصقت به الفريخ مدحا أو نبجلا ، فصص ليس  
 فيها للمنطق نصيب ، فدل احدهم انه تركه في بغداد وأخذ الفطسار الى  
 سامراء فوجده قد وصفا قبله . وذن ذلك الشخص يوما مشغول البار في  
 أيها أفضل أن يشتري مضحه ماء أو عددا من الضان ، وتردد في اختيار  
 أحدهما ، وما عنده من المال هو كل ما يملكه ولا يريد أن يجازف به في  
 مشروع فاشل ، فاذا هو في ذلت اليوم وجها لوجه مع طه الفريخ في معطف  
 طريق عند بيته ، فأوقفه طه الفريخ وهو يقول له دون مقدمات :

— ابن فريخ يقول انصب المضخة .

فاستمع الرجل الى نصيحته وعمل بموجبها ، وفي موسم واحد استمد  
 منها بقدر ما صرف لها من المال .

ولا بد أن أسوق هنا ملحقا لحكية طه الفريخ ، وهو أنني ذات يوم  
 زارني في بيتي شخص ذو منزلة حكومية مرموقة وسألني بينما كما تحدث  
 عن سامراء :

— تعرف طه الفريخ ؟

- صبا اعرفه ، وهو يمداك مد سوان بعيدة .  
فصل لي :
- اعرف انه بوي ، وليني اساتك كيف مات ؟  
فملت له :
- ثا يسوت كل الناس ..
- قصد هل مرض ومات واين قبره ؟
- ما يعرف ذلك احد ، ويسار انه ابعد ي الصيالي اسي محيط بسامراء  
فمات عطشا والته الدتاي .
- فضحك مني دلت الزائر ، وقال :
- يا عزيزي ، لدسور ، ان طه سريع وبني من اولياء الله وقد توفي  
وغسله املائكه بماء الورد ، ورفعته الى السماء ..
- فما بدا على وجهي الاسفراب وهي ما سمعته منه قال :
- نعم ان ذلك مؤكد .

وامسكت عن محاججه هذا الزائر الى ان عادر بيتي وهو يعتقد انه  
افادني بمعلومات عن طه القريع فانت لولاه علي .

ومن اخبار طه القريع التي لا اساهها فط الحادث الآتي :

ذات ليلة ظلماء من شهر سوز يوم كنت طالباً في ثانوية بغداد وقد  
جئت الى سامراء في العطلة الصيفيه ، وفيما ان اقترب من باب بيتنا أحسست  
بهاجس داخلي دفعني الى أن انظر الى ما تحت (الطاق) فاذا بي أرى كومة  
سوداء تملل بلا معالم ، وركزت نظري على هذه الكومة فاذا هي رجل عار  
كما ولدته أمه فاعداً القرفصاء وكمن يريد أن يستر عورته ، وهو يرفع رأسه  
نحوي الذي بدا لي طويلاً كرأس الحصان ، ثم بكشمت لي عيناه فاذا هما  
تحدقان فيّ بشزر وغضب ، وتراءتا لي حمراوين تقدحان شرراً وحقدأ .

وحين أصت النظر إليه دون اراده مي لاجلو الحميه من الحيى ، حينئذ  
 داهمني دهن ورعب شل فواي ، فاردت ان اصرح خوفا ورعبا ونكسي  
 عجزت ، و اردت ان اهرب فما اسنطعت ، ثم سمعت لسايسع السام تحت  
 وطاء حلم بفيل ضربات اقدام تدب منعجله على الارض ويضرب مي ، فادا  
 هو مع المريع يقوب لي : لا تحف من هذا امجون ، وفي لحظات فبس على  
 رقبته وابعده عني كما يفاد الكباش . وتبع ذلك ظهور الشيخ ( محمد الشيخ  
 أحمد ) من بين ضمه الليل وبدم عضا من ذلك امجون وصرخ في وجهه  
 ثم هوى على صدره بعض غيظه فام على اثر ذلك المجنون مصوبا على بطنه  
 وهو يحل وراءه سلسله ثقيله من الحديد ، بخطوات بطينه مسح بها  
 الأرض والشيخ محمد يتابع صربه بعصاه حتى أدخله بيته امجاور ليينا .  
 أما أنا فقد تنفست الصعداء والتفت الى مع المريع لاشكره ورايته قد  
 اختفى . وعرفت في اليوم التالي ان مجنونا في نكيه الشيخ محمد قد هرب  
 حين نام حارسه وتسلس زاحفا حتى وصل تحت طاق يسا ليحيقني الى  
 حد الموت .

### في المدرسة الابتدائية

يوم دخولي الى المدرسة الابتدائية سنة ١٩٢٤ لم تكن في سامراء إلا  
 مدرسة واحدة بهذا الاسم . وهي في الأصل دار كبيرة بدهليز واسع مفروش  
 بالحصى ، وفناء فسيح تحيط بجهتيه الجنوبية والشرقية خمس حجرات  
 بسعات متفاوتة ، وكل منها بافدة واحدة الى جانب بابها ، إلا واحدة منها  
 كانت طويلة بالنسبة لعرضها أقيمت على جانبها المظل على فناء الدار معالف  
 للحمير والخيول والبغال التي تحمل الايرانيين الذين يقدمون الى العراق  
 لزيارة العتبات المقدسة ، وقد طوّرت هذه الحجرة الطويلة لتكون مها  
 حجرتان واحدة لادارة المدرسة والأخرى مخزنا لها . وعين للسدرسة مدير  
 من أهل الأعظمية اسمه ( إبراهيم عمر ) ، وهو ذاكن البثرة ونفطي وجهه

بدوب واسعة من فعل ( حبه بغداد ) التي ذات منسره يومند في الاعطيه  
يسدل حص حتى أصبحت علامه فاروقه من يسكن هذه المديه . ثم أضيف  
الى ملاك هذه امدرسه معلمان بخرج معا من دار المعلمين الابتدائية ، كان  
احدهما ( جسد الاوسي ) والاخر ( داود يحيى ) وكلاهما من اهل تكريت ،  
وكان يصحب هذا المعلم الاخير اخوه صهر يحيى ( رئيس وزراء العراق في  
سنة ١٩٦٨ ) فكان هذا احد زملائي في هذه المدرسة سنة ١٩٣٠ ، ثم أضيف  
الى ملاك هذه المدرسة معلمان احدهما اسمه ( عمر خطاب ) وهو من اهل  
الاعطيه ايضا ، والاخر اسمه ( موسى معلم ) وهو من يهود بغداد ، لتعليم  
لغته الانكليزية . وفي سنة ١٩٣٩ أضيف الى هذا الكادر المدرسي معلم  
معهم من اهل سامراء هو ( سيد علي الياسين ) أخو ملاطه الياسين العالم  
الديني ، ودرس من اترابي في الصف الخامس صالبان هما مزاحم ماهر وآخر  
اسمه ( عايد ) ينارعايني بصميم عني الاولويه في هذا الصف ، وكنت أغار  
منهما بكبت ، ولا اضنهما كانا يعسا ذلك ، فادا حصلا في امتحان على درجه  
أعنى مما أحصل فيه ، فلا يضيب لي هذا الصوق ، مع اني اعترف أنهما  
يستحقانه ، إذ كان خط عايد أجمل من خطي ، ودفاره أطف من دفاري ،  
وأجوبه على أسئلة المعلمين ترضيهم أكثر مما ترضيهم أجوبتي .

وعايد من عائلة غير موسرة على بفيض عائسي ، فأخاف أشد الخوف  
أن يعرف أهلي تفوقه عني ، وفي السنة الخامسة انقطع عايد عن الدوام في  
المدرسة ليعمل مع أبيه في السوق ، ثم عمل (بلاماً) في نهر دجلة ليعمل في  
فاريه من يريد عبور النهر الى الجانب الغربي وبالعكس . وقد فرحت في  
سري لذلك ، إذ خلا لي ميدان الصف من منافس عايد ، وصار مزاحم ماهر  
مرافب صفوف المدرسة وصرت أنا معاونه . ولم أر (عايد) إلا بعد أكثر  
من تسع عشرة سنة فاذا هو عريف في شرطة المرور في منطقة ( إمام طه )  
حيث أقيم بعد ذلك تثال (الرصافي) ، وكنت يومئذ قد أصبحت طبيباً ولي

سياره حصة ، فدا مررت به إبتسم له من بعيد فيسمح لسيارتي الطريق  
حين زدحم فيه الميراب ، وما أصير الى جانبه يألني براءة ونجب :

— ابن عبي شلونك ؟

فأجيبه بشكر وأنا أقول في سري ( سبحان الله ، هو الآن شرطي وأنا  
ضيب ، وكن يوماً يتقدمني في المدرسة ، وأنا اليوم أتقدمه في الجاه  
وامان ! ) •

وأسأله :

— شلونك ؟

فيجيبني برضى وقناعة :

— شكر الله ••

وأقف قليلاً عنده وأنا أحاور نفسي بخجل فيما آل إليه كل منا ،  
ولله في خلقه شؤون •

و ذات يوم حين وقفت بسيارتي الى جانبه رفع رأسه نحوي من خلال  
نافذتها وطب مني أن أتوسط له لدى مدير شرطة بغداد لترقيته الى رتبة  
( خيطن ) ، وقد استجبت لطلبه وحمدت الله ان مدير الشرطة استجاب لرجائي  
الذي رفعته إليه السيدة زوجته التي كانت يومئذ من مريضاتي • ورأته يوم  
حمل الخيطن على عضده ، فرحاً ممتاً وهو يقول لي :

— ابن عبي أشكرك •

وعرفت بدهياً لماذا يشكرني ، فقلت له :

— أنا بخدمتك •

وكان في الحقيقة يستحق مني الخدمة والتقدير منذ كان معي في المدرسة  
الابتدائية وهو ينقدمني في سنتها الأخيرة ، فأنجلت خدمتي له الى هذا  
اليوم لعدم توفر الفرص الى جانبه ليكمل تعليمه مثلما توفرت لي لأكمل  
تعليمي •

ولم أرَ عايد بعد ذلك الى هذا اليوم •

## قتيل على قارعة الطريق

كان الوقت ظهراً حين عدت من المدرسة الى البيت عن طريق سوق اليهود ، فاجتذبت نظري جمهرة من الرجال مجتمعين في منعطف السوق الى ستا ، وعلى وجوههم الوجوم وهم يتطلعون الى شيء ما ملقى على قارعة الطريق . ودفعني حب الاستطلاع لأعرف سبب ذلك . قدست رأسي في فرجة بين أرجل أولئك الرجال ، فارتعبت أي رعب حين شاهدت رجلاً لم أتبين منه سوى رجليه ، وإحدى يديه وهي مبسوطة بارتغاء الى جانبه . أما رأسه وجسده فقد غطتهما عباءة سوداء ومن تحت طرفها ينحدر ببطء دم يتجمع قريباً من صدره . وأخافني ما رأيته ، فهرولت الى بيتا لأصل في الوقت المحدد حذراً من غضب أمي إذا تأخرت . واتبعت أمي الى رعيي فقصصت عليها ما شاهدته في سوق اليهود ، فما كان منها إلا ان مسكت أذني ولوتها وهي تقول لي :

— الكذب فتنة ، والفتنة أشد من القتل .

وحاولت أن أؤكد لها صدق ما قلته لها ، غير أنها أسكتني بإشارة غاضبة ، وحين دخل أبي الى البيت سمعت أمي تسأله بمس عن الحادث الذي أخبرتها عنه ، فأكد لها الحقيقة التي شاهدها بعيني . وأنصت الى ما ستقوله عني ، فلم أسمعها تقول شيئاً ، ومرت من أمامي صامتة لهيئة (صواني) الغداء .



وبعد سنوات طوال عرفت قصة هذا القتل واسمه (عزاوي) وهو من عشيرة البوعباس ، وذو يسار ونعمة ، وقد خطب لنفسه فتاة من عشيرته يحبها وربما هي تحبه أيضاً . كما انها قريبة من رجل آخر كثير الكلام قليل الفعل ولذلك كان الناس يلقبونه (جبعج) أي ذي الادعاءات الكاذبة . وسمع عزاوي أن جميع ينهاء عن الزواج بتلك الفتاة . و(النهوة) معناها

القتل إذا لم ينته من ينهي • وهو تقليد عشائري يعمل به أهل سامراء •  
فقال عزاي حين سمع بالهوة من خصمه جميع :  
— إذا كان جميع يستطيع قتلي فتباً لي ومرحباً بالموت •  
ولم يأخذ عزاي حذره من القتل • فانتظره خصمه جميع قرب قهوة  
صالح الحبيب ، وتقابلا ، واستل جميع خنجره من مخزئه وهجم عليه ، ولم  
يكن عزاي مسلحاً ، وطعنه ثلاث طعنات متتالية فخر عزاي صريعاً يرفس  
حتى انقطعت عنه الحياة •

### مفتش المعارف نوري ثابت وشمعون أفندي

وأذكر حدثاً في يوم أخبرنا فيه مدير المدرسة إبراهيم أفندي ، أن مفتش  
المعارف (نوري ثابت) سيزور المدرسة للاطلاع على سير التعليم فيها • ودخل  
نوري ثابت (الصف السادس) الذي كُت فيه وكان رجلاً في نحو الثلاثين من  
العمر بتقديري ، وذا قيافة جذابة ، وملبس لائق بكبار موظفي الدولة ،  
ويتدلى من جيبه الأيسر الأعلى منديل من الحرير الأبيض • وكان يصحب  
المفتش نوري ثابت شخص بطن منتفخة ووجه ممتلئ ، قدّمه المفتش  
نوري ثابت الى طلاب الصف كأحد رجال التربية الكبار في بغداد ، ورئيس  
مدارس الأليانس اليهودية في العراق اسمه (شمعون أفندي) • وكان هذا  
الرجل يحمل على ألقه عوينات داكنة ، وقد يكون في إحدى عينيه تشويه  
فاضطر الى اخفائه بهذه الطريقة •

كما قال المفتش نوري ثابت ان شمعون أفندي كبير معلمي الحساب في  
المدارس اليهودية ببغداد ، فطلب نوري ثابت منه أن يمتحن طلاب صفي في  
موضوع الحساب • فتردد شمعون أفندي أن يستجيب لهذا الطلب ، ثم  
قال أخيراً :

— طيب ، أسأل : المتر المكعب كم نصف متر مكعب ؟  
ومن المتوقع أن يجيب الطلبة : بأنه إثنان • ورأيت إذا كان هذا هو

الجواب فالسؤال يبدو تافهاً جداً فاستبعدت هذه الإجابة ولا بد أن يكون  
الجواب غير ذلك. وأجاب أكثر الطلاب أن المتر المكعب إثنان بنصف متر مكعب،  
ورفعت يدي بعد أن سكت الطلبة منتظرين الجواب من شمعون أفندي ،  
فأجاز لي أن أجيب عن السؤال ، فقلت :  
— ثمانية ١

وضحك زملائي الطلبة استهزاءً بجوابي • أما شمعون أفندي  
فابتسم وقال :

— نعم ، أنت مصعب يا ولدي •  
ودس يده في جيب سترته الداخلي ، وأخرج منه قلماً وقدمه لي  
تقديراً لجوابي الصحيح • وكان ذلك القلم من نوع (الباندان) أي من النوع  
الذي يختزن في داخله الحبر فيسيل عند الكتابة دون حاجة إلى غمسه في  
حبر المحبرة •



وكنت أتسلى في مساء كل يوم عند غروب الشمس حين أذهب إلى باب  
سور الناصرية لأجيء بنعاجنا الأربع من قطيع الراعي ( محمد البهاني )  
الذي يقف عند مدخل باب السور • وكان هذا الواجب يروق لي طالما  
يحررني من البقاء داخل البيت • كما كان هذا الراعي يلبسه القفاز  
المنهدل من كل أطرافه ، وعصاه الطويلة المعقوفة عند نهايتها ، ومن ورائه  
كلبه الأبقع الضخم ، ومن خلفهما قرص الشمس القرمزي وهي تحدر رويداً  
وراء الأفق الفسيح ؛ كان كل ذلك يستهويني ويشرح صدري ولا يفيضني  
منها إلا سرعة أخذ نعاجنا إلى البيت •

كذلك كان يستهويني رؤية أفواج الخفافيش التي تعج في الفضاء رائحة  
إلى نهر دجلة أو عائدة منه ، وكنت أنا وأصحابي الصبيان الذين بعمرى  
نستهدفها بضرب الحصى ونستغرب أشد الاستغراب حين تنفادى تلك



الحيوانات الطائرة الضربات بسرعة مذهلة فلا نصيب واحدة منها بالرغم من كثرة أعدادها •

× × ×

كذلك كنت أستمع بالتردد على آثار العباسيين ، فأطوف مع أترابي في أيام العطل المدرسية أرجاء المسجد الجامع ، ومرتقي المئذنة الملوية ، وتتسلق دار الخلافة المطل على نهر دجلة لتصيد فراخ الحمام وطيور الشاهين والبوم التي تحوم بين خرائب تلك الآثار ، فنعرف أمكنة أعشاشها من أصواتها الحادة التي نسمعها من بعيد ، فتتابع مسير طيرانها حتى تحط على تلك الأعشاش •

ومرة كنت وصديقي ( سعيد عباس ) في صباح أول يوم من عيد الأضحى تسكع بين أطلال المسجد الجامع العباسي ، وهي عادة يألفها أولاد سامراء في هذه المناسبة ، فسمعنا أصوات فراخ طير الشاهين في جحر بأعالي حائط الجامع ، وحين رفعنا رأسينا لنضبط مصدر الأصوات شاهدنا هذا الطير في مدخل جحر عال وهو ينفذ ما في جوفه في أفواه فراخه التي تزدهم على مدخل عشها • وأطال سعيد النظر الى تلك الفراخ في عشها ليقدر علو مكانها عن الأرض ، ولم يكن أقل من تسعة أمتار ، فقال لي :

— سأتسلق الجدار حتى أصل إليها •

فقلت له :

— إحذر يا سعيد فانه عال •

— إن في الجدار حجارات بارزة تساعد يدي ورجلي أن أتسلقها بسهولة • وكان إصطياد فراخ الشاهين متعة لا نستطيع ونحس في ذلك العمر مقاومتها بالرغم من اننا نعلم يقيناً ان أكثر هذه الفراخ تضرب عن تناول طعامها من أيدينا حتى تنفق •

وحين شرع سعيد بتسلق الجدار كان طير الشاهين يطعم فراخه بنشف

ما حمله بسقره من لحوم الجرايع والفيران • وطار طير الشاهين حين رأى سعيد يقترب من عشه ، غير انه عاد يحوم وهو يزغق بغضب ، ويقترب من سعيد الذي كان يتشبث بحجارة مدخل العش ، ومرة كاد يضربه بجناحيه ومخليه ، وسعيد غير مكترث بذلك حتى وصل الى عشه ، وأخرج منه فرخاً ملاً كنه ، ووضعه في جيب دشداشته ، وأدخل يده في العش مرة أخرى ، وأخرج منه فرخاً آخر ، وشرع ينحدر من العش شيئاً فشيئاً ، وبحذر وخوف شديد ، ولم يبق لتصل قدماه الأرض إلا نحو قامتين ، حينذاك انخلعت الحجارة التي يمسكها يمينه ، فتهاوى على الأرض كجلود صخر بلا حراك • ولم أعرف انه أصيب بأذى كبير ، فتجاهلته بدافع رؤية فرخي طير الشاهين ، فأخرجت الفرخين من جيبه وانشغلت بالنظر إليهما بعين الظفر ، وهما لا يكفان عن تمش ريشهما الناعم الرقيق الذي يشبه القطن المنفوش ، ويدفعان جسميهما عني بنفور ليتخلصا من قبضة يدي ، ورفعتهما على راحة يدي ليراهما سعيد ، غير انه لم يبد مهتماً بصيده الثمين وناديته مرتين فاذا هو بلا جواب ولا حراك ، ونفسه يتقطع ، ووجهه شاحب معصور الملامح ، فأجابني ببذاء وصعوبة أخافتني ، وسألته :

— ما بك يا سعيد ؟

فأجابني بعد أن كررت سؤالي :

— رجلي !

— ما بها ؟

— لا أعلم •

وتلمست إحدى رجليه ، ثم تلمست الأخرى فصرخ متوجعاً ، فنهضت مذعوراً أنادي بأعلى صوتي لأطلب مساعدة راعٍ كان قريباً منا ، فأودعته عنده وذهبت لأخبر والد سعيد بما حدث لأبنة ، ثم جلسنا في محفة على بساط الى بيته ليحبر رجله المكسورة ( أحمد الحمد حار ) ، وبسرعة غادر بيته معافى •

وتباعد مسمى حياتي وحياة سعيد في المراحل التالية ، فامتحن التعليم ثم الصحافة ، والموت يتربص له بعد أن فشل في ازهاق روحه حين سقط من عش طير الشاهين ، فاذا هو يبال منه برصاصة طائشة في شارع الرشيد بالقرب من مدخل وزارة الدفاع وكان ذلك في اليوم الثاني من حكومة جيل المدفعي التي شكلها في ١٩٤١/٦/٢ وأعقب فشل ثورة مايس سنة ١٩٤١ •

### مرض أبي والطيبان العجمي والهندي/١٩٢٩

في مساء يوم بارد من شهر كانون الثاني اجتذبت انتباهي حركات غير اعتيادية لا تخلو من قلق واضطراب بين أهلي من الرجال والنساء ، فقد كانوا يصعدون السلم الى غرفة ( لطاق ) في طابق البيت الأعلى وينزلون عنها ، ويدخل عمي الكبير البيت ويليه عمي الآخرا ، ويرتقون السلم الى غرفة الطاق بقلق واهتمام ، أما أمي وأختي فلم يشاركن هذا التجمع في غرفة الطاق ، كنّ قابعات واحدة بجانب الأخرى عند مدخل الحجرة التي الى يسار مدخل البيت ، وأمي أكثرهن شروداً عما يدور حولها في البيت ، وهي تحرك بأصابعها حبات المسبحة الطويلة التي لا تفارق يديها • كان كل شيء غير مألوف لديّ ولا أعرف له سبباً • وسمعت من يقول : حضر الحكيم العجمي • فاستقبله أخي الصغير وقاده يصعدان درجات السلم الى غرفة الطاق ، فاقفيت أثرهما وتسلفت من بين أرجل الكبار الذين كانوا يحيطون بأبي وهو يتلوى على فراشه من آلام في بطنه ، وقد اضطجع على حشية وطيئة على أرضية الغرفة • وجلس الحكيم العجمي عند رأسه ، وعمي الصغير يمسك يمينه الفانوس النفطي فوق رأسيهما • وسرعان ما جاء أخي الأصغر بفانوس آخر وحمله فوق بطن أبي التي بانت لي حينئذ منتفخة أكثر من المعتاد • وتبينت لي معالم (الحكيم) حين ارداد الضوء عليه فاذا هو مربع القامة ممتلىء الجسم والوجه وذو لحية حمراء ، وعلى رأسه عتّة

بيضاء غير الذي ألتها في سامراء . وسمعت الحكيم يسأل عما يشكو منه أبي بلغة عربية فصيحة غير انها مفككة . ورأيت أبي يحاول أن يجيب على سؤاله ، إلا انه كان متعباً ، وكانت عيناه غائرتين ، فاكفى بإشارة من إصبعه الى بطنه ، ولم يقل شيئاً ، ويبدو أن الحكيم قد فهم ما عناء أبي بهذه الاشارة ، فمد يده يتلصص رشح أبي ، ثم بسطها على بطنه يتحسس ما في داخلها . وبعد لحظة تفكير رفع رأسه وقال لعبي الكبير :

— بسيطة إن شاء الله . مدعقة ملح بقدرح اسكنجيين ، فاذا تقيأ شفي باذن الله . ولم يغادر الحكيم بيتنا حتى استحضر أخي ما وصفه لأبي . فتقيأ مباشرة ، غير ان هذا لم يشفه ولا خفف مما كان يشكوه من ألم ، بل زادت تكراراً وشدة . ولا أذكر كيف انقضت تلك الليلة ، وحين أصبحت رأيت أهلي ما زالوا صاعدين نازلين من حجرة الطاق . كما رأيت وجوهاً جديدة من الرجال يدخلون بيتنا يسألون بلهفة عن حالة أبي . ورأيت من بينهم شاباً يرتدي الطربوش ، ولم أعرف هويته ولا رأيت قبلاً ، وتقدم ذلك الشاب من أخي الكبير وقال له بعتب :

— يا أبو يونس أنت عاقل ، فاطلب لأبيك طبيب الحكومة الهندي فهو أفضل لمثل حالة (الوالد) ، فعرفت حينذاك أن في سامراء طبيين وانهما على مستويين مختلفين في نظر بعض أهالي سامراء . وجاء أخي الكبير بالطبيب الهندي . وهو طويل نحيف وداكن البشرة وذو لحية سوداء ليست قصيرة ، ويرتدي ثياباً نظيفة وعمة بيضاء بعذبة طويلة تسدل على أعالي ظهره . وحاولت أن أرقي درجات السلم الى غرفة الطاق لأرى ما يفعل الطبيب الهندي لأبي ، إلا ان أمي أمسكت بي لأقعد الى جانبها . وبعد دقائق خلناها طويلة عاد أخواي وعلى وجهيهما ما يدل على ارتياحهما لحالة أبي . وشرعا يشرحان لأمي وأنا أنصت إليهما دون اهتمام كبير طالما منعت من الصعود الى غرفة الطاق . . قالوا لأمي أن أبانا مصاب باختناق فتق مغني، وقد دفع الطبيب المعني المختنق وأعاده الى موضعه في داخل البطن ، فارتاح

أبي ، وم يعد ينام • فبذل أمي فرحاً بهم صحت وحديث الله على فميه •  
وفي هذه اللحظات أدركت مداه أبي من أمي وأحوي ، ودأ هو البذل ما  
في هذا البيت من رجال ونساء •

واستبعت في محيبي صورة ديك النسيب وعلمه اسحري في إبراء  
أمرضى • فأنجبت به إعجاباً يقرب من الحب • فيصوف في محيبي وجهه  
الضويل وابسامه أبي تشرق عن أسنانه أبيض • وابسامه أبي فيها  
البسرى والامل في حياة المريض وهل المريض • وبعد مدة لا استطيع  
تحديثها رايت هذا الطبيب مره أخرى وهو يدخل مدرسه أبي لتأخذ  
تلاميذها ، دأ أنا أشعر أن يبي وبه نعرف مند جاء ليفحص أبي في  
عرشه لنأى ، ولا بد أنه يدركني إذا رايت بين أرايت من تلاميذ المدرسه ،  
إلا أنه لم يسمت بي ، ولعل مفعه هو مفعه بعير من تلاميذ المدرسه  
يفحص عيوناً واحداً بعد واحد • وقبل أن يعادر المدرسه ضلع على حجاب  
الماء ويبت أختاره • وبعد أيام فلأول رأيت أعينه حشيه على تلك الحجاب ،  
كما رأيت دفين فحما على جاني عرف الدروس • وعرف التلاميذ أن  
لذلك دان بامر من ذلك الطبيب الهندي • كما عرفنا أن ذلك الطبيب كان  
مسلماً ولا يحونه صلاه الجمعة في الجامع الكبير بجامع القيه بامراء •

### زورس ميدانية

اعتاد مدير المدرسه إبراهيم أفندي أن يستصحب طبة الصف السادس  
في كل سنة لمشاهده الآثار العباسية في شمال سامراء ، وفي الوقت نفسه  
( ليكشطوا ) الزخارف الجصية التي تزين جدرانها ليكتب بها معلمو المدرسه  
على السبورات السوداء ، وتكون هذه المشاهدات على الأكثر في أيام  
الخميس ، وتبدأ بالمسجد الجامع ومئذنته الملوية ، فيقف إبراهيم أفندي بين  
سور المسجد والمئذنة ، ويبدأ يشرح هذين الأثرين العظيمين ، ويقول : أن  
علو هذه المئذنة نحو خمسين متراً - ويضيف بزهور - أنها أعلى مئذنة في البلاد

الاسلاميه . واري هذا مسجد اجمع اكر من ثلاثين برجاً لتسد حائطه  
ويحفظ استقامته ، كما فيه عشرون باباً ليدخل منها المصئون .

ثم يقول : تعالوا يا اولادي نعد الابواب والاذيراج ، ونحسو وراءه  
بغير انصاف الى داخل مسجد ، فعدها فدا الابراج اربعون والابواب واحد  
وعشرون . ويسهي ابراهيم افندي من درسه عن هدين الاثرين ، ثم يقودنا  
الى دار الخلافة . وكما يومئذ نسميها اخصارا (الحليفة) ، وصلها من  
الجانب الشرقي ، ونعبر هذه الدار الضخمة من تحت طعها الوسيح العالي  
لقف على جرب دجند من جانبها الشرقي ، فيقول لنا ابراهيم افندي وهو  
يشير يده الى الغرب البعيد عبر النهر :

— ترون ذلك الباء الكبير على الجانب الغربي من نهر دجة ، فذلك هو  
قصر العاشق (المعشوق) .

وحين عدنا ادراجنا لنمر من تحت الطاق مرة أخرى ، نرى قطعة خشبية  
مشورية المقطع تربط جانبي الطاق من طرفه الأعلى ، وكان يقف عليها في  
تلك اللحظة طير حمام ، ونسال ابراهيم افندي عنها فينكأ ويتلثم ويقول :

— قد تكون هذه وضعت لتقف عليها الطيور !

ويتحرك الطلبة وراء عمر افندي نحو حفرة واسعة غير عميقة تقع على  
الشمال الشرقي من دار الخلافة ويقول :

— هذه هي بركة المتوكل الخليفة العباسي .

ويكتفي بهذا القدر من التعريف بهذه البركة . وتتحرك في اتجاه  
الشرق من البركة ونقف على حافة حفرة واسعة وعميقة غير عمدة من  
البركة نفذ إليها كوة بمستوى قاعدتها ، ويقول :

— وهذه هي الهيئة التي يجلس فيها الخليفة صيده من النور والسباع  
الأخرى .

ونرى سلماً متهدماً ينحدر الى أرض هذه الهيئة ، ونطلب من عمر افندي

- أن نتحدر منه الى داخل الهيبة ، فينهان بحزم وشدة :
- لا أبدأ يا أولادي ، فقد يكون في احد جحورها بعض الحيوانات المفترسة .  
ويقول له أحد الطلاب :
- اه وأخي نتحدره قبل آدم اى داخل الهيبة ولم نر فيها أي حيوان .  
فيقول له عمر أفندي :
- هذا غلط يا ابني ، كان يجب أن لا تفعل ذلك .
- ويقول له طالب آخر وهو يشير بصبعه الى كوة صغيرة مظلمة في إحدى زوايا الهيبة ويقول له :
- سيدي ، يقول أبي ان تلك الكوة تمتد تحت الأرض حتى تصل الى سرداب القبة بجامع المهدي بسامراء الذي اختفى فيه الامام المهدي فجيئه إبراهيم أفندي ، وكأنه الحجة في ذلك .
- هذا صحيح .
- ويتحرك إبراهيم أفندي واضطربة من ورائه الى (ل العليج ) وهو مرتفع ترابي ضخم جدا ، فترقيه مهرولين ولا نصل الى قمته الواسعة إلا وأثنا متقطعة وأرجنا خائفة ، ويكون إبراهيم أفندي آخر الصاعدين عليه ، ويقف ليستريح ويتنقط أنفاسه ، ثم يقول ولم يكن قد سأل طالب عنه :
- كان للخليفة المتوكل من الخيل في عساكره ما تحتاج من الشعير لأطعامها بحجم هذا التل . وأضاف يقول : ان الخليفة أراد يوماً أن يعرف كم من الشعير تحتاج خيول عساكره في اليوم الواحد ، فأمر جنوده الخيالة أن يسأل كل واحد منهم (عليه) فرسه بالتراب ويحمله الى هذا المكان فكان من مجموعه هذا التل الكبير .
- وسأله طالب :
- ومن أين حملوا هذا التراب .
- فأجابه إبراهيم أفندي بيقين وكأنه أمر بدهي :

من رباب حمر الهية .

وسمي ان لا يكون إبراهيم أفندي ديف في معنوماه عن دريح تلك  
الآثار ، وجيئها مما سمعه من اهل سامراء ، وفيها كثير من التلخيص ما يحلله  
احصاه ، غير انها ليست بسهل عم لديه ومسعد للصارب الذين كانوا بعصريه .

في عبد الحميد وجليله المصلاويه

يوم دخلت اندرسه الابتدائية كنت قد ادركت بفهم احواني الثلاثة  
ودور كل واحد منهم في مسؤوليات البيت والعلاقة فيما بينهم وبين ابوي  
واختي ، وهي علاقة ابرر ما فيها الاحترام والساعة للكبر ، والالتزام  
بمواعيد تناول العشاء والعشاء . وكان اخي عبدالمعيد يشغل وظيفه مدير من  
الفضاء ، ويرتدي اليسماغ والعمام والعباءه ، ويكتب بخط الرفعة الجليل .  
وهو وبع بريه الحيوان ، وهو الذي يعني بحيوان الثلاثة ، ويعرف أنسابها  
من الامهات والاباء ، واما اخي الثاني فهو عبد الحميد وكان موظفا بدائرة  
بريد سامراء ، ويرتدي الطربوش والجاكيت والزبون . وقد تعلم بث  
الاشارات السغرافية في دائرة بريد سامراء حين كان يديرها ( شاكر أفندي )  
التركي الأصل . ولا أذكر اني رأيته ، وأخبره عندي على لسان أخى  
عبد الحميد ، وهي مدعاه للنندره . فقد كانت دائرته في غرفه تطل على شارع البو  
بدري ، فاداء جاء من يريد طابعا بريديا أدلى له شاكر أفندي علبة يربطها  
بخيط لتصل الى ارض الشارع ، فيضع فيها المراجع ثمن الطابع ويرفعها  
شاكر أفندي ويأخذ منها ما وضعه المراجع ويضع فيها مقابل ذلك الطابع  
بالنقطة التي تعادل قيمته ، ثم يدلي العلبة مرة أخرى الى المراجع فيلصق المراجع  
الطابع على غلاف رسالته ويودعها في داخل العلبة ليسحبها شاكر أفندي إليه .  
واذكر عن أخى حميد اهتمامه بهندامه ولباسه ، وبوضع الطربوش  
على رأسه . وذات يوم سمعت أمي تعاتبه بعنف على ترددده على بيت ( ميشيل  
أفندي ) ، وتكرر عتابها عليه ، فعلمت أن ميشيل أفندي كان يعمل مترجماً



لحكم سامر ، لانكيسزي ( ميجر بري ) وانه يعايش في بيته امرأه اسمها  
( جليده ) . وفي يوم عصبت مي على أخي حميد وضبت منه ن يقسم بالقرآن  
الكريم أن لا يدخل بيت ميسين . ودخلت على عجل حجرة امكسبة وجاءت  
بالقرآن الكريم وقالت بحمسه بحماسة :

— إذا لم تحب على هذا القرآن فسوف أقول لأبيك ما يقوله الجيران  
عنت وعن امرأه ميشيل .

وصعد أخي حميد بهذا التهديد ونهض غضباً ليغادر البيت فصاحت به :

— حميد إرجع ، وين رايح ؟ تعال تغداه . .  
فأجابها :

— رايح الى المقهى ، ولا أريد أن أتغدى .

— ارجع أبوك على وشك أن يحضر .

ودخل أبي البيت في تلك اللحظة ، وقد سمع آخر ما قالته أمي ، فبألفها :

— خير إن شاء الله ؟

فأجابته وكان شيئاً لم يحدث فيما بينها وبين أخي حميد .

— لا شيء يا أبو مجيد .

وعاد أخي حميد ليشارك أبي في تناول الغداء .

وبعد مدة وجيزة سمعت أن جليبة قد أبعدت عن سامراء إثر طلب تقدم

به أهل المحلة . وأكثر الاحتفال ان نساء سامراء هن اللواهي حشن أزواجهن

على تقديم ذلك الطلب . وبعد أشهر معدودة جاء ( الطيف الفهوجي ) بأسطوانة

وضعها على غرامفون ( أبو البوري ) كانت تغني فيها جليبة :

تموّد دليّكو      يمه الولد دللو

عدوك عليل      وساكن الجول

وهكذا عاد صوت جليبة في مقاهي سامراء بعد ان أبى أهلها أن تغني سراً في

بيت ميشيل وحده .

## سامة

وكن لي جوار بيت (دربونه) غير ضوئه ، مشفوه يعتود نصيق حتى  
سهي في عنقه عند مدخل يمين احدى لنورا اليهود والآخر لسان هذه  
لتوراد واسه حصيل، وهو الاسكاني الذي ذكره آنا . وكان لهذا الرجل  
روجه داب يدانه أكثره في بنها اسه (جحد) اي كحلاء وبت اسه (شامة)  
وهي في منتصف اعند اسني من عنقه ، مسطيه الوجه ، ناعمة البشرة ،  
واسعه العينين ، وله ولع بربيه القسط ، ولا تتردد بحكم جبرتها لنا ان  
تدخل بيت وراء إحدى فتف اسني تهرب من فطيع اربابها . وقد تقف  
شامه اسني جاني واه افرا و اكتب ، ولم يكن هي تعرف القراءة والكتابة  
فتبدي بعجبها بـ أحصه على صدحه دفترتي . وفي يوم سألتني ان اكتب  
أممها اسمي . ثم سألتني ان اكتب لها اسمها ، كمت طلبت مني ان أرسم  
قطه . ولاحظت يوماً انها تدخل بيتا ساعه عودني من المدرسة الى البيت،  
كما لاحظت انها تقف أحياناً في منعطف الدربونه تترب عودتي الى البيت ،  
وأنه أنفصل عما يدفعها الى ذلك التصرف حتى وقت متأخر حتى تقدمت مني  
يومها وسحبني بعصية الى زاوية ، على طرف الدربونه ، وحصرني بين  
جدرانها وهي تضغط بجسمها على جسدي ، وتعصرني بيديها ، وبأنفاس  
مقطعة ودافقه تفرها على وجهي . وكنت يومئذ أصفر منها بكثير ، ولكني  
مع ذلك أحسست بالرغم من نعلها بشيء من النعومة واللذة الغريبة ،  
فتخلصت من قبضتها بتردد وربما بخوف أيضاً لم أدرك طبيعته . وتكرر مثل  
ذلك مرين أو ثلاث مرات ، فدا أنا أشده كلما عدت من المدرسة، لابتدأ  
مها . ودأت يوم رأنا أبوها حصيل وهو يخرج من باب بيته ، فتخلصت  
من بين ذراعيها وهربت الى بيتنا مذعوراً ، ولم أعرف ماذا حل بها ، إننا  
انا واثق ان أبها قد رأنا بعينه الركيكتين الدامعتين لكنه على أكثر  
الاحساس لم يميز إن كن ما رآه شخصين متراصين أم شخصاً واحداً ، أو  
انه لم يعرف ما كان فيه . غير ان تصوري قد أخافني الى حد الذعر ، ومن

يومها لم أعد احذر بمقابله شامة . فاسرع الخطى لأجوز مدخل الدربوة  
لكي لا يراي شامة إن ترفت عودني من المدرسة .  
الملا رضا الواعظ - ١٩٢٦

حل ضيفا علي رجل بثل عمر أبي بمرىب، مربوع، لقامة، وردي البشرد،  
صباح الوجه ، عذب البصرات ، يكسو راسه بطربوش ملفوف حوله عمة  
بيضاء ويردي جبه زرقاء ، ويف حول رقبتة شالاً كئيفا رمادي اللون .  
وحين جلس على حشيه لصيفة بجدار الغرفة ، طلب مني أن أدنو منه ، وما  
صرت في مندول يديه طلب مني أبي أن اقبل يديه وهو يقول لي :  
- عمك ملا رضا

وفعلت ما أمرني أبي على عجل ، ثم أسرعت ابتعد عنه الى أمي في المطبخ،  
وسمعت أبي وابن عمه ملا رضا يتحدثان مرة بالعربية ومرة بالركيه، وينخل  
حديثهما أحيانا بعض الحدة ، ويرفع فيها الصوت . ورأيت أمي تنصت  
إليهما باهتمام ، فأرادت أن تجعل ما يقلقها أمراً تافهاً او طبعياً ، فقلت لي :  
- إنه ابن عم أليك .  
فقلت لها :

- لم أره قبلاً في بيتنا .  
فقلت :

- إنه يسكن في كركوك .

ولم أهضم هذا التباعد بالرغم من أنني لم أكن أعرف مكان كركوك  
من سامراء ، فسألتها :

- لماذا لا يسكن معنا في سامراء ؟

- لأن له وظيفة في كركوك .

- وما هي تلك الوظيفة ؟

- يعلم دين ، وإمامي في جامع كركوك .

فسألتها :

— ولماذا لا نتمكن نحن في كركوك ؟

— أبوك عنده شغل في سامراء .

ولا أذكر كيف انتهى حديثي مع امي . ولما بدأت تنهياً لتحضير سماء  
العداء . خنت حدة النقاش في ما بين أبي وابن عمه ملا رضا . ونهضنا الى  
سور العداء بتحابب وكان لم يكن بينهما أمر اختلف فيه .

وزار الملا رب في بيتنا في مساء اليوم التالي بعض من أهل سامراء  
كان من بينهم محمد سعيد الجبوري وعبد الوهاب ( أبو الدكتور عبداللطيف  
البدري ) وكلاهما من علماء سامراء . ومن زار ملا رضا في ذلك المساء  
رجل اسمه ( فدم ) . وهو في العقد الرابع من العمر ، كثير النكت والمقالب ،  
كما لا تنوبه الفرصة ليحضر مادب من يسول الحمرة من موطني سامراء .  
ولما حان وقت صلاة المغرب نهض اونس الضيوف واصطفوا وراء ملا رضا  
ليؤمهم في أداء الصلاة . وادكر جيداً ، حين كان الملا رضا يتلو بعض الآيات  
الكريمة القصيرة بعد سورة الفاتحة ، ارتفع نجيب من القب ويحرقه ، فادا  
هو ( فدم ) يهتق بالبكاء وينسحب من صف المصلين . وسمعت ابي بعد  
تناول العشاء يقول له :

— ما بالك ، يا فدم ؟

فأجابه فدم :

— الصحيح يا عسي أبو مجيد . ان ابن عمك الملا رضا وهو يتلو الآيات

القرآنية قد اثار في فبي الخوف من نار جهنم ، ولا اضني أنجو منها .

عمل صبياني - نيسان ١٩٢٧

وأذكر ذات صباح عيد ، وأنا أرتدي الملابس الجديدة المصنوعة من  
الحرير الصيني ، وحذاء ( الروغان ) الزاهي البراق . وأقنعني بعض أصدقائي  
ان نصيد سلحفاة من ( شريعة الناصرية ) ، وكان ذلك في أواخر شهر  
نيسان . وضر دجلة في هذا الشهر يفيض على شواطئه ، فيجرف ماؤه الأشجار  
غير الثابتة وما يكون على جرفه الذي تغمره المياه من حيوانات نافقة أو

زاحفة ، كان منها أيضاً السلاحف النهرية والشعابين وهي تتشبث بالعيدان والأشجار الطافية على سطح الماء ورؤوسها مرفوعة بنشاط لتجتاز طريقتها الى البر . في ذلك اليوم عزمنا أن نصيد سلحفاة دون أن يخطر ببالنا أن هذه الحيوانات إنما هي نهريّة لا تقوى على العيش خارج الماء طويلاً . وفيما أنا أمد يدي مستعيناً بعضاً طويلاً لأجذب إليّ سلحفاة أغراني حجمها الكبير ولونها البني المخطط بانتظام ، اختل توازني فسقطت في ماء دجلة في مكان مليء بالأعواد والحشائش وما يلتصق بها من الوحل والقار الذي ينحدر مع تيار الماء من عيون معدنية قريبة من الموصل . ولم أنجح في القبض على السلحفاة ، فقد غطست واختفت في أعماق النهر ، وخرجت أنا من النهر في حال لا أحسد عليه فقد لطّخ القار والوحل دشداشتي المصنوعة من الحرير ، وبلّ الماء الكدر حذائي الثمين ، فحاولت غسلهما بالماء ورمل الشطىء فاذا البقع التي لوّثت دشداشتي قد اتسعت وصارت كأنها قد نضحت في نطف أسود ، فلما فطنت الى ما صرن إليه فكرت أن أمضي بقية النهار في بيت عمتي زينب حتى إذا حل الظلام أذهب الى بيتي فلا يتبين لأمي ما صار لملابسي ، إلا أنني ما كدت ألج بيت عمتي حتى زعقت في وجحي وهي تقول :

— يا ملعون ألا تعرف ان هذا اليوم (عيد) وأنا جميعاً تناول الغداء في بيتكم ، هيا الى بيتكم وتلق أعمالك من أمك .  
كيف أدخل البيت وملابسي ما زالت مبتلة وملوثة بالوحل والقار؟ وأمي إذا غضبت عاقبت وقست . ودخنت البيت بتردد وخوف قاتل ..  
— كمال ، أين كنت يا شقي ( وانتبهت الى ملابسني ) وأضافت : ما هذا يا ملعون ؟

وتقدمت مني ففسرت في مكاني ، وتلمست بيديها دشداشتي وعرضتها على الضياء فازداد غضبها عليّ فمدت ذراعها وقرصت أذني بشدة ، ثم

سحبت يدي إليها وعضت على زندي بقوة وغضب • ولما اعتقدت أنها أشبعت غليلها مني أردت أن أجلس على إحدى الحشيات ، غير أنهم صرخت بي :

— فوق ، إصعد الى غرفة الطاق ، وليس لك غداء في هذا اليوم • وهرولت أصعد السلم الى غرفة الطاق وأنا أشعر بجوع لا أحتمله • وبعد دقائق عدت أنزل بعض درجات السلم لأنصت الى ما يدور من الكلام فيما بين أفراد أهلي ، فلم أسمع منهم ما يشير إلي • وأخيراً سمعت أبي يقول لأمي أن تدي عليّ لأنزل وأتناول غدائي • وانتظرت وكلي آذان صاغية فيما عسى أن تجيبه أمي ، فاذا هي تقول له :

— أبداً ، هذا شغلي ، وقلت يبقى بلا غداء ، يبقى بلا غداء • فقال لها أبي بما يشبه الرجاء أو التوسل :

— أم مجيد ، اسمعيني

— أبداً ، ولا أريد أن أسمعك

وانتهى ذلك اليوم بلا غداء حتى العشاء •

### المهرجان المدرسي الموهوم في بغداد

في السنة السادسة طلب مدير المدرسة إبراهيم أفندي من تلاميذ المدرسة أن يجتمعوا في ساحة المدرسة ، وطال انتظارهم قبل أن يطلع عليهم المدير ويده ورقة هزها في الهواء وقال يخاطبهم :

— انظروا يا أولادي ، هذا أمر من مديرية المعارف العامة وصلني بالراحة وفيه يعلمنا بإقامة مهرجان في بغداد لطلاب لواء بغداد ويكون لباس التلاميذ فيه موحداً ، قوامه قميص وسروال قصير من الخاكي ، وخوذة باللون نفسه ، وجورب طويل باللون نفسه أيضاً • وأنهى كلامه بقوله ان كل ذلك يكلف خمس روبيات ، وعلى كل طالب أن يأتي من أهله بهذا المبلغ لشرائها من بغداد • وبعد بضعة أيام وصلت تلك الألبسة بأحجام

مخزنة ، فصار بعضها منا لا يسب أجسام التلاميذ ، ومع ذلك اضطروا لارتدائها فكان من بعضهم منظراً يثير الضحك . وفي اليوم الثاني أمر المدير باستعراض التلاميذ شيئاً عني ضرب طبل صغير ، في السوق الكبير فدهش لهم أهل سامراء حين رأوا أولادهم بتلك الملابس . ومضى شهر ولم يعلن المدير عن يوم سفر التلاميذ الى بغداد للاشتراك في الاستعراضات العامة ، وتبين أخيراً ان أمر مديرية المعارف العامة الذي قرأه المدير أمام التلاميذ لم يكن إلا حيلة اقتعلتها إدارة المدرسة لتوحيد زي التلاميذ ، غير ان هذه الغاية لم تتحقق حين حلت الأشهر الباردة من شتاء تلك السنة ، فعاد التلاميذ يلبسون ما اعدوا أن يلبسونه من الدشاديش والستر (العرقينات) .

كما عرف تلامذة الصف السادس باستغراب ان الامتحان النهائي في هذه السنة سيكون في بغداد فركبهم حينذاك خليط من الخوف والرغبة في مشاهدة بغداد التي سمعوا عنها الكثير مما ليس لمثيله وجود في سامراء .

× × ×

### الكرامافون في بيت النعل بند جعفر مردان

مضت سنوات المدرسة الست بلا أزمات أرهقتني أو أفلقت أهلي ، على ان أمي على مدى تلك السنوات كانت تعاملني كطفل لا يستقيم إلا بالتوجيه ، والأمر والنهي والشدّة ، والضرب أحياناً . وهذا ما كان يفيضني ويحدّ من كبريائي وطموحاتي على ضآلتها . كما كانت تنهرني من الكلام بحضرة كبار رجال البيت والأقارب . وقد بقيت بعض روااسب هذه التربية في تصرفاتي حتى بعد عقود عديدة من عمري ، وربما الى سنوات من آخره . ويوماً عدت من المدرسة وسمعت وأنا أمر على باب بيت (النعل بند) (جعفر مردان) غناء بنغم خاص ، فتوقفت أنصت لأسمعه بتعجب بعد أن تأكدت ان ذلك الغناء لا يمكن ان يخرج من فم بني آدم ، وتلصصت من

خلال شقوق باب البيت ، فرأيت بضعة رجال يحيطون بآلة يعلوها بوق كبير أحمر اللون . ثم رأيت جعفرأ يرفع قرصاً أسود عن سطح تلك الآلة فوقف الغناء . ويأخذ قرصاً آخر مثله كان الى جانب الآلة ، وسمعه يقول لأصحابه :

— وهذا هو ( نجم الشيخلي ) ..

ويدور القرص فاذا أنا أسمع غناءً من نوع آخر ..

وكان جعفر مردان ، بتقديري ، بنحو الاربعين من العمر ، تغطي أكثر وجهه لحية سوداء كثة . ولا يعرف أحد في سامراء أصل عائلة هذا الرجل أكثر من أنه من أهل (كفري) الذين يتكلمون بلغة هي خليط من الكردية والتركمانية والعربية . ومع ان جعفر مردان كان يعمل موظفاً في الشرطة الخيالة بسامراء لتركيب حدوات دوابها ، غير انه لم يكن يرتدي ما يدل على انه موظف في دائرة الشرطة . كما كان متديناً وملتزماً بأداء الفروض الشرعية في أيام الجمع والأعياد ، وهو في هذه الظروف يتطيب بماء الورد ويكحل عينيه ويرتدي أفضل ملابسه .

وكان لجعفر أخت في أواخر العقد الثاني من عمرها ، جميلة المحيا ، واسعة العينين ، رطبة العود ، لينة الخلق بأدب وحشمة ، وهي كل عائلة جعفر في سامراء .

ويوما عاد جعفر من بغداد ومعه الآلة التي عرفت بعدئذ في سامراء باسم (گرامفون) الذي ذكرته آنفاً . وبقيت أنظر من شقوق الباب الى ما في حجرة جعفر واستمع الى ما ينبعث منها من موسيقى وغناء . وحين انتهت ضيوف جعفر من الاستماع الى صوت نجم الشيخلي . أبعدوا رؤوسهم عن فتحة بوق الگرامفون وهم يقولون بتعجب :

— عيش وشوف ، بعد ما يخلقون إلا الانسان!  
فقال لهم جعفر :



— استغفر الله فالحق لله وحده .

وحين رأيت ضيوف جعفر يتهيئون للانصراف ابتعدت عن باب بيته  
ومررت الى بيتي ، وقصصت بقاء ما رأيته وسمعت في اليوم التالي  
لأصدقائي في المدرسة ، ويا ليتني لم أفعل ذلك ، فقد وصل ما رويته لهم  
الى أمي ، وأمي لها طريقتهما الخاصة في متابعة أخباري خارج البيت .  
والأمهات يتبادلن دوماً المعلومات عن أولادهن في صيغة التباري والمضارعة .  
فأقبلت أمي عليّ وأمسكت بأذني دون مقدمة وسألني :

— وين كنت قبل يومين ( يا وكيج ) ؟ قول وين كنت ؟

وكان جوابي السكوت ، فلا يجدي دفاعي شيئاً . واستطردت أمي  
تقول :

— إذا سمعت تروح الى بيت جعفر ، أنت تعرف ما أفعله ، هذا حرام وكفر .  
وأردت أن أقول لها شيئاً فصرخت بوجهي تقول :

— ما أريد أسمع منك ، أسكت .

مكتبة أخي رشيد

كانت أمي لا تستيخ ذهابي الى بيت أي من أصدقائي حتى لو كان  
ذلك للمذاكرة في دروسي قبيل الامتحانات ، ولا تسمح ايضاً أن يجيء  
أحدهم للدراسة معي في بيتنا . فأنوس إليها ولا فائدة ، وإذا ألححت عليها  
بالرجاء ، صرخت في وجهي تقول :

— أبداً ، ادرس وحدك !

— ماما ، إذا ندرس جماعة تفهم أحسن .

— أبداً ، تلتهمون بالضحك والسوالف ..

وأكرر ، ولكن في سرّي ، فأين لي الجرأة أن أكرر على مسمع منها .  
وحين درجت الى الصف السادس في المدرسة وصار بمكنتي ان أقرأ الكتب  
غير المدرسية ، تملكني حب الكتاب والقراءة فيه ، فلا أقاوم اغراء قراءة

ما يقع بيدي من الكتب ، أو ما هو غريب في عنوانه أو مضامينه ، فأحصل عليه حتى لو كنت لا أفهم دقائق ما في معظمه .

وكان في الحجرة التي تلي (مجاز) بيتا كوة بنيت فيها بضعة رفوف جصية وصنعت عليها بضع عشرات من الكتب لأخي رشيد الذي يتقدمني في العمر ، وكان يوليها عناية واهتماماً خاصاً ، ويكثر القراءة فيها . وكنا نسير الى هذه الكوة باسم (المكتبة) . وذات يوم تناولت أحد تلك الكتب وأخذت أتصفحه ، فنهرتني أمي ونهتني أن (ألع) بكتب أخي ، غير أنها عادت اليّ بعد لحظات وسألتني مستعلمة إن كان بوسعي القراءة في تلك الكتب ، فكان سؤالها بالنسبة لمفهومى إيذاً منها أن أطلع عليها ، فالتقطت منها وهي واقفة الى جانبي كتاباً بأوراق صفر باسم ( كتاب الحيوان ) فإذا بقراءته ليست صعبة كما ظننت ، واستهوتني غرابة محتوياته وقصصه عن الحيوان وأنواعه من الدواب والسباع والزواحف والطيور ، وعرفت بعدئذ أن ذلك الكتاب من تأليف شخص اسمه (الجاحظ) . وبدأت منذ ذلك اليوم أقرأ بإذن من أمي كتب أخي واحداً واحداً ، وأطرح الكتاب ولا أرجع اليه إذا عرفت من أول صفحاته أنه ليس ككتاب الحيوان فائدة وممتعة ، فانقطعت الى كتاب الحيوان للجاحظ دون سواه من مكتبة أخي رشيد ، ولم أقرأ غيره حتى كان ذات يوم زارنا فيه صديق أخي رشيد ، وهو من أهل الكاظمية ، ويعتم بطربوش أحمر يلف حوله قماش بلون أخضر ، وسمعت يحاور أخي ويمر في حديثهما اسم الجاحظ فأصغيت حينذاك الى حديثهما باهتمام بالغ لأستمع الى ما يقولان عنه ، فاذا هما لا يذكران شيئاً عن كتاب الحيوان ، فياخذني العجب حتى اعتقدت أنني أعرف عن هذا الكتاب أكثر مما يعرفان . وسمعتهما أيضاً يذكران ( مقامات الحريري ) ، واختلنا على نص فيه فنهض أخي الى رفوف مكتبته والتقط هذا الكتاب ليحتكما إليه ، فانصت الى ما قرأ أخي فيه ، وقد أعجبتني صياغة عباراته

والسجع المستطرد فيه . وكنت قد رأيت هذا الكتاب على رف في المكتبة إلا أنه لم ينل مني اهتماماً بأي قدر ، فلما سمعت ما قرأه أخي فيه عدت الى الكتب بعد أن غادر الضيف بيتنا ، وشرعت أقرأ فيه ، وفي هذه المرة أيضاً لم أرَ فيه ما وجدته من المتعة التي وجدتها في كتاب الحيوان للجاحظ . فصار لي هذا الكتاب أفضل ما في مكتبة أخي من الكتب جميعها ، وقد يكون هذا الكتاب العامل الأول الذي أثبت في نفسي حب الكتاب واقتنائه . وبعد سنوات من ذلك التاريخ البعيد صرت أعلم أن الكتاب شيء مهم ، ومفيد ، وممتع ، فأحببته حباً جماً ، ودفعت لامتلاكه غالي الثمن ، وغيت به غاية العناية حتى أصبح لدي عدد كبير منها وخصصت لها أفضل حجرات بيتي وأوسعها .

#### الامتحان النهائي في بغداد/ ١٩٢٦

حين علمت أن امتحان الصف السادس النهائي سيكون في بغداد شغل بالي هذا الأمر أياماً وليالي تهيؤاً لرؤية بغداد وتنهياً من عظمتها كعاصمة للقطر العراقي . وفي اليوم المحدد للسفر إليها استيقظت مبكراً وارتديت ملابسني ، وأهلي ما يزالون يغطون في نومهم ، ثم سمعت أبي يسلأ إبريقاً ليتوضأ لصلاة الفجر . وبعد قليل دبت الحركة في البيت ، وفتحت أبواب حجراته واحدة تلو الأخرى ، وأوقدت النار في المطبخ لاعداد طعام الفطور ، بينما كنت منهمكاً في جمع ملابسني ودفاتري القليلة في صرة صغيرة وهي كل أمتعتي للسفر . وحتى ذلك اليوم لم أكن أدرك موقعي من قلبي أبي وأمي ، ولا مكانهما من قلبي ، وربما كنت أعدهما ضروريين لإعاشتي أكثر مما هما أساس كياني ، أو أنهما بالنسبة لي بأهمية الطعام لاغذائي ، أو البيت لإيوائي ، لا أكثر من ذلك . وفي تلك الأيام كانت أمي تعامل أختي أكثر لئلاً وحناناً من معاملتها لشخصي ، فأغبطهما على ذلك غيرة وحسداً . غير أن هذا الانطباع قد تبدد حين ضمتني أمي الى صدرها وهي تقبلني وتنشج

بالبكاء على فراقي وكأني مسافر الى عالم الظلمات . ولما تقدمت من أبي لأقبل يديه مودعاً ، احتضنني الى صدره وقبّل وجهي بحنان لم ألس منه مثل ذلك قبلاً البتة ، وحين قصدت باب البيت لأغادره هرعت أختاي ورأني وقبلتاني بحرارة واحدة بعد الأخرى ثم انسحبتا بسرعة الى داخل البيت .

وكان أخي الكبير (مجيد) قد أصرّ أن يصحبني الى بغداد ، فعبّرنا ضر دجلة في قارب انساب هيناً الى قرية «القلعة» على الجانب الأيمن من النهر ، حيث يقف القطار ليحمل المسافرين الى بغداد . ولم أكن قد رأيت قطاراً عن قرب قبل ذلك اليوم ، فدهشت لعجلاته الضخمة ، وزفير ماكنته ، وكثافة الدخان الذي ينبعث منها . وانتظرت حركته بفارغ الصبر ، وكأني بذلك لأضمن سفري الى بغداد ، فهل يزحف هذا القطار كما تفعل العربات التي تجرها الخيول ببطء ثقيل ، أم ينزلق كما تنساب القوارب على صفحة الماء . وأخيراً صفّرت ماكنته إيذاناً ببدء حركته ، واستغربت أن لا يكون ذلك الصغير قوياً يناسب حجم الماكينة الضخم ، بل ناعماً وحاداً لا غير ذلك . واهتزت العربات المربوطة الى الماكينة تتحرك الى أمام ثم فجأة الى خلف ، وهدأت برهة ثم اهتزت ، وبدأت تسير ببطء ، ثقيلة مترنة ولم تلبث طويلاً حتى صار القطار يغالب الريح ليصل محطة بلد ، ثم محطة سمكة ثم محطة المشاهدة ثم محطة التاجي ، ثم محطة الكاظمية ، وأخيراً محطة بغداد ، وقد وصلها القطار في أول ظلمة الليل ، فانحدرنا من عربة القطار ووضعت (صرة) حاجياتي تحت إبطي أسرع الخطى وراء أخي . وفي باحة المحطة كان يقف عدد من العربات السود النظيفة ، مربوطة الى خيول حُمر رشيقة ، وتندلى على أصدائها ذبل بالوان زاهية ، وعلى صدورها أحزمة من الجلد مزينة بأزرار معدنية لمّاعة لم أر مثلها في حياتي بسمراء ، واستقلنا واحدة من تلك العربات فحملتنا عبر طرقات ضيقة الى بيت صديق أخي (مجيد) واسمه الحاج (حسين اللوز) في محلة (السوامرة) بجانب الكرخ .

ولما طرأ باب مضيق سرعان ما رأينا من حلال شقوقه ضوء أصبح انبثت يحرك نوره من عل وبيضاء واضطراب ، ثم انفتح الباب وطلع علينا الحاج حسين النور وهو يرفع يسراه الفانوس الفضي ، وهدمنا وهو يردد عبارات الراحين ، الى السلم الطابوقي المنوي لنصعد الى غرفه الضيوف في طابق البيت العلوي المنسل على الطريق من جهة وعلى فناء البيت من الجهة المقابلة ، وكان في العرفه حين ولجناها رجالان أحدهما في نحو الستين من عمره ، يلف على راسه (اليشماغ) وقوفه عقال ضخم كالذي يلبسه وجهاء البصرة ، وهو أيضاً مثل المعدن الذي يضعه ابي على راسه ، كما تتسدل على صدر ذلك الرجل لحية غلب على شعرها الشيب . ونهض هذا الرجل من مجلسه مستعياً بذكر اسم الله وفي يده خرطوم التركيله التي كانت أمامه ، وتبادل التحيات والقبول مع أخي عرفت منها ان اسمه (الحاج علوان) من أهل بعقوبة . اما الرجل الآخر فكان أصغر عمراً من الرجل الأول بكثير ، وأطول قاماً وارفح عوداً ، وكانت مقابلته مع أخي بتهيب وبرود .

وبدأ الرجال يسمرون حول الفانوس الفضي الكبير الذي يتوسط الغرفة . كم كانت أحاديثهم ممتعة ، إظهارها أكثر فناً من موضوعها ، فيها عبث أكثر مما كان فيها جد ، وفيها براءة وبساطه وتفاهم وفناعة . ولما انتصف الليل جاء الحاج حسين ( برفية ) كروية كبيرة بلون أخضر غامق يعرف باسم (الكرجي) ، وشطرها أفساماً بشكل الأهلة ، التهناتها بأصابعه وحن وقت النوم ففرشت لنا الحشيات جنباً الى جنب ، فصار منامي بين فراش أخي وفراش الحاج علوان ذي اللحية الكثة الطويلة ، وفي لحظات غط هذا الرجل في نومه وتعالى شخير . أما أنا فجفاني النوم ثم نمت لأستيقظ بعد ساعات على صمير الخفير في الطريق ، وأحسست أنني في حاجة ملحة للتبول ، وحاولت أن أتجاهل هذه الحالة الملحة إلا أنني ما استطعت ، وحررت فيما يجب أن أفعله ، وأنا لا أعرف الطريق الى ( بيت الخلا ) في

هذه درأضه . ولم جد حلاً مساسي إلا أن أهدس من فراشي جدو .  
 لا والله . كنت معي في العرفة ، وبخاصة الحاج علوان الذي رأيت  
 حبه في بيت الحصى وهو وسخس مع سمة أمته بأشجير . ودلت  
 ريح بشر في حرج العرفة وعز فوام أسد الرحود . رفعت إحداهما  
 ودفعت جسدي بين قصبها وبنت في الصرين ، غير أن الريح كدت تصد  
 أبور وردة إلى داخل العرفة . دبل به بعض فراشي ووسدني ولحية  
 الحاج علوان بها . وجمد اندم في عروفي حين رأيت هذا الرجل يرفع  
 كف يسد . دون وسي منه . ويسر براحتي على وجهه ونحيته التي بلها  
 بوني . وهو يقول : ما شاء الله والحسنة والشكر . وخت أن يستيقظ  
 في نتي بدلت أموت فقتعت نبولي وعدت إلى فراشي جدو أشد ما نهفت  
 عه جدو . وبنت وسدني التي نصحه بولي وعدت أندس في فراشي وكان  
 يحدث شيء على ما حسب . وما لبثت طويلاً حتى غرقت في النوم .  
 وبين كنا ننظم حول سماء انتظور . نهض الحاج علوان وتضع إلى  
 الشارع . ثم إلى السماء وعد إلى مكانه وهو يقول :

— عجيب ، واقه يا ناس عجيب !

وسأله الحاج حسين اللوز :

— شنو هو العجيب يا أبو حسين ؟

فأجابه الحاج علوان :

— حلمت أن السماء كانت تمطر واستيقظت فلمست لحيتي مبللة بالمطر ،

شنوها الموضوع !

فقال الحاج حسين مخاطب الحاج علوان :

— أي مطر يرحم أبوك ، أكو مطر بهذا الفصل ؟ أنت كنت تحلم .

فقال الحاج علوان :

— أنا قلت أنني كنت أحلم ، ولكن كيف وجدت لحيتي مبللة بالماء ؟

وما ان سمعت تبدل الحديث عن المطر ولحية الحاج علوان التي بللها  
المطر ( كما ادعى الحاج علوان ) حتى انهضت بتناول الفطور بهم لأعطي  
موفني الحرج ، وحوالي من أن يعرفوا فعلتي النسيعة • وعاد الحاج حسين  
يقول وهي فرصته للمزاح مع صيغه وشريكه وصديقه الحبيب الحاج علوان:  
— لازم كنت مكشّف وحلّمت يا حجي !

وقد الحاج علوان براءة ، ولم يظن الى هذا الغمز في كلام  
الحاج حسين :

— شنو مكشّف ، واذا مكشّف ؟

وتدخل الضيف الشرب النحيف فيما بينهما وقال بجرأة يخاطب  
الحاج علوان :

— يقصد الحاج حسين ، لو كانت ام حسين بصفك بالفراش كان غطتك ..  
فأجابه الحاج علوان :

— شنو هالحجي يا ناس .. وبيت الله الذي حجّيته أنا مسحت المطر عن  
وجهي بيدي ، ولكن كيف حصل ذلك والعصل في عز الصيف ؟  
فقال الحاج حسين اللوز :

— ما قلنا شيء ، لو كانت أم حسين يبك ما كان وصلك المطر ..  
وقال الرجل النحيف مؤيداً الحاج حسين اللوز :

— والله ، ونعمين وثلاث من أم حسين •  
وعقب الحاج حسين اللوز :

— كان صارت له أم حسين مشمّع وتنف أبو حسين ، ومنين بعد يوصله  
المطر ؟

وهنا برم الحاج علوان أبو حسين بتناثر النكات عليه فقال :  
— هذا كلام ما أدري شلونه !

ونفض الى سباط الفطور ليتدل الستار على المزاح الذي استثقله  
برضا •

وفي صباح اليوم التالي قصدت ( مدرسة المأمونية ) التي يقابلها من أمام ( حُوب أبو خزامة ) ونجاور خلفها وزارة الدفاع • وكان مدير المدرسة إبراهيم أفندي قد سبق أن أخبرنا أن الامتحان سيكون في هذه المدرسة • كما كان أترباي من طلاب مدرسة سامراء قد نزلوا ضيوفاً على وزارة المعارف في المدرسة المأمونية •

ودام الامتحان ثلاثة أيام في إحدى فاعات هذه المدرسة ، وصرت مكثراً فيه •• وفيما كنت أستعيد دراسة الموضوع الذي رسبت فيه ، فوجئت يوماً بأبي يسألني :

— الامتحان مرة ثانية في بغداد ، أليس كذلك ؟  
فأجبت :

— نعم يا أبي سيكون في بغداد •

— وإذا نجحت فيه ؟

— أدخل إحدى المدارس المتوسطة أو دار المعلمين الابتدائية •

فعاد يسألني :

— يعني تدرس في بغداد !

— نعم أدرس في بغداد •

— اسمعني يا ابني ، أنت لا تزال صغير السن ، فلا تدخل امتحان الاكمال

ولم أجب أبي على هذا الطلب إلا بالسكوت ، وأنا بين راض عنه

ورافض له • فأعدت السنة السادسة ، وبعد نجاحي في نهاية السنة التالية ،

اقترح أخي الأكبر أن أدخل مدرسة متوسطة الحلة حيث كان أخي حميد

مأمور البريد فيها •



## القسم الثاني

### في المدرسه المتوسطة بالعلة

في الحلة الفيحاء/ ١٩٢٧

قرر أبي ان أابع الدراسة في المدرسه اسوسه في الحله حيث كن اخي  
عبدالحميد موضعاً بدائرة البريد انني فيها • فاستجرت مقعد في سياره  
أجرة من نوع (فورد) من ( علاوي الحله ) بجاب الكرح في بغداد • وكن  
الطريق الى الحلة تراباً ومتعدد الدروب بحسب مئيه سوانى السيارات  
الدين يعملون في هد الطريق • فيسرعون في بعضه ويبطئون أحياناً حين  
تتعر سياراتهم على الطريق الذي خربته الامصار ولاهويه • وبعد كثر من  
ساعتين وصلت دار أخي عبدالحميد الملاصقه بدائرة ابريد اسي يتوسى احي  
إدارتها ، وقع على حافه الساحة الواسعة الترابيه الي نزل عيه مدرسه  
المثري اليهودي ( منحيم دانيال ) • واكتشفت بوقت قصير ن كل ما في  
الحلة يثير استغرابي • وليس به مثيل في سامراء • فهي كثيره الأشجار ،  
ومنغمسة في أرض رحوه رطبه • ومستوى نهر الفرات فيها أعى من أرضها  
وطرفاتها ، ومقاهيها المدهونة بخوها بلالون الزاهيه ومسرد على طول  
ساحل النهر تصمي على جمال المدينة ما يثير البهجه في نفوس اهنها • وكل  
ذلك مما ليس له نظير في بلدتي سامراء •

وفي الحلة رأيت لأول مرة في حياتي أسواقاً مسقوفة ، ومساحات  
واسعة تصب فيها شوارع مننقيه ، كما رأيت فيها حوايت كبيرة وميئة  
بأنواع المحاصيل الزراعيه والبضائع المعسولة محياً والمستورده من خارج  
الحلة ، أو من خرج العراق • كما كن غريباً عيً أن أرى المزارع والبساتين  
تتخلل بعض حارات هذه المدينة • كذلك كانت مجالس المدينة خنّف

خلافاً لـ يساً عن مجلس شيوح قبلى سامراء . كان مهمب مجلس ( آل غروبي ) لسي عمر بكبر أعمد ، وهم يرتدون الملابس العربية التقليدية بعينه . بدا فيهم عدائهم الأسود وابتساحه بعداء الدين في مدن العرب الأوسط . لما أن أولئك الذين حُصرت بعض مجالسهم لم يكونوا من علماء دين ففتد بل كانوا أيضاً رجلاً دب وسعر وعشم . وكانوا حين ينظرون يساً شعر يصوف عني وجوههم نحس عيني معديه عترته جذوعهم وتمتع عيوضهم نصيعة ما يشدون . نعم لقد رأيت الحلة غير سامراء من وجود كثيرة ، وفيها جذبية وضرب . عني ن دبت وإن كان ما يتبسه في سامراء من جناف في ضروب الحيدة . فمن الحلة لم تستطع أن تبعثني كيباً عن ذكرهت مسقف رأسي . فبقيت اذكر سامراء بحب وحنين ، وأتسوق الى روفينها في كل حين . وأحيز له عند مفارقتها بيه مدينة أخرى عرفتتها قبلاً .

### المدرسة المتوسطة بالحلة

بعد يومين من وصولي الى الحلة أخذني اخي عبدالحميد الى المدرسة المتوسطة . وفي اعريق اليها . كان مدير المدرسة واسمه ( فرج نصسي ) صديقه . وهو رجل طيب العشرة واسع المعرفة في تاريخ المسلمين . وحين دخلت الى غرفة فرج أفندي نهض هذا بتكسل عن كرسيه . وتقدم من أخي وصاحبه بترحيب حار باللغة التركية وهو يتسم له حتى باتت بعض أسنانه المنعنة بالذهب . وهو بعمر الخمسين أو اكثره . وكان في ماضيه ضابطاً في الجيش العثماني . وسمعت من حديثه مع أخي عبدالحميد بأن عليّ أن أكون حريصاً على الدوام في المدرسة ، وعلى متابعة دروسها .

والمدرسة بطابق واحد ، يطل الجانب الشرقي منها على نهر الحلة ، ويحظن الجانب الآخران ساحة مرصوفة بالطابوق (الفرشي) تنفذ إليهما أبواب غرف أربع ، اثنتان منها لدروس الصفين الأول والثاني ، وهما كل صفوف المدرسة ، وغرفة لادارة المدرسة ، وغرفة أخرى لمعلميها . وعلى

يسار مدخل المدرسة فناء واسع زرع فيه انواع اشجار الحمضيات ،  
والخضر ، موسيه . وذن ماير المدرسة فرح اسدي يولي هذه الحديقة  
اهمها كبرا فياخدا انلاب الى دروبها اصيفه ويسرح بهم ما فيها من  
صوف الاشجار ، وبيعته لن واحد منها بما في ذلك اشجار ورافها  
وانواع السرها ، وما حناجه من قطع ورافها انجافه . و مررد ان الاصل  
انجافه في السجده اشطه لصراف الاسان سي رب فيها ( لغايرين ) فيجب  
قصها كما نبتت لعدم اسي بسب بهذا اداء مع السراة في المساح الاخرى  
من الجسم . وما ساد ما هي ( الغايرين ) اجاب ، وهو يردد سؤالا على  
نفسه ، ثم قال :

— ( الغايرين ) هي ( الالفه ) والعياذ بالله .

وحين وصلنا معه الى نحه في حديقة المدرسة قال عنها :

— انها شجرة مباركة ، وقد ورد ذكرها في القرآن الكريم ، واحبها النبي  
نوح عليه السلام حتى انه اوصى بيه من فرط حبه لها ان يغزوا سبعة  
منها على رأس بربه متواها الاخير . ثم اردف فرح اسدي : وان هذه  
الوصية معمور بها من عامة اسس اسمين حتى الوقف الحاضر . وانهز  
فرح اسدي فرسه اصفاها الى حديثه عن النحة فسمي يكلمهم بشوه  
وحماة قائلاً : ان كل اجزاء هذه الشجرة نافع للانسان ، فيعمل من ليها  
الحيال ، ويستعمل كربها للودود ، ومن خوص سعتها نحاك المراوح اليدوية  
والمكاس ، ومن أعواد سعتها تصنع السرر واقفاص الطيور ، كما تستعمل  
جذوعها لتشييد سقوف الحجرات ودعائم لزرائب الحيوانات ، ثم ان سمرها  
طعام لذيد ، وذو قيمة غذائية عليه ، وفوائد صحية كثيرة ، وظل شجرة  
نخل النمر يحمي ما تحنها من اشجار الحمضيات من حر الصيف ، كما يحميها  
من قر الشتاء القارص . وحين وصل فرح اسدي الى شجرة توت ، قال : ان  
أوراق هذه الشجرة كما سترون بعد قليل أفضل غذاء لدودة القز .

كان فرج أفندي معلوماً عنه وخصوصاً في التاريخ الوسيط ،  
كأنه في رأي العرب ، وانعسابهم بشكل خاص . وقد سمعته يوماً  
يذكر ببديح المؤرخ والاديب ( حسن كوبري زاده ) و ( ابن خلكان )  
و ( حجي حينه ) . إلا اني لا أدرك الآن اسميه الي دفعه ليذكر هذه  
الشخصيات . كما اني لم أكن يومئذ اعرف من هم أولئك الاعلام الثلاثة .

### ديدان الفز في المدرسة

ثم وده فرج أفندي الى سفيته من اعواد سعف النخيل التي أقامها  
بحفيرة ابي جانب مدخل المدرسة . ووقف امام هذه السقيفة وفاز بزهو :  
— سترون يا اولادي كم تنفذ ديدان الفز بأكل أوراق التوت . وتبعنا  
فرج أفندي الى داخل الحفيرة لرى عيدان السعف مرفوعة بطبقات ، وعليها  
تدب أفواج من ديدان الفز ، يهدوء واريح وهي تضمخ حافات أوراق  
التوت انثريه ثم ترفع رؤوسها لتتوكل ما في أنواها منه ، كما تفعل الأبقار  
في المراعي . وأشار اليها فرج أفندي ان نصت لنسمع صرير أشداقها وهي  
تمضغ ما صار في أفواها من تلك الاوراق ... وما لبثت هذه الديدان ان  
نبت بسرعة مذهبة ، واسمخت بطونها ، وباطأت حركتها وهي دائبة تلتهم  
عصا بنهم وعجالة . وصار فرج أفندي ينتظر بفارغ الصبر ليرى كيف تقذف  
هذه الديدان من أفواها خيوط القز ، غير ان ذلك المشهد لم يره فرج  
أفندي ، فقد هاجت فطمان من النمل الكبير الجائع الشرس تلك الديدان  
الوديعه والهستها عن آخرها في ليلة واحدة . ولا أنس البتة امارات الخيبة  
واحزن على وجه فرج أفندي لحظه دخلنا معه حظيرة تلك الديدان ، ورأينا  
أشلاءها وما بقي من أبدانها الممزقة . كان فرج أفندي يبدو في تلك اللحظة  
كمن أخفى كنزاً فلما تمقده وجده قد اختفى بكليته .

X X X

كان مجموع طلاب المدرسة المتوسطة يومئذ ليس أكثر من أربعين طالباً

وكن أقل من نصفهم في الصف الاول الذي أه فيه . وجهم من أهل الحلة نفسها ، وثمة طالبين من المسيب وطالب واحد من كربلاء وطالب آخر من أهل أربيل واسمه محمد صالح محمود ، وهو ابن موفى في دائرة كسرك لواء الحلة ، وعائلته حلاوية غير انه ولد في أربيل ونشأ فيها بحكم وظيفة أبيه الذي كن فيها . وهو ضخيم الجثة ، وردي الحنة ومثل من وجوه أخرى لسكان شمال العراق ، وهذا ما جعل من يراه يعتقد أنه من أكسراد شمال العراق لا من عربي . وقد حاول محمد صالح أن يتعم اللغة العربية الدارجة في الحلة ، فصار يلكن بمفرداتها بشكل يثير الضحك ، وأكثر مما يغلط بها صغار العمر ، فتحمل الاستهزاء به على مضض إلا مرة واحدة حين ثار يوماً دون مقدمات ولطم واحداً من زملائه في الصف ، كن يكثر من الاستهزاء من تصرفاته والضحك منها ، وأخيراً سوي ذلك انزعاع صلحاً ولم تصل أخباره الى ادارة المدرسة . وفيما عدا ذلك كنت الألفة والمحابة سائدة بين طلاب المدرسة جميعاً .

ومن زملائي في الصف الاول من كان يحفظ الشعر الوجداني والنسيب والوطني فاستمع إليه في كثير من الاعجاب وبشيء من الغيرة . وقد اقترح يوماً ذلك الزميل واسمه ( طه باقر ) ان يؤلف في المدرسة لجنة للخطابة والتمثيل . وصار من أعضائها طالب في الصف الثاني اسمه عبدالوهاب مرجان كما صرت أنا واحداً من تلك اللجنة . استأذنا ادارة المدرسة ذات يوم أن نقيم حفلاً نلقي فيه الخطب الوطنية ، فشجعنا المدير فرح على ذلك . وفي أول حفل أقمناه حضره بعض من أهل الحلة . وكنت خطباً تكاد تكون مباراة في الصخب وعلو الاصوات حتى صارت أقرب الى الصراخ ، فشتم دون ما سبب المستعمرين وبخاصة الانكليز منهم . ونصحنا فرج أفندي بعد انتهاء الحفل أن نكون أكثر هدوءاً وأقل حساسة في أفكاره وخطبنا وهو يقول :

— ان اموال الى المستعين لا يكون له التأثير الذي توقعونه ما لم يكن مدونة ودرسه . والهدوء من سيات شخصية المتكلم المؤثرة ، وإلا فهو يخسر أكثر جولاته في الكلام .

وقررت لجنة الخطابة والتشيل سرأ الكتابة الى صحف بغداد عن الحلة وأحوال الصحة والثقافية والاجتماعية ، ثم اختصرنا هذه التسولية وحددنا ما نكتبه عن المعارف في الحلة . وكان الواجب الذي ألقته عليّ اللجنة أن أكتب عما ينقص المدرسة المتوسطة من المعلمين بينما مضى من السنة أكثر من ربع أيامها . فكتبت بهذا الموضوع الى جريدة العراق ببغداد لصاحبها (رزوق غنام) باسم مستعار هو (يونس يحيى) وهما اسما ولدي أخشي الكبير عبدالمجيد . ونشرت جريدة العراق هذا الخبر في صفحتها الثالثة ، ولم أقرأ هذا الخبر لأتني يومها لم أكن أتابع قراءة الجرائد . وطلبني مدير المدرسة فرح أفندي الى غرفته . وما كدت ألح إليها حتى طلب مني أن أغلق بابها من ورائي . ووقفت في مكاني منه ، ثم طلب مني أن أنقدم إليه ، وقال لي ، وهو يدفع جريدة العراق على متضدته أمامي ويشير باصبعه على عمود فيها ، وهو يقول لي لماذا كتبت هذا في الجريدة يا ابني ؟

ولما قرأت ما في ذلك العمود في الجريدة التي لم أكن قد رأيته بعد شعرت بزهو من انني صرت فجأة شخصاً يذكر وله مكانته ، أو في الأقل أصبحت كاتباً بنظر محرري الجرائد ، ومع ذلك لم أنس اتفاق أعضاء جمعية الخطابة والتشيل على حفظ أسرار هذه الجمعية في الكتمان فقلت له :

— ليس لي علم بما أقرؤه بهذه الجريدة .

فنظر الى وجهي ليسر قدر صدقي فيما أجيبه وقال :

— كمال ، أنا صديق أخيك حيد أفندي ، يعني أنا مسؤول عنك فيما تتصرفه في المدرسة وخارج المدرسة ، الى جانب مسؤوليتي الحكومية عن طلاب المدرسة واحداً واحداً .

وعذب أنظر بطرف عيني الى كلتي بجريدة العراق وهي مبسطة  
أمامي على صولة فرج أفندي . ولم يخطر ببالي قط أنه طلبني إليه ليوبخني  
أو يعاتبني على ما كتبت فيها ، فقد كنا نسمع منه بتكرار ، تدمره من عدم  
اكتمال الكادر التعليمي في المدرسة ، فعددت الكلمة التي نشرتها في الجريدة  
مساندة لموقفه من وزارة المعارف لتجاهلها اتمام نواقص المدرسة ، غير أن  
فرج أفندي فاجأني وهو يضرب بكفه على صفحة الجريدة المبسطة أمامه :  
— كان عليك أن لا تكتب في الجرائد يا ابني ، فأنت لا تزال طالباً ولست  
مسؤولاً إلا عن المواظبة على دروسك ، والواجبات المدرسية أهم من  
الكتابة في الجرائد .

فعدت أقول له بتلغثم مفتعل لا يخلو من خوف :

— أي جريدة ، أي كتابة في الجرائد ؟

فقال لي بجزع :

— كمال ، أصدقني فأنت الذي كتبت هذا الخبر وبعثت به الى الجريدة .

ورفع الجريدة وضرب باصبعه على مكان الخبر فيها ، وقال :

— عرفت أنك كتبت هذا من أصدقاءك أعضاء لجنة الخطابة والتمثيل .

ولسذاجتي صدقت كلام فرج أفندي ، ولو انني استبعدت أن يشي

بي أحد أعضاء لجنة الخطابة وهم الوحيدون الذين يعرفون حقيقة الأمر .

فعاد فرج أفندي يقول لي :

— كمال ، ابني أريد أن أساعدك ، فالتصرف جميل بك العزاوي غاضب

على من كتب الى الجريدة ، فأصدقني لأعرف كيف أساعدك .

وخفت أشد الخوف حين ذكر لي اسم المتصرف ، لا من هذا الرجل ،

بل كان خوفي من أن يسمع أخي حميد تورطي في موضوع يثير غضب

المتصرف عليه . فقلت لفرج أفندي :

— نعم ، أنا الذي كتبت ذلك في جريدة العراق .

وسألي

وسألي

— نعم وحدي .

وقل لي بحدة :

— رجعت الى عنادك !

— نعم وحدي ، و ( يونس ويحيى ) هما ولدا أخي الكبير عبدالمجيد .  
يقال لي :

— المنصرف غائب ، ولا بد أن نقابله لنستغفر منه ونقدم له التوبة أن  
لا تعود الى الكتابة في الجرائد .

وسأول فرج أفندي سدارته من على المشجب ووضعها على رأسه ،  
وتقدمني بخطى عسكرية اعتادها على ما يبدو من حياته في الجيش العثماني .  
ومشيت وراءه مضطرباً ومرتباً من مقابلة المنصرف جميل بك . وحين صرنا  
على باب غرفته في الطابق الثاني من دائرة المتصرفية ، قال لي فرج أفندي :

— لا تنس أن تعترف فذلك يتيح لي المداخلة فيما بينكما لاسترضائه .

ودخلت وراء فرج أفندي الى غرفة المنصرف ، وهي غرفة واسعة تطل  
شبيبكها العالية على نهر الحلة من فوق أعالي بعض الاشجار المثمرة في  
حديقة المتصرفية ، ويحتل الجانب الأيسر منها منضدة ضخمة وراءها كرسي  
ذو منكا عالٍ يساؤه شخص أسر السحنة وعلى عينيهِ عيونات ، منهمك في  
قراءة خارطة غطت حيزاً واسعاً من سطح المنضدة . وكان ذلك الشخص هو  
المنصرف جميل بك العزاوي . وحين صار فرج أفندي قريباً منه ، حياه بما  
يلق بالمنصرف وبغرفته ، ثم قال له لينبهه عن وجوده في غرفته :

— جميل بك ، هذا هو كمال توفيق ، وقد جاء إليك ليعتذر على ما كتبه  
في جريدة العراق .

فقال له المنصرف جميل بك دون ان يرفع رأسه عن الخارطة :



— تفصل استرح ••

وكان فرج أفندي قد سبن وجلس على كرسي ليس بعيداً عن منضدة المتصرف ، أما أنا فتركني واقفاً عند باب الغرفة من داخلها كما أوصاني بذلك فرج أفندي مسبقاً • وبعد لحظات رفع جميل بك رأسه نحوي وسألني باستهجان :

— (ولك) انت منين ؟

فأجبت :

— أنا من سامراء •

— من سامراء ، مين ؟ من أي عشيرة من البو نيسان ، من البو بدري ، من

البو عباس ، منين ؟

فأجبت :

— من البو عباس •

— قل لي منو قشمرک وکتبت الى الجريدة ؟

وسهمت دون أن أجيبه

فقال لي بغضب :

— ما تريد تقول ، طيب تشوف هسه !

وضرب براحه يده على جرس معدني بشكل ناقوس موضوع على

طرف طاولته • ودخل شرطي الغرفة وأدى تحية لائقة رافقها رفسة قوية

على أرض الغرفة • وعاد يسألني جميل بك :

— تقول لي من الذي قشمرک لو تريد تنحبس ؟

فأجبت وأنا أرتعد في داخلي :

— بك ، والله أنا وحدي •

فزقق جميل بغضب وهو يقول للشرطي :

— خذه الى الموقف •

وأمسك النرضي بعضدي ، وقادني الى خارج الغرفة وأنا أنظر بعين  
كسيرة مستعظمة الى فرج أفندي لذي لم أسعه يفتح فيه بكلمة دفاع  
عني . وفتح الشرطي باباً مغلقاً لغرفة يطل شباكها الوحيد على الطارمة التي  
تحيط بالطابق الثاني من دائرة المتصرفية ، ودفعني بين الى داخلها . . وكان  
باب هذه الغرفة محصاً بقضبان من الحديد مدهونة بلون أسود . وصرت  
واحداً من بين خمسة رجال في هذه الغرفة الصغيرة . وكان واحد من بين  
هؤلاء ، بهيئة نظيفه ، وربما لذلك فضل أن يبقى واقفاً متكئاً على جدار  
الغرفة ، أما الرجال الآخرون فتدل هيئاتهم وملامحهم على أنهم من عامة  
الناس أو النلاحين ، وكنت أصغر واحد من هؤلاء الأربعة الموقوفين في هذه  
الغرفة ، فنظروا إليّ باستغراب ، ثم عادوا الى التحدث فيما كانوا يتحدثون .  
واستقر مكاني بين الشخص الواقف وبين باب الموقف . وصرت ألهو بالنظر  
من خلال قضبان الباب الى ما يدور على ساحة دائرة المتصرفية . وتناهى الى  
سمعي من (الطارمة) المقابلة للموقف الذي أنا فيه عمال منهمكين في تعليق  
لافتات كتب فيها ( أهلاً بالمليك الممدى ) وأعلام عراقية كثيرة بمختلف  
الحجوم . وكنت قد علمت وأنا في المدرسة ان الملك فيصل الأول سيكون  
قريباً في الحلة في طريقه عائداً من زيارة جنوب القطر . وكان الوقت قد  
قارب عصر ذلك اليوم . ومن بعيد رأيت الملك ومن حوله جمع غفير من  
بينهم متصرف اللواء جميل بك ، وبعض الانكليز وبعض شيوخ اللواء ، ولم  
أرَ وجه الملك بوضوح بل عرفت شخصه من لباسه المتميز وعقاله المقصَّب  
بخيوط الذهب ، والتفاف المستقبلين من حوله . وفي هذه اللحظات تقدم من  
الملك شاب وقور الهيئة داكن السحنة يضع على رأسه الشماغ والعقال  
الأسود المألوف في منطقة الحلة ، وصار هذا الشاب يخاطب الملك وهو  
يحرك يمينه الى يمين والى شمال والى امام في اتجاه الملك . وقد سمعت  
من أحد أصحابي في الموقف أن ذلك الشاب هو شيخ عشيرة البو سلطان  
واسمه ( عبود الهيمص ) . ولم يكده هذا الشاب يتم خطابه أمام الملك حتى

سمعت من يقول بأمر :

— افتحوا أبواب الموفوفين واطلقوا سراحهم وابعدوهم بسرعة فقد يمسر الملك من هذه الطارمة عند انتهاء الحفل وهو يعبرها لمفادرة ناية المتصرفية .  
وحيث خرجت من الموقف وأنا أندافع مع من كان معي فيه قابلي وجهاً لوجه أخي حميد وبجانبه فرج أفندي ، والغضب باد على وجه أخي وهو يقول بعتب شديد :

— خلف الله عليك يا كمال ، سويتها !

وتبعته الى خارج المتصرفية وبقي فرج أفندي مع الحشد يستمع الى خطاب الشيخ عبود الهيمص . وسرت الى جانب أخي ونحن صامتان على طول الطريق الى بيتنا . فأردت أن أكسر هذا الجمود بيننا فقلت له :

— أعتذر ..

فلم يجبني ، وكان هذا ما لم أرتح إليه .  
وبعد ثلاثة أيام طلبني مدير المدرسة فرج أفندي الى غرفته ، واستقبلني باشاً متودداً وهو يمسك بجريدة العراق ..

— يا ابني كمال ، أنا فخور بك فهذا الذي كتبه في جريدة العراق قبل ثلاثة أيام يدل على نضوج مبكر في تفكيرك ، واستمر فرج أفندي يكلمني بمثل هذه الطريقة . وفهمت حالاً ما كان يقصده فرج أفندي ، فقد بعثت الى جريدة العراق قبل بدء مقابلي مع المتصرف مقالا بعنوان ( التربية الاستقلالية والتربية الاتكالية في حياة الأمم ) وباسمي الصريح ( كمال توفيق ) وهذا كان كل اسمي يومئذ . واستمر فرج أفندي يقول لي :

— المتصرف طلبني الى دائرته وكشف لي عن امتنانه واعجابه بالمقال ، وأشار إليّ من طرف غير واضح أن تكتب مثل هذا المديح لأعماله في ادارة اللواء . ثم قال : وهذا لا يتناقض مع ما كتبه قبلاً في الجريدة نفسها ، لأنك الآن تكتب باسمك الصريح والمقال الأول باسم آخر ، فهمتني يا ابني ؟

ولا أذكر أنني أجته بما يرضيه ، ويحتمل انه عدّ سكوتي دليل الموافقة على ما يريد مني المتصرف . وبعد يومين وصلتني حوالة بريدية من جريدة العراق بخمس رويات عن المقال الذي كتبه عن نوعي التربية . ولا يعلم إلا الله كم كان فرحي وعروري بهذا المبلغ : إذ أنني الآن صرت شيئاً ما ذا صوت وأهمية . واعترف الآن أن عنوان ذلك المقال كان من مقترحات معلم اللغة العربية بمتوسطة الحلة يومذاك ( إبراهيم كمال ) وهو أيضاً الذي أدخل كثيراً من التصحيحات في متون مضمونه .

× × ×

وحين كنت في الحلة اعتدت أن أزور سامراء في العطلة الربيعية من سنتي الدراسة المتوسطة . وكنت أترقب أيام السفر إليها بلهفة ، وأعد الأيام يوماً يوماً ، ويبدو لي انه قد طال وقت السفر إليها كلما اقتربت منه . وكانت الحلة مثل غيرها من مدن الثرات الاوسط فريسة لبعض الأمراض المتوطنة التي استقرت بعناد ضيفاً ثقيلاً على سكان المنطقة . كانت هذه الأمراض المتوطنة أو المستوطنة هي ( الملاريا ) . وقد وضع في المدرسة المتوسطة في أيام طفيان هذا الوباء قارورة من محلول ( الكين ) يأخذ منها كل تلميذ يدخل المدرسة وفي ساعات الصباح جرعة كطريقة وقائية ضد الملاريا . ولم أصب بهذا المرض طيلة السنتين الأوليتين في الحلة ، غير انها ما لبثت أن أصابني وأنا أغادرها في عطلة السنة الثانية بسيارة الى بغداد في طريقي الى سامراء ، وكان الطريق يومئذ غير معبد ، ومتعرج وذا مسارب متعددة متقاربة أو متباعدة بحسب الآثار التي تعملها السيارات التي يختار سائقوها طريقاً جديداً لم تخربه الامطار . فاستأجرت مقعداً في إحدى سيارات كراج ( الأسطة جابر ) وكان هذا الرجل من أصدقاء أخي فأوصى سائق السيارة بأن يوفر الراحة لي أثناء السفر بذلك الطريق الى بغداد . فلم أستقر في المقعد الأمامي في السيارة إلا داهمتني علامات الملاريا ، وهي حمى شديدة

ثم رعنه برد عيشه ، فلما وصلت السيارة اى محموديه كنت في حله سينه  
وحسى سوي سوعي - ناراي ساق السيارة رافه بحالي ، ان يعرج على  
المسوصف ، ملني في محموديه . وهو عباره عن بيت قديم ينحدر دون  
سراج اى نهر محموديه لاسن . ودحني اساق الى عرفة صغيره لان  
سدى على جيب رجل بنحو الاربعين من عمره وهو بلحيه مهمله ، ويربدي  
صدريه بيضاء لم ارها نظيفه . واضجعي هذا الرجل على مدوله طويله من  
الحسب مرلونه على جدار العرفه من جهتها اليسى ، وربني عليها ليسحصر  
مزرق وضعه مضوسه في ماء يملأ عبتها فوق موقد كحولي ليعلي عليه الماء  
الذي فيها . وهدم اوز مره يفع نظري على ما لان يعينه هذا الرجل ، ولكنني  
عرفت دون ان اسأل عن وصفه انه مضمد هذا المسوصف وليس معه أي  
شخص آخر يعمل في مثل هذه الوظيفه . وحفن هذا المضمد دواء دعه في  
اليتي بهذه المزرقه . فشعرت كان مثبها من نار قد نفذ الى عمق إليسى  
واحرق ما فيها من لحم وعظم وعصب . كانت هذه الحقنة من مادة الكنين .  
وسأل السائق المضمد :

ب - كم ؟

فجابه وهو منشغل بغسل المزرقه :

ب - نصف روبية .

وكانت هذه الحقنة آخر ما تناولت لمعالجة الملاريا التي أصابتي ، فلم  
تعد نوبتها لتتأبني مرة أخرى كما هو متوقع ، غير انها تركت في ذاكرتي  
أما ، وخوفاً من وخر ابرتها لم أنسها حتى هذا اليوم . وصرت من يومها  
أخاف وخز هذه الابرة ، مع اني أمارس زرقها للمرضى وأمارس ما هو  
أكثر منها إيلاماً ، فأقطع في لحم المرضى أثناء العمليات ما لا يتناسب مع  
خوفي من الابرة التي تفرز في لحمي . كما لا أنسى يد ذلك المضمد وهو  
يملا الحقنة بمادة الكنين التي كانت بأربعة أصابع فقط .

## في بعقوبة

وأضيق بضعه أيام من هذه العصة الربيعية في بعقوبة حيث كان أخي  
الأكبر عبد المجيد يشغل وظيفته ( مدير مال النواء ) وقد وصلها من بغداد  
بمقدار الصاعد الى خافقين • ومن محنة فئار بعقوبة حملتي عربي يجرها  
جوادان خيلاً على صريخ غير مسوم موارم لنهر ( حريسان ) • ولم اكن وحدي  
في هذه العربيه بل كان فيها أيضا ثلاثة رجال من ترجلوا معي من القطار •  
وكانوا يرتدون الالبسة السعبيه وتتقرب احاديثهم في بعض شؤونهم  
الحيايه • وأذكر ان العربيه مرت في طريقها بعدد من النسوة المتبرجات يقفن  
بلا انظام وعلى وجوههن ابتسامات متعلة ، عند مدخل حارة لم أتبيح  
عمقها ، وسمعت إحداهن تقول موجهة كلامها إلينا :

— تفضلوا

وقالت أخرى :

— تجدون ما يسركم !

أما الرجال الثلاثة الذين كانوا معي في العربيه ، فلم يعيروهن اهتماماً ،  
بل قال أحدهم لمن كانا معه في العربيه :

— يظهر شغلهم في كساد !

وقال آخر وهو يبتسم :

— شغلهم بالليل أفضل •

وضحك الثاني وهو يقول :

— شغل (المنزول) بالليل على الأكثر •

والمنزول تعبير بمعنى منزل الدعارة ، كما يسمى (الكلجية) أيضاً •  
وبعد بضعة أيام تالية عرفت بيسر أهم معالم مدينة بعقوبة التي كان  
منها دائرة مديرية الشرطة التي كانت تعرف يومئذ باسم (الأوتيل) ، وقد  
تكون في زمن ما في أيام دخول الانكليز الى بعقوبة (فندقاً) لأفرادهم ، فبقى

سم (الأوتيل) مصصفا بها الى ذلك ليوم . وهي عبارة عن عمارة ضخمة  
محصاة بأشجار النوب والدرنخ ، فلا يبدو منها إلا شرفه تبدو طويته لولا  
الأشجار التي تقاطع منظور امتدادها . ويحصن هذه الشرفة سياج حشبي  
مدهون بلون بين الأحمر والأزرق ، ويسبق عليه عريشة كرم تبدو حضرة  
أوراقها باهتة بالسبب الى لون سياج الشرفة الداكن . ومكان هذه الدائرة  
على حدود امدية السملبي عند العريق اندي ينمذ الى قرية الهويدر . وعلى  
مقربة منها قطرة تعرف باسم ( كطرة خليل باشا ) وهي جسر قصير لا يزيد  
طوله على أربعة أمتار مشيد من الطابوق فوق نهر خريسان الذي يسنمر  
منحدرا الى مدينة بعقوبة فيقسمها الى شطرين العربي منها هو الأوسع ،  
وهو محصور بين نهر خريسان من الشرق وبساتين نهر دياللي من الغرب .  
ويربط جانبي نهر خريسان بعض الجسور الصغيرة المنحولة أكثرها من جذوع  
النخيل ، سوى جسرين ، الأول ومكانه داخل امدية ، وهو عريض يقوم  
على جانبيه مقهى وبعض الحيوانات لبيع الحاجيات البيتية فلا يعرف من يقطع  
هذا الجسر انه يشي على طريق يجري من حته الماء . أما الجسر الثاني  
فأعرض بكثير من الجسر الأول ، ومكانه في جنوب المدينة ، وهو معبر  
للسابله والعربات والسيارات في طريقها الى شهربان وبلدروز وغير هذه من  
القرى والمدن .

ودير بعقوبة بمجموعها مشهورة بمحاصيلها من الأعناب والحمضيات  
والأثمار الأخرى ، فتحملها شاحات الحبل الى بغداد عبر جسر حديدي ضيق  
وعال وذي ممر واحد هو لعبور الناس والسيارات والقطار الصاعد الى  
خانقين . وعلى طرفي الجسر مخفران للشرطة يتناوبان لاعطاء اشارة المرور أو  
قطعه ليكون للذهاب أو الاياب فقط ، وكثيراً ما يتولى الشرطي الذي يناط  
به إعطاء الاشارة عمله وهو بغير قبافة رسمية إلا إذا أخطر مقدماً ان منصرف  
اللواء أو مدير شرطتها في طريقهما الى المدينة أو خارجان منها .

ويسكن نهر حريس ( وهو فرع من نهر ديس ) منه فيه شجرة  
جنية برعم من مائه العطر وجريته البنيء . غير ان مرجانه التي هدهتها  
التيه بهرد ودون . وادسجار اسديه عليه من الجانبين تعني كل  
سوءه فيه .

وعنى جانبي نهر حريس داخل امدينه مسارب صيته يحذر الناس  
مها الى النهر ليستفوا منه ماء ويحصلوه باجرار او اقرب الى اليبون .  
وما يزيد في جنان هذا النهر اسراب البند التي تسحر ماءه وهي تبسط  
بتوار وحصوصا إذا ضل احدنا سبيله الى بنات جسه .

ويعيش هذا البند سى ما يلتمه مما يصفو على سطح الماء ، او من جذور  
الشجيرات والصحاب والقطرات التي تسري في قاع النهر ، فيمص البند  
عموديه سوى ريس دبه الذي يبقى خارج الماء . ودلور البند جيله وكثيره  
احمره ، ونسيز عن الأنتى برووسها امسوده برين ارقق براق . وجمال  
دكور البند شفا شان عاليه الصيور هو الماء الذي يقدمه لاشاء تحبها  
وتزلفا ، كما ينحرب لها برقصات على إيقاع بضائه وهو يمد رقبته الى  
اعلى تم الى أسفل لتحضع الى اغرائه .

### عباسية في بعقوبه

عباسية هي في الحقيقة ليست امرأة ولا هي رجل أيضاً ، إذ أن لها جميع  
صفات الجنسين ، فهي تردي العباءة السوداء التي تلبسها النساء ، أي أنها  
تحملها على قبة رأسها لا على كتفها ، وتكحل عيها وتخضب راحه كفيها  
بالحناء وتتكلم كما يتكلمن بفنح ، وتخفي جانباً من وجهها المزوَّق بحاشية  
عباءتها استحياءً من الرجال . . كذلك تلبس الثياب المزركشة والمخاطة  
بالموديل السائد عند النساء ، وكانت أيضاً إذا فوجئت بدخول رجل الى  
بيتها وهي بدون عباة فانها تسرع كالمجنونة لتلبس عباةتها قبل أن يراها  
ذلك الرجل بدون عباة ، كما تعاتبه بغلظة على دخوله دون أن ينبهها الى



ذلك • وأكر من دل ديب انها لا تسمع اسعدت الى الرجا وسيل الى  
 صعب الساء • من جهة اخرى ديب صلو دديا ونارها في دل صباح ،  
 ولها صوت ارباب • وسدد بسهم في صدي من يحرس بها او يقدد على  
 نصرانها اعريه • لها رقص بعصب الد سدي باسم (عباس) وهو الاسم  
 الذي جمع عليها حين جاء ابى اسديا ، ومن احبار (عباسية) انها (توحيد)  
 لامها الارمنه ودارهما يعيسان على يراد بسا في ضواحي قرية الهويدر •

نزلة الى اشلله

وغادرت بعقوبه بعد اسبوع الى سمراء ومها عدت الى الحلة ، لاكل  
 دراسني في مدرستها المتوسطة •

كانت احبه مسرح بحوي الكري والجماعي واجسي في حياتي  
 التالية ، فقد نعمت فيها حب الكذب ، كما احبت فيها انار بيل الي كس  
 آري في خرابها لنايا متوحا هو ابغ لو كانت دنه لسا هي حتى اليوم •  
 كذلك امتدت صداقتي مع من عرفتهم في مدرستها سين كيره بعد دلت •  
 وكان من هؤلاء طه باقر ، وحسن زويني ، وسلسا منشي • ما سيدالوهاب  
 مرجان فقد سبطني الى المدرسه المتوسطة بسه واحده ، إلا انني رغم هذا  
 الفرق بقيت على اتصال معه لم يقطع حتى بعد توليه رئسه اورارده في العراق  
 سنة ١٩٥٧ •

وكان سلمان منشي يجيد الكتابة بخس السخ ، والضرب على اوتار  
 النود ، كما كن يوي بربيه الكلاب ، ولا يرنح في يسه إذا حلا من أحدها •  
 ومن كلابه واحد صغير الحجم ، بني سون ، سبط الفراء • ويروي عنه  
 صاحبه سلمان منشي حركات يصعب تصديق ، وقد رأيت إحداها بنفسي •  
 وهو يرفع كذ يديه ليصف على رجليه ، ثم يسط بهما فزا مرد ومرين حتى  
 يصل الى حفيه الماء التي تتوسط حوش البنت ، ثم يسط فميه ليوصل بوزه  
 الى مسوى صنوبر الحنفية ، وبعد دلت يبدأ يفرك بشكيه مفتاحها ، فادا  
 انساب الماء منها لوى راسه من نحتها لينص الماء الذي يحدر منها • وأما

عرف ان اسلاب والفاظ تنبع الماء لنجسه الى فيها ولا نمسه كما تفعل  
لحيل والابصار ، او كما يفعل هذا الكلب .

X X X

وأهل الحلة بشكل عام لهم ولاح فسري بلادب وبعاطي الشعر ودراسة  
التاريخ الاسلامي ، وقد تسرب إلي قدر من هذه الهوايات ، فأجبت الكتب  
وفراءه لتراث الاسلامي ، وشريت بعض الكتب الكلاسيكية من مؤلفات  
جرجي زيدان واسموطي ، وكتب كذبه ودمنه . فكانت هذه الكتب نواة  
مكتبي التي أخذت تعمر وتزدهر عددا وتنوعا ، عاما بعد عام منذ تلك الأيام  
حتى صارت لا بأس بمحتوياتها من حيث العدد وضروب المعرفة .

وفي الحلة تحركت في داخلي بوادر بعضي للانكليز لكثرة ما كنت أسمع  
من أهاليها عن أعمالهم ، واجحافهم وجشعهم في سياسة العراق التي دفعتهم  
الى ( نوره العشرين ) المعروفة . وكان سخطي بسور عني الانكليز كلما وقع  
نظري على طبيب الحلة الانكليزي ( ماكلاود ) وهو يترىض مثيرا أمامي على  
ساحل النهر وطرف غيبونه يبرر من جانب رأسه المعالي . أما إذا كانت زوجته  
الشابة الأنيفة بصحبته ، فيتركز نظري واهنممي على هذه الأثني فينجس  
زوجها من سبابي المكتوم ، وحقدي عليه ، وعلى كل انكليزي . وبعد سنين  
كثيرة قرأت وانا ابحت في تاريخ تأسيس الكلية الطبية العراقية ، أن الدكتور  
ماكلاود كان أحد الأطباء الدين وقعوا في الجمعية الطبية ( البغدادية ) الى  
جانب من دعا الى استحداث كلية طب في بغداد . ولو أنني كنت أعرف يوم  
كنت في الحلة انه سيفعل ذلك فقد يخف سخطي عليه .

X X X

وئمة أحداث شهدتها في الحلة تركت في رواسي نفسي بالفتارتباطها  
وتأثيرها على ما أتى بعد ذلك من حياتي ، أذكر منها واحدة ما زجت بازعاج  
ذكرياتها أيامي الاولى حين التحقت لدراسة بكلية الطب ببغداد ، إذ أن  
المسمى الملكي في الحلة كان في طريقني الى المدرسة المتوسطة . وحوادث

النور يومئذ في لواء احلله لهم تكن فيه ، وطرق افضل ودوائه تحدث  
 بانواع وفنون . ويصن النفس في الاثر على مهور اسواب او يحسون على  
 مؤخره السيارات . وفي هذين الحالتين يجبر جنب النفس باسواد اسحيل  
 لكي نسقيم اجسادها ، ونسقى تلك الجثث على فارعه الطريق امرب ، دون  
 اهتمام ، عند مدخل المستشفى يفحصها الطبيب ويسحق اداه امن وسبب  
 الوبه . وفي صباح احد الايام شاهدت وانا في طريقي الى مدرسه فيلا  
 مرميا بلا اعداء على ارض هذا المكان ، وكدن راسه مهشما وملطحا بحليط  
 من الدم والتراب ، غار في نفسي اندعر والعتيان ، فقدت ما في جوفي من  
 الطعام الذي تذوقه قبل دقائق . وصل هذا المشهد المعروف لي محيبي استهراء  
 فاخافه وارعبه مه خصوصا حين نعم الضمه حجري الماء اذيل ، لما جعلني  
 ادشش من ان يكون في وسع اي انسان ان يحل بسكينة في رحم هذا الغسيل  
 لينتهي الى سبب موته ، وهذا ما جعلني اسبعد بشد ناصع درسه الصب  
 وممارسته في مستقبل أيامي .

وثمة حلت آخر اربعيني حتى أعماق نفسي ، ولا ازال أذكره برعب  
 ونقزز . كان احد عمال بلدية الحلة مسؤولا عن كنس ونظيف دائرة البريد  
 التي كان احي يسكن بعض حجرها ، واسم ذلك العامل (مرزوق) ، وهو  
 أسود البشرة وبنحو الخمسين من عمره ، ولولا بعض انسب في جمرة راسه ،  
 ويص أسنانه لما كان من السهل تمييز ملامحه من غير صياء كاف . ودن  
 وجهه مجعدا معروفا وشفته ضخمات ، وهو من فئة السود الموجودين بكثرة  
 في الحلة ، ولهم فيها حارة خاصة يقيمون فيها طفوسا غريبة وبعضها مخيف .  
 وذات صباح بالكر نعاى صراخ وحشي في دائره البريد ملاصفه لسكن  
 أحي ، ودا هرعا انه واخي وزوجنه الى مصدر الصراخ هلما ما شاهدناه ،  
 فقد كان مرزوق ملقى على ظهره ، وامرأة سوداء من جنسه غير أها أصفر  
 مه جرما ، بجثم على صدره وهي تولي ظهرها نحو رأس مرزوق ووجهها  
 يقابل رجليه ، وكانت تدفع يدها اليسرى الى ما تحت حزام مرزوق لشك

زوار سرواه . وهو يتوهم بأنه من نوء . فيسي رلتيه ثم يسحب  
 ثم يسحب . ثم ان هذه امره دلت . فوي ما ومن . بعيد رجليه مبسته  
 لا يريد . وسرو سرواه بسدين صوبه . ست يده . ودن مرووق تاعس  
 يسوي حب وساد ويسجد . وهو يسي رلتيه ثم يسحب محاولا يسا  
 في فلاب من شفا على صدره . وافلت من فبصه مرد فاعده بقوة وحشد  
 على مفره . وارست ديه بجسب على صدره . تصرح بوحثيه يسعيت بده  
 فس هم احى بسحويه افاده جعفت عينه . محزون وهي رفع السكين  
 بوجهه فراجع حي مدغورا منه . وعاد اى عضو مرووق وحصيته تقمع  
 فيها ما شاء . كانت هذه امراه فيه ويويه ودنرد لذبوة ، وسرعان ما  
 رايا اضراف مرووق نبسط بريح . ويحت صراخه شيا شيا ، ويتهاوى  
 راسه الى جبهه ، ويركها بعقل ما يريد حتى تص انسه الاخيرة وهو تقون  
 له بشماته وانتصار :

### — روح هسه تزوج (فضة) .

وعرفنا بعد ذلك ان فضة فتاة سوداء صغيرة السن ومن جنس مرووق  
 وزوجنه . وقد خطبها لنفسه ليتزوجها ، فتوعده هذه لى قتله إن فعل ذلك  
 لتقتله ، فنفذت وعيدها بهذه الطريقة الغريبة البشعة .

### سسوندرة

وثمة امر آخر على نحو غير ما ذكره ، ما زال علقاً بذاكرتي . ففي  
 يوم ، دخل دارنا كلب صغير بنون شراب الحمرة ، صويل الشعر من نوع  
 (الستر) الانكليزي ، وكانت تتبعه صببة في نحو منتصف العقد الثاني من  
 عمرها . ذات شعر مسبل احمر قريب من لون ماء الشوندر ، وعينين واسعتين  
 تحصنها اهداب طويلة مقووسة بشموخ . أما شفتها فكدتا متلتتين  
 كأنها كفة النرية الصعبة . والممت هذه الصبية نحوي وفالت :  
 — هذا كلنا ..

واسرعت إليه ، وأمسكت بحلقه عنقه وقادته خارجة من البيت، ولكنها

لم تخرج صورتها من عيني ومكري • ولم تكن الفئف في الحلة اللاني  
بعر هذه الصبية يخرجن من دورهن من غير ارتداء العباءة السوداء التقليدية  
مثلما دخلت داره هذه الصبية • فلا بد إذن هي من فتيات جيراننا ، وانها  
حرجت متعجلة وراء كلبها دون لحظ إلا بثوبها البتي الواسع الذي أفض  
عليها ما جذبني الى عذوبتها الطبيعية • وبعد بضعة أيام رأيت هذه الصبية  
تدخل داره بصحبة سيدة اعتدت أن أراها تزور زوجة أخي بين حين وحين ،  
وعلمت بعد ذلك ان تلك الصبية واسمها (ف) يتيمة الأبوين ، وقد تكفلتها  
خالتها زوج أحد أثرياء الحنة • والخالة من عائلة لهم اسم فخم في الأوساط  
الرفيعة والمتدية في بغداد • ولم أكن أرى هذه الخالة وهي داخلة الى دارنا  
أو خارجة منه إلا وبين شفتيها الدكتن بصبغة (الديرم) سيكارة مولعة ،  
وهي لولا أسناب الملوثة بسواد دخان السكاير لعدتها من السيدات ذوات  
الجمال الدافئ ، الجذاب • ومما يزيد من حلاوة قباقتها السوداء التي  
تسدل بثقل على طولها الفارع • وكانت هذه الخالة تسمى الصبية (ف)  
شوندرة للتقرب بين لون شعرها ولون ماء الشوندر • وذات يوم طلبت  
منى هذه الخالة أن أعلم شوندرة (درس الحساب) الذي كانت ضعيفة فيه ،  
إلا ان شوندرة حين سمعت من خالتها هذا الطلب رفضت بانزعاج وعصبية  
دون وعي منها لما ظهر على وجهها من البذل الجسدي والاثوي في صوتها  
ونهديها • وربما كان رفضها للدراسة علي من علائم النضوج الاثوي  
المبكر • ومنذ ذلك اليوم لم أر شوندرة تدخل بيتنا وحدها أو مع خالتها ،  
لكنني ما اهككت أراقب خروج طالبات مدرسة مناحيم دانيال التي تقابل  
بيتنا لعلني أراها ولو من بعيد بين أربابها • فلم تتوفر لي هذه السعادة إلا  
بشحة وندرة • ومع ذلك صارت هذه الصبية محور تفكري وأحلامي  
الليذة على مدى سين تالية لولا أنني كنت في الوقت نفسه أحس في داخلي  
من فرط اهتمامي بها ، أنني سأراها يوماً في حياتي القابلة بحال مزرية مؤلمة ،  
وقد صدقت هواجسي كما سأذكر ذلك فيما يأتي ••

### القسم الثالث

## في الثانوية المركزية ببغداد

### في المدرسة الثانوية المركزية ببغداد/ ١٩٢٩

كنت مجداً في دروسي بمدرسة متوسطة الحلة ، محباً لقراءة الكتاب ، ومستمتعاً باستمتاع ولهفة لدروس المعلمين فيها ، ولا أذكر لي أزمات في سني دراستي تلك باستثناء ما حصل لي مع متصرف لواء الحلة جميل العزاوي ، وقد كانت هذه سحابة صيف لم تلبث أن مرت دون مخلفات سيئة . وفي امتحانات نهاية السنة الثانية وهي الأخيرة صرت متفوقاً بين أترابي ، وبعدها لا بد أن أنتقل الى بغداد لأتابع الدراسة في المدرسة الثانوية فيها لمدة سنتين أخريتين . وفي يوم وأنا في سامراء أثناء العطلة الصيفية وصلتني رسالة من أخي حميد في الحلة تفيد بأنني رشحت من قبل وزارة المعارف للدراسة على حسابها في ثانوية بغداد . وكان ذلك مبعث فرح واعتزاز لي ولأهلي ، وبخاصة لأبي ، فنشط لزيارة مجالس شيوخ سامراء للتباهي أمام أصحابه بالتفوق الذي حصلت عليه في الامتحان النهائي بمدرسة الحلة ، ولترشيح الدولة لأدرس على حسابها ببغداد دون غيري من أترابي الآخرين . وسافرت الى بغداد اعتماداً على تلك الرسالة التي وصلتني من أخي حميد لأسجل اسمي في المدرسة الثانوية المركزية ، وإذا بكتاب المدرسة ( مصطفى الكبيسي ) يبلغني بأن ثمة خطأ وقع فيه مدير المدرسة المتوسطة في الحلة فرج فهمي ، إذ كان المطلوب منه أن يرشح الطالب المتقدم من الناجحين من أهل الحلة لا من الوافدين إليها من لواء آخر ، فكتبت مديرية المعارف العامة الى المدرسة المتوسطة في الحلة لتصحيح كتابها الاول وترشيح الطالب المتقدم

من هو من نواء الحلة ، فحصل على هذا الترشيح الطالب ( طه باقر ) ،  
وبرغم من أن هذا الطالب كان أقرب صديق لي في مدرسة الحلة ، فقد حز  
في قلمي "لأ" أفوز مثله بهذا التقدير الذي ما كان أحوجني إليه من وجوه  
كثيرة . وبرزت حاجتي الى هذا التقدير بشك خاص حين صرت أصطدم  
بصعوبات يجد سكن ملائم تتوفر فيه الراحة والجو العلي ، وهذا ما كان  
مضمومة من يدرس على حساب الدولة في هذه المدرسة . وعلى ذلك كان  
دخولي الى المدرسة المركزية ببغداد تجربة بالنسبة لي أخافني كثيراً ، فهي  
في الأقل تبعثني عن كل واحد من أهلي ، كما تختلف جذرياً عن دخولي في  
المدرسة الابتدائية بسامراء أو المدرسة المتوسطة بالحلة . فقد كان أهلي  
في كيمنا هم المسؤولين عما يستتزمه للاتحاق بتلك المدرستين ، كما كنت  
في كيمنا أعيش على حسابهم في السكن والمأكل والمشرب ، بينما يتعين  
عليّ للاتحاق بالمدرسة الثانوية ببغداد مراعاة عدد من الدوائر الحكومية  
توثيق هويتي وجنسيتي وخلو ماضي من الجرائم الاخلاقية وما الى ذلك  
ما يجب أن يتحلى به التلميذ الصالح للدراسة .

وغدرت غرفة الكاتب مصطفى الكبيسي والغسم يطبق على صدري  
وبعني بصيرتي ، وحررت فيما أفعله ، ولما رأيت أن لا خيار لي إلا ان التحق  
بهذه المدرسة عدت إليه بعد قليل وقلت له :

— وآآن ماذا أفعل ؟

فاجابني برود لا يخلو من الملل :

— إذا تريد أن سجل هذه المدرسة فقرر الآن (المرع) الذي يريده .  
وسأله :

— ماذا تقصد بالفرع ؟

فاجابني :

— في المدرسة فرعان ، علي وأدبي

ونجاهلت منه منى وسألته :

— وما الفرق بينهما من فضلك ؟

— في الفرع العلمي ركز على العلوم التطبيقية ، مثل الكيمياء والفيزياء  
والنوع الانكدرية . وهذه تؤهل الطالب الى كلية الطب والهندسة .  
وفي الفرع الأدبي تركز على العلوم النظرية كالأدب والجغرافيا  
والتاريخ وهذه تؤهل الطالب الى دار المعلمين العالية وكلية الحقوق .  
وفرع الله عايء واخترت أمامه دون تفكير الفرع العلمي . وبعد يوم  
كنت أحل أحد مقاعد هذا الفرع ، فإذا كثير من ضمه له أعرفهم قبلاً إلا  
البعض القليل الذين عرفتهم في متوسطة الحلة . وفي اسبوع واحد تعرفت  
على أكثر طلبة هذا الصف فإذا الكثير منهم من اليهود ، كما عرفت بالاسم  
جميع معلمي المدرسة .

× × ×

ومكان المدرسة هو مكانها في هذا اليوم نفسه المقابل لدائرة البريد  
من الشرق ، وغربي الشارع الذي يفصلها عن كل من النادي العسكري  
وقصر الملك فيصل الأول ، وكلاهما يطل على نهر دجلة .  
والمدرسة بطابقين سوى أربع أذرع لها يستد اثنان منها الى خفف  
واثنان الى أمام ، وكلا الذراعين بطابق واحد ، وبين كل ذراعين مساحة  
مرصوفة بالطابوق (المرشي) ، وقد خصصت في الذراع الايسر الخلفي قاعة  
واسعة للاجتماعات اللاصفية وللخطابة والسثيل ، رفعت على طول مدخلها  
لاية سوداء كتب عليها بدهان أبيض وبخط النسخ عبارة ( الوطن أول كل  
شيء وقبل كل شيء ) وخلف هذه القاعة دورة المياه بنا فيها من حباب الماء  
والمرآة الصحية والوصول اليها من خلف هذا الجناح لا من الساحة التي  
بين الجناحين .

أما الجناح الأيمن فكان لإدارة المدرسة . وعبر الطريق الذي نص



عليه المدرسة من الخلف يرتفع القصر الملكي بلونه الأحمر وهو بطل على نهر دجلة ، وعلى يساره منحدر الى شريعة النهر يفصله عن النادي العسكري • ومن خلال قضبان السياج الحديدي الذي يعزل المدرسة عن الطريق الذي يقع عليه كل من القصر والنادي كان طلاب المدرسة يشاهدون يسر ما يجري عند باب القصر الملكي ، ومن يخرج منه أو يدخل إليه ، أو من يطلع من الشريعة أو ينحدر إليها ليستقل أحد القوارب التي تمر النهر بالمجاذيف الى جانب الكرخ • ويقف على شاطئ هذه الشريعة عدد من صادي السمك يعرضون للبيع ما في شباكهم منها وهي حية تلبط بعصية للتخلص من أسرها • وقد يفتحون بطون هذه الاسماك من ظهورها إذا ما طلب منهم من يشتريها ، فيرمون ما في بطونها من أحشاء الى بجعة ضخمة تقف على الشاطئ بلا ملل بانتظار ما يرمى إليها من تلك الأحشاء •

ويقف على باب القصر الملكي من جانبه الأيسر جندي شاكبي السلاح، بينما تقف أمام الباب سيارة من نوع كريسler رمادية اللون وبسقف من الكتان الأسود ، هي سيارة الملك فيصل الأول • ويتأهب طلاب المدرسة لرؤية الملك إذا شاهدوا من خلال قضبان سياج المدرسة حركة نظامية بين جنود يخرجون من القصر لبتخاذوا مواقعهم في صف واحد الى جانبه الأيمن استعداداً لأداء التحية للملك عند خروجه من القصر • ويمشي وراء الملك مملوك أسود ، طويل القامة نحيف البنية ، نظيف الثوب ، وعلى رأسه كوفية بلون وردة البنفسج وهو يحمل بيده حقيبة صغيرة بلون أسود • ويهرع سائق السيارة وهو بلباس عسكري ويفتح بابها الخلفي لبدلف منها الملك الى داخلها ، فاذا استقر في مقعدها الخلفي وضع المملوك الأسود الحقيبة على المقعد بجانب السائق ، ويغلق السائق باب السيارة بعد أن يأخذ مقعده وراء مقودها • فاذا درجت السيارة رفع الطلاب أيديهم بالتحية للملك ثم يصفقون له • أما الملك فيميل بجسمه الى ناحيتهم وهو في مكانه في السيارة،

وورد عليهم نسجه نسجه حقيقته عذبه • وبيض المسوك الأسود واقعاً برهة  
يشجع سمث بظرة مودعة حتى يغيب سيره في المنعطف الأيسر الذي يصل  
إلى السورح المعه حيث (ضوب أبو خزامه) • وينتفت ذلك المسوك الأسود  
في الطلاب وبوسع شذقه ببندمة عريضة تكلف لهم من بعيد عن أسان  
شديدة البياض وكأنه يعين بذلك انتهاء الاستعراض ويطلب منهم الذهاب  
إلى صتوفيه • ثم يستدير راجعاً إلى مدخل القصر بخطوات وثيدة بطيئة  
وهو يراوح ثقل بدنه من جانب إلى جانب ، ويخفي داخل القصر •

وذا صبح تقدم الملك من فضبان سياج المدرسة قبل أن يستقل  
سيرته فجمع الطلاب أمامه وهم يرهقون أساعهم بنظر ما سيقوله لهم ،  
وفي حيرة ما يجب أن يقولونه له • وقد بدا لهم الملك ضويلاً لنحافة عوده  
وحسن قيافته ، وكان يرندي حينذاك السدارة العراقية المعنولة من (لباد)  
أكراد الشسل ، رمادية اللون التي بدا كأن لا بسيا قد تعمد اختيار لونها  
لتناسق شعر ذقنه المدبب • قال الملك :

— حيا الله الشباب

واستمعجل أحد الطلاب وقال له :

— سيدي

وسكت ولم يقل شيئاً آخر ، وقال آخرون دفعة واحدة :

— سيدي

ولم يقولوا أكثر من ذلك ، أما الملك فقال لهم :

— يا أولادي عليكم بالكتاب والتعلم ، فهما اللذان يخلقان الرجال للوطن

والأمة ، فكونوا أنتم على مستوى هذه المسؤولية •

وتعالى التصفيق ، ومد الملك يده ليصافح إحدى الأيدي الكثيرة التي

امتدت بخمسة ، وعاد الملك يقول :

— استفيدوا يا أولادي من شبابكم بما ينفعكم وينفع بلدكم ، وخير الناس

من نفع الناس •

وابتعد الملك عن سياج المدرسة فحو سيارته حيث كان ينظره سائقها وهو يسكن ببابها مفتوحاً ليلج الى داخلها الملك . وتحركت سيارة الطلاب يصفقون له بأشد ما استطاعوا أن يصفقوا .  
مشكلة السكن

وفي الفرصة التي تلت الدرس الأول ، داهمني حين كان يدي استكان الشاي في حانوت ( خليل القهوجي ) بالمدرسة فكرة إيجاد سكن لي بأسرع وقت . وكنت قد أمضيت ليلتين في نزل (وجنة الشارع) الواقع فوق مدرسة الأليانس اليهودية بشارع الرشيد . فتذكرت أحد أقرباء أُمِّي وهو صاحب دكان في سوق الصافير ، عساه يدلّني على سكن يوفر لي الهدوء والمتابعة دروسي ، ولم أكن أعرف ان الذي أريده أكثر مما تتحمّله ماليّتي المحدودة . وقد استقبلني ذلك الرجل الطيب واسمه (مصطفى) بترحاب ، وحين استشرته في موضوع السكن قال لي بحنان :

— يا ابني ليس من السهل أن تعثر على المكان الذي يرضيك ، واقترح أن تتفق مع بعض أصحابك من التلاميذ على استئجار غرفة واحدة في أحد الخانات أو المسافر خانات القرية من باب المعظم ، فيكون المكان قريباً من المدرسة وقريباً من المطاعم الكثيرة الموجودة في تلك المنطقة .  
ثم سألني : أين تسكن الآن ؟ فأجبت :

— في نزل وجنة الشارع  
فاستغرب ، وقال لي :

— لا يا ابي ، هذا غير صحيح ، تنام عندنا يوماً ويومين وأكثر الى أن تتفق مع أصحابك لايجاد غرفة توفر لكم الهدوء والراحة .

ونمت ليلتين في بيت هذا الرجل الخيّر بمحلة (فضوة عرب) وفي اليوم الثالث جمعتني المصادفة مع تلميذ كان في صفّي بمتوسطة الحلة هو ( طه باقر ) فاستأجرنا غرفة في عمارة ( نشأت السنوي ) الواقعة عند تلاقي شارع

انسى شارع الرشيد ، غير انه كسفت بعد سبوع واحد ان القصة  
 وراحة لا يتحقق في هذه مكان سبب اشجع لي يتعني ، ليس بلا  
 شارع من شارع الرشيد ، وعبر عن ان ترك هذه الغرفة ، وارشده  
 من قريب من العدة كما تشتري منه بعض مأكولات التي بيت في حارة  
 حواء اذبح تسكه عجوز اسم (دزي) ، قدمت حلاً في ذلك البيت ،  
 وقرب صاحبه ، وكانت ترتدي ثياباً خشنة من الصوف ، وتغيب شعرها  
 بخرقة لا لون لها ، وقد ربطت عقدة كمره وراء رأسها . وقد اتينا هذه  
 المرأة لرؤية الغرفة التي تعرضها للايجار . وكانت هذه الغرفة تصل مباشرة  
 بحوش البيت ، وليس لها منفذ إلا باباً ذي الخشقين . ورفض صديقي  
 طه بقر الاتفاق مع هذه العجوز حول الغرفة ، بحجة بعد البيت عن  
 المدرسة . أما إذ فرضت أن أسكن فيها مضراً . وسرعان ما اكتشفت  
 ان هذه العجوز كثيرة الشكوى والذمر لغير ما سبب ، كما لا يتوقف  
 لسانها العالي السليط على جيرانها من طرفي البيت ، ولا ضربات قباجها  
 الخشبي إلا في ساعات نومها ، وما أكل ما تهجم . وكنت أغادر بيتها مبكراً  
 فلا أراها حين تكون قد غادرت لتشتري ما تحتاجه من السوق . أما في أيام  
 التجمع فكانت تثير أعصابي وتشتت أفكاري وأنا أقرأ في كني لكثرة  
 حركتها وتخاصمها مع أولاد الحارة أو مع جيرانها ، فضقت ذرعاً بتصرفاتها  
 المزعجة ومعاملتها الخشنة معي ، وخصوصاً حين بدأت تطلب مني أن أكنس  
 (الفرمة) التي أمام غرفتي ، ثم تبادت وطلبت مني أن أغسل الصحون وأكواب  
 فطوري ، ولم أر في كل ذلك بأساً ، وحسبته من باب التعاون الذي يعمل  
 به أفراد البيت الواحد ، غير انها تبادت بطلباتها الآمرة مني التي كثيراً ما  
 تصدرها وأنا في غمرة القراءة والتركيز في نص من الكتاب ، فتقطع تسلسل  
 منابعتي فيما أريد أن أفهمه من الكتاب . وذات مرة كشفت عن كامل طبيعتها  
 الخسيسة حين قالت لي ( ان سهري في الليل لمراجعة دروسي بكتفها مزبداً  
 من أجور الكهرباء ، فلا بد أن اشتري مصباحاً كهربائياً بأقل (قوة) وإلا

و ب نعلب ريده في اجور اعرفه ، او نسمع السور عنها . او عوصه عن  
 دناب باعنا بييه اخرى غير اسي سبها مني . فكدت اي من هذه البدائل  
 اللذه الي عرضها عليّ هذه العجور قد ارعجسي وافلقتي اسد الطلق ،  
 غير نني لمنت ديت وم اجبها على عروصه بكلمه . فغادرت بينها حلالاً  
 وانا ساحن عى الدنيا لها ولا اعرف ماذا يجب ان اعسل لاجد لي موى  
 افضل من بيت هذه العجور . وفيما كنت في مريمي الى امدرسه وانهم يقبض  
 على صديري . والحيره بمعدني صوابي فيما يجب ان اعسله مع هذه العجور  
 فررت ان عذر بيتها حتى لو سكنت في حد الزر الحفيره اني بكسر في  
 محله الميدان ، ولم اكذ انهي من هذا الفرار حتى صرت وجها لوجه مع  
 أحد أصدقائي وهو موظف بد رة السكك الحديد واسمه ( مجيد عي ) ،  
 فشكوت له همي ومتاعبي في المكن الذي أسكه بمحله حمام امالح ، فادا  
 هو يعرض عليّ ان اشر له اعرفه الي يوي استجرها في عماره مركز  
 عربات ( كاريات ) الكطيمه الي تقبل شريعه بيت النواب بالكرخ . ولسته  
 اعتباطي بهذا العرص لم اذهب الى امدرسه في ديت اليوم ، بل عدت ادراجي  
 الى بيت لعجور ديزي وحزم حوانجي الميه لأحمدها الى الغرفه التي  
 استأجرها صديقي مجيد عي . ولم ينص إلا شهرا واحدا حتى اكتشف ان  
 هذه الغرفه لا نلائمني لكره ما ينبعث من النورسه التي تحتها من الاصوات  
 والصخب الذي لا ينقطع حتى في أكثر ساعات الليل ، فعصت شكواي من  
 السكن في هذه الغرفه ، فم صديقي مجيد ، فعجاني يفور : انه استلم اليوم  
 أمرا بنقله الى مل وظيفته في ابصره ، ولأنني لا سنطيع دفع إيجار هذه  
 الغرفه وحدي صار عليّ أن أغادره بدرب وقت . وشعر صديقي مجيد  
 بالورطه التي وقعت فيها فخبرني بأنه يعرف طبأ في الثانويه المركزيه قد  
 حصل على سكن في القسم الداخلي المحق بدار المعلمين ، واصاف يقول :  
 قدم طلباً الى سكرتير وزير المعارف ولا اطله يروض طبك طالما كان لسه سابقه .  
 وفي صباح اليوم التالي حملت طلبي الى سكرتير وزير المعارف في دائرته

الواقعة بجوار المحف العراقي بسارع جسر الملك فيصل بجانب الكرخ .  
ووجدت هذا الشخص جميل الطلعة ، حسن القيافة ، ويلاً كرسيّاً ضخماً  
وراء مضده فخه في غرفة واسعة الأرجاء ، ودان ستائر خضر سدّل بشغل  
حتى تلس الأرض باصراف المزركشه . وقرأ هذا السكرتير المحتشم  
عريضتي ، ثم رفع راسه نحوي وهو يهوي بها على راوية مضدته ، وقال لي :  
— ابني راجعني بعد يومين

فعددت حجرتي وفي صدري ام كبير في هذا الموعد أن أحصل منه على  
موافقة لقبولي في القسم الداخلي . وطبيعي لم يبق لي وقت للذهاب الى  
المدرسة الثانوية بعد هذه المقابلة التي استغرقت أكثر ساعات الصباح ، ولا  
ضرر من ذلك طالما كن يداعبني الأمل في الالتحاق بالقسم الداخلي . وبعد  
يومين عدت لأقابل السكرتير كما وعدني بذلك في المقابلة الاولى ، وسمح  
لي فرائش السكرتير في هذه المرة أن أدخل الى غرفة سيده مباشرة ، وأنا بين  
الأمل الكبير واليأس القابل ، فبادرني سياده فائلاً :

— تفضل ابني شريد ؟

فقلت له بتلجلج ، أنا التلميذ الذي رفع إليك عريضة قبل يومين  
للالتحاق بالقسم الداخلي لدار المعلمين . ويبدو انه سييني ، ونسي عريضتي  
وموضوعها ، فقال لي بمل :

— طيب ، (هسته) انت شريد يا ابني ؟

— أنا طالب في المدرسة الثانوية وليس لي قريب في بغداد ياؤيني ، وقد  
فشلت في أن أجد سكناً يناسب ماليتي ، واسترحم موافقتكم على قبولي  
في القسم الداخلي لدار المعلمين الابتدائية .

— أنت تلميذ بأي مدرسة ؟

— في الثانوية المركزية .

فأجابني باختصار حاسم :

— غير ممكن !

فتسجعت وفلت له :

— ولكنني أعرف أن عيري من طلاب المدرسة الثانوية قد قبل إلى القسم الداخلي •

وعاد السكرتير يقول لي بامتعاض :

— قلت لك غير ممكن •

كان لهذا السكرتير شخصيه قاهرة ، شكلاً وجرساً ، وقد تمنيت لو أنه واحد على طلبي ، وهو صب مشروع ولثيله سابقه ، إذن لحبته أكرم العالمين طراً ، وأحسنهم حلقه وخلف • وغدوب عرفته الأيعة خاسراً حزياً ، كما فانتني حضور درس من احب الدروس الى نفسي ، وهو درس درويش المقدادي في التاريخ الاسلامي • وذهبت الى امدرسة كبير الحاضر ، وعصمت على أحد أصدقائي سبب ناخري عن درس اعلم المقدادي ، فتبرع يدعوني لأساكه غرفه استأجرها في محله الفصل ، فرجبت بدعونه وشكرته بحرارة وعيشته ما بقي من أشهر تلك السنة •

أما في السنة الثانيه بالمدرسة اسابويه وهي السنة الأخيرة بهذه المدرسة فقد كنت أفضل حظاً ، فقد تحدثت وزاره المعارف قسماً داخلياً لطلاب الثانوية الغرباء ، وهي دار كبيره تقع خلف دائرة الاطفاء الملاصقة لبناية ( أمانة العاصمة ) وهما معاً تقابلان باب ( النقشلة ) الشرقي ، وتتوسط هذه الدار حديقة صغيرة تنبت في وسطها شجرة دفي فليلة الاوراق غارقة في العمر ، إلا انها غنية بالحضرة والزهور الحمراء الزاهية ، كما كان الطعام الذي يقدم في القسم متنوعاً وطيب المذاق •

وكان على نلامدة القسم ان يذهبوا بعد تناول العشاء الى إحدى قاعات المدرسة الثانوية لمراجعة دروسهم النهارية تحت اشراف معلم من غير معلمي هذه المدرسة ، وكان واحد من هؤلاء المشرفين شاباً طويل القامة ، أشقر

اسمعه ، أبى أبى اسمه ( اكرم الشياطيني ) وسوف أعود الى الكلام عن هذه الشخصيه يا مياي عندما ألتكم عن ايامي في كليه الطب ببغداد . أما مدير القسم الداخلي فهو عسكري مساعد من اهل الكرخ ببغداد اسمه (حسين عوبي) ، دالان البسرد صغير العينين ، متدود الجسم ، وذو ملامح نثفه في عيه وحرذه . ويوما طلبني اني غرفه وسالني :

— أنت من سامراء ؟

— نعم من سامراء .

— ابن توفيق ؟

— نعم ابن توفيق .

— توفيق أبو مجيد وحيد ؟

— نعم أبي توفيق أبو مجيد وحيد .

— أنا أعرف أهلك واحدا واحدا ، وأعرف أخاك الصغير رشيد ، وأكلت في بيتكم ، (سلم) لي عليهم .

و ذات يوم بينما كنت ادخل مجاز ( دار القسم ) عائداً من المدرسة لتناول طعام الغداء لمحت المدير حسين أفندي يسك بضغط على عضدي رجل ويسحبه الى صدره ثم يدفعه عنه بضغط مفتعل وهو يقول له :

— انت يا رجل كيف تدخل (القسم) بلا إذن مني ؟

وكان حسين أفندي في هذه اللحظات قبالي وأنا أخطو الى فناء القسم ، أما ذلك الرجل الذي يسك بعضديه فلم أرَ وجهه إذ كان يقابل وجه حسين أفندي ، غير أنني سرعان ما عرفت بهسولة من قامته وقفاه وعقاله الوبري الضخم . فتقدمت من حسين أفندي لأقول له ان هذا الرجل أبي . غير أن حسين أفندي دفعني عنهما بيده وهو يقول لي بامتعاض :

— انت يا كمال ( ما عليك ) في ما بيننا ، و اتركني مع هذا (الشاب) .

ورأيت الموقف على قصره قد تأزم فقلت له مرة أخرى :



— إنه أبي يا سيدي •

فأجابني :

— نعم أعرف أنه أبوك •

ولم يتم هذه العبارة إلا واحتضن أبي بلهفه واخذ يقبله بحرارة ،  
ويسحبه بكنني يديه ، ويضمه الى صدره ويمبّل نحيبه ، ثم سحبه الى داخل  
غرفته الحصة وبقي فيها أثر من ساعه خرجا بعد ذلك ينصاحكان وكاهما  
كان يستمعان بسنهد هربي ، ولادائي حسين افندي وفاء لي وهو لا يزال  
يضحك :

— تستطيع يا كمال أن تذهب مع أبيك الآن •

وبعد أن غدره القسم قال لي أبي ونحن بخطو نحو سارع المتسبي :  
— لم أعرف هذا الرجل ، وقد سرد لي في غرفته أحدا ما في سامراء وهي  
بيتنا بالذات كنت قد سيتها تماما ولكنها كانت قد وقعت فعلا •  
على ما أذكر •

وسألت أبي :

— هل كن في بيتنا حقاً يا أبي ؟

فأجابني :

— عاش ضيفاً علينا في غرفة (الطاق) هو وخيري افندي الشيخ قادر إثر  
انسحاب الجيوش التركية عبر سامراء •

وفجأة وقف أبي في مكانه وسألني :

— ما اسمه ؟

— حسين عوني

— نعم انه هو والأحداث التي ذكرها لي كلها صحيحة •

## مدرسوں کی اعدادیہ مرکزیہ

وہم حیث من العراییین والسوریین وانکیزی واحد . وبرزہم جمیعاً ، فی شہری ، ہو معلم اللہ العربیہ محمد بھجہ الاثری . وهو سویل القامہ بتسک ملخوض ، وعلى رأسہ عمہ بطربوس احمر ، ویرتدی فمعدہ یزید فی اندہ صولہ . وکنت اسدذ بدرسہ فاسمع إلیہ بجسد وهو یردد الایس السعریہ وینطق کلماتہ برلیز علی بعض الحروف انی ترد فیہا .

ومعلم التاریخ الاسلامی درویش اعدادی . من اهل فستین ، وهو مدید القامہ سنانہ ، أحف القدمین ، وردی البسرہ ، نافذ النظرات من وراء عوینات باظار معدنی دقوباع بلون الذهب . وذن من عدہ ان یحاضر بھجہ خصیہ وخصوصاً حین یصف شخصیہ اسلامیہ بارزہ . وأذکر يوماً کان یتکلم فیہ عن الخلیفہ عمر بن الخطاب رضی اللہ عنہ ، ویصفہ حین یطوف بین الناس ویبده (الدرہ) یمر بها اکناف من یعقون میر السابہ . وحلہ ذلک ایوم واه ی غمرہ الا تصت إلیہ انہ عمر بن الخطاب بنفسہ ، فکدت ارتعد مظهرہ ومسمعه خود ورہبہ ، ومع ذلک کت اری ان شیئاً ما ینصفہ لیکون ( ابا الخطاب ) لہ یحیل لی . ویوما یعد سنین کنت أنصت ( کتاب المنق ) او المحبر محمد البعدادی وفيہ وصف لابن الخطاب یقول فیہ ( ... وی عینہ الیسری حول یسیر ) وکدت اصرخ حین فرات ہذہ العبارة فانلاً : نعم ان ہذا ما کان ینقص المعدادی لیکون مثیلاً لابن الخطاب . والحول بایہ درجہ من درجائہ یزید من ہیہ صاحبہ عند الناس فیبدو جباراً مخیفاً ، ویتجنبون غضبہ .

أما ( مستر برار ) مدرس النقة الانکلیزیة ، فكان مثلاً للشباب الانکلیزی الأیق الرشیق بشعر رأسہ الذی یصفہ باعناء واهتمام ، وأبرز ما فی وجہہ انہ المدب الذی یبدو مبتلاً حتی فی ایام الصیف ، فكان یحشو ما بین کفہ الیسر وکم سترتہ مندیللاً أبيض یاخذہ بتکرار یدہ

يسمى بجنتف م يحذر من انه ارسب • وفي يوم بهض احد صبه اصف  
وهو يودي اسه (اسحق خيب) • ونقدم من امسر براير وندم به وردين  
واحده بيضاء واحرى حراء • فانار دلب اسعرا به حتى اجبى الداع الى  
دلب حين فاب به براير : اسكرل يا صديقي • واصاف • ان اربو من صلاب  
الصف عموما ان يسحوا بي ان اعد هابين اوردين مهم جيعا لا من  
الصالب اسحق خيب وحده • واصاف ايضا • وسوف اهل الى عروسي  
حبكم لي ايها الاسدي • وحين دالك عرف ان معلنا مسر براير قد زوج  
وبعد انهاء ساعه مدرس سالنا اسحق خيب عن مكلون زوجته فاجاب  
قائلا : اها واحده من افاربي • وحينئذ فهم وليس قبل ذلك علمنا ان  
معلنا مسر براير يهودي على أكثر الاحتمال •

أما معلم الانكليزية اساني دسه ( ادور سيزار ) وهو عراقي • يبدو  
بسبب ضخامة بدنه وثيب راسه اكبر عرا من سه • ودان يفتد بكلامه  
نطق مسر براير • ومن يسنح لكرمه بدفه لا يحطى معرفته لهذا السيد •  
فضلا عن دلت فان نفايه دلب بوضوح اقل من بدفه مسر براير •  
واذكر مرة فاب عن الـ Testicle (الحصية) اها ( سكية ) بانفغه العربية •  
مقطعه الطالب ( خالد حمام ) قائلا : اسند هابي شلون دبرنها فاعقد  
أدور سيزر ان هذه العبارة من خالد حمام مديحا وشمينا لرجسه كسه  
الخصية الى كية • فقال أدور سيزار بسا يشبه الفاخر : نعم ليس كل واحد  
يعرف أن Testicle (الحصية) هي الكليه ! وهكذا كان الحلف عد هذا  
المدرس المتعالم بين الكلية والخصية •

ومن مدرسي اللغة العربية عز الدين علم الدين السنوخي • وهو من اهل  
سوريا • قصير القامة مسلى الجسم • صبيح الوجه • وقد رجم الى العربية  
كتابا في الفيزياء عن الفرنسيه • وفي مقدمه يسدح الاساذ ساطع الحصري  
لفضله الكبير عليه وعلى تربية اولاد العرب على دعم القوميه العربية • كما

مرجم عن الفرنسية كذب ( قلب الحق ) . وهو دائم القراءة في فصول هد.  
 ، ركذب وعده كذا مدرسا بصفه الصادق ( البت ) في الثانوية المركزية ،  
 وكان يمر فيه بوسائل وهو يفتن بحضيه الطفل ويمتد صوته ، وحر كاه .  
 وفي يوم ١٣ / ١١ / ١٩٢٩ داع جبر اسحر رئيس الورداء عبدالحسن  
 السعدون ففرو السوحي دون داع او مناسبة الى اسباب انتحاره ، وذكر  
 بسببه هذا الحادث الاليم وهو يشير بغمز ونز الى ان ( انتحاره كان لاسباب  
 تحضيه او بينه ، ثم وصيه كذا ورد في وصيه السعدون لابنه  
 عبي ) . وانه عني حد قول التلويحي كان معلا بالديون بسبب لعب القمار ،  
 فغضب هذا السبيح طلاب الصف وارفعت أصواتهم احتجاجا واستنكارا ،  
 وسرعان ما راجع التلويحي عن إدعائه مستدركا : ان ذلك ما تقوله العامة ،  
 أما ان داعد نعتهم بهتانا مردودا غير أن محاولة التلويحي لاصلاح ما قاله  
 بلسانه باءت بالفشل ، ومع ذلك كان سكوت الطلاب وعدم متابعتهم لقله  
 أدبه نعمة كبيرة له ابتسم لها بترحيب ورضا .

واذكر جيداً معلم الرياضيات علي مظلوم لما في هيئته ومحاضراته من  
 سمات متميزة ، لا يهمل العين النظر اليه والتركيز عليها احتراما أو استغراباً .  
 فلم يكن هذا المعلم يهتم بهندامه ، وكان يهمل خلق ذفه إلا إذا طالت كثيراً ،  
 كما كان يهمل ما يعلق بجذائه من تراب او وحل في الأيام الممطرة ، وهو  
 ينقل إذا مشى جميع جسمه من جانب الى جانب يتسايل ظاهر ، وله كتاب في  
 المعادلات الحسابية تقنه الى اللغة العربية ، وفي بدايه كل موضوع يكتب  
 عبارة ( مسألة ) ، ثم يلي هذه الكلمة بإشارة ( يساوي ) ويكتب بعدها كلمة  
 ( مضيته ) ، وإذا تكلم في حل أي ( مسألة ) على السبورة لا ينسى أن يردد هذا  
 المترادف كما هو مكتوب في كتابه .

أما المعلم صديق الخوجة ( مدرس التاريخ الأوروبي ) فكان وديعاً  
 هادئاً ليس له علامة مميزة بارزة لو رؤسم له كاريكاتور .

وأذكر مدرس علم الأحياء ( شيت نعمان ) بشكل خاص من الامنان ،  
فقد كانت له يد عليا في مصيري الى مهنة الطب ، جزاه الله خيراً • فقد دخل  
الصف ذات صباح معاون مدير المدرسة ( نوري ثابت ) صاحب جريدة  
(حزبوز) بعد ذلك ، واستأذن من المعلم شيت نعمان في أن يكلم طلاب  
الصف ، قائلاً ان الحكومة قررر إيفاد ثلاثة طلاب من متخرجي المدرسة  
الثانوية الى (بومبي) في الهند لدراسة مهنة البيطرة ، وانه يريد أن يسجل  
أسماء الرغبين في هذه البعثة ، ورفعت يدي مع من رفع يده دون تفكير  
وتبصر ، وأظن ان ذلك كان بتأثير الرغبة في السفر الى خارج القطر ، أكثر  
من رغبتي في الانتماء الى هذه المهنة • ولما انتهت حصة الدرس وغادر  
الطلاب القاعة ، وجدت المعلم شيت نعمان واقفاً ينتظرني على بابها ، فالتحى  
بي جانباً وسألني دون مقدمات عما دفعني الى هذه البعثة ، فسكت ولم أجبه •  
ثم سألني عن حالة أهلي الماية ولم أجبه عن ذلك أيضاً ، ويومها لم أكن  
أحمل لقب (السامرائي) فسألني عن مسقط رأسي فأجبته :

— إني من أهل سامراء •

— هل أهلك ضعفاء الحال ؟

فأجبته :

— كلا ، يا سيدي •

فقال لي :

— إذن لماذا تطلب هذه البعثة التي لا أرى فيها ما يغري نوعاً أو مردوداً  
وأضاع : اذهب الآن الى نوري ثابت ليرفع اسمك من القائمة التي ترشحها  
المدرسة الى هذه البعثة • وفكرت وأنا في طريقي الى حانوت لمدرسة ، كما  
يفعل الطلاب بين درس ودرس ، أي أمر دفع المعلم شيت نعمان أن ينصحني  
بسحب طلبي الى البعثة ؟ ولماذا لم يصح غيري ممن تقدم إليها ؟ وأنا فعلاً  
كنت أميل الى متابعة دروسه ، ودرجاتي في الامتحانات اعصلية بها كانت

حدة ، غير ان بعضاً من أترابي في الصف كانوا مثلي أو أفضل مني . ولم  
يغل تفكيري بهذه الأمور ، فذهبت أخيراً الى معاون المدير توري ثابت  
وملت منه شطب اسي من البعثة الى بومبي . وذهبت مباشرة الى حانوت  
المدرسة لأكمل فرحي بتناول الشاي . وفي طريقى إليه سمعت استغاثة من  
أحد طلاب المدرسة ، وحين وصلت الى تجمع الطلبة حول مصدر الصخب  
والاستغاثة عرفت أن أحد الطلاب اليهود واسمه ادوارد محله لسبب ما  
رفع كفه ولطم وجه الطالب عبدالكرم قاسم ، ولم يرد هذا الطالب الصفة  
بمثلها لمخاصمه اليهودي بل صار يصيح بأعلى صوته « يا ناس ترضون  
يهودي يضرب مسلم — الله أكبر » وأسرع الطلبة لمصالحة الطرفين  
المتخاصمين ، وانتهى ما حدث بتلاقيهما بالابتسام والقبلات .

أما معلم الكيمياء فاسمه تحسين إبراهيم ، وهو من أهل الموصل ،  
مربوع الجسم ، أقرب الى القصر ، ضاحك السن . ويوماً قرأنا على لوحة  
الاعلانات الخضراء أمراً من مديرية المدرسة موجهاً الى طلبة الصف الرابع  
العلمي ، وأنا منهم ، أن نشتري كتاب *PRATICAL CHEMISTRY*  
المتوفر في مكتبة (مكتزي) بشارع الرشيد ، وان دروس الكيمياء ستكون  
على هذا الكتاب . فثار طلاب الفرع العلمي على مضمون هذا الاعلان ،  
وتوردوا على أمر الادارة ، وامتنعوا عن دخول قاعات الدروس . فرفع مدير  
المدرسة ( سعيد فهم ) خبر ما حدث الى وزارة المعارف ، فأوفدت الوزارة  
سكرتير الوزير ( طالب مشتاق ) ليطلع على جلية الخبر ، ويقنع الطلاب  
بالعدول عن قرارهم . فأعلنت ادارة المدرسة ان يجتمع عموم الطلاب في قاعة  
الاجتماعات العامة ، وكان أول الداخلين إليها سكرتير الوزارة نفسه ثم تلاه  
الطلاب فرادى وجماعات ، بتردد ولكن دون إحجام . وبقي سكرتير الوزارة  
جالساً على كرسيه وراء منضدة الخطابة ، فلما اكتمل دخول الطلبة أو  
أكثرهم ، قام عن كرسيه وبادر الطلبة قائلاً :

— الاضراب لأي سبب حق مشروع ، ولكنه من غير المنطق أن يكون ذلك على حساب التعنت . ثم قال : أريد أن أعرف سبب رفضكم دراسة مواضيع الكيمياء باللغة الانكليزية ، هذا ما جئت لأعرفه منكم مباشرة ؟ وتعالى أصوات الطلبة دفعة واحدة ، فأسكتهم السكرتير برجاء وهو يقول لهم :

— يرفع يده من يطلب الكلام مع ذكر اسمه كاملاً .  
فهض أحد الطلاب قائلاً :

— ان اللغة الانكليزية صعب تعلمها ، أقصد ان تفهم المادة العلمية بهذا الموضوع صعب علينا .

وتكلم طالب آخر فاذا هو يكرر ما قاله الطالب الذي تقدمه ، وتكلم آخر ولم يأت بجديد عما قاله من سبقه . وتكلم السكرتير الذكي الذي بدا الآن بقيافته ووسامته متحفظاً للرد عليهم بما لديه من حجج لا تنفخ . وسأل بما يشبه السخرية :

— إذن هذا هو سبب اضرابكم عن دخول قاعات درس الكيمياء يا أولادي؟ وارتفعت أصوات الطلبة دفعة واحدة :

— نعم هذا هو السبب !

وصمت السكرتير مكتئباً بالنظر الى الطلبة ، وهو يدير رأسه الى كل جوانب القاعة ، ثم قال بحسرة وبلهجة شعبية :

— يا حيف ووسفة عليكم يا شباب ، كنت أتوقع أن تقولوا انكم ترفضون دراسة الكيمياء باللغة الانكليزية أو أية لغة أخرى غير العربية ، لحبكم واعتزازكم بالعربية لا لتخوفكم من اللغة الانكليزية . نعم ، حيف على الشباب أن يهاب من الصعوبات أو يتجنبها واسترسل يخطب بحماسة :  
— أنا أتمنى لو تكون لغة ( مكرم عبيد ) بالانكليزية لأسافر الى لندن وأخطب الناس في ( هايد بارك ) لأفهم الانكلز عما نصيب الأمة العربية من تعسف الغرب على الشرق ، وعلى العرب بشكل خاص ،

وأنهم أيضاً أن العرب لهم فضل كبير على الغرب بما قدموه لهم من  
فكر وعلم... عيب على انساب أن ينجز وبصورة خاصة إذا كان  
هذا الحدي في ميدان العلم... إنه ليؤمني أن أراكم بموقف  
لا يحسدون عليه • ولا يدعوني الى الفخر بكم إلا دخولكم الصفوف  
الآن ، نعم الآن وليس بعد هذه الدقائق •

وغادر السكرتير القاعة الى غرفة مدير المدرسة مخلفاً وراءه وجوهاً  
من النوبة واجبة في انتظار من يكون الأول منهم في كسر هذا الجمود في  
التحرك الى قاعات الدروس ، بينما كان السكرتير ينتظر في غرفة مدير  
المدرسة بلا صبر استجابة الطلبة الى الدخول الى صفوفهم ، وصار يتلصص  
انظر الى جنوحهم من خلال فتحة شقي ستارة الغرفة وهم يغادرون القاعة  
وكأنهم رافعين أيديهم بالاستسلام ، وعلى وجوههم علامات الخضوع  
والامتناع ليدخلوا الصف حيث كان ينتظرهم فيه معلم الكيمياء تحسين  
إبراهيم •

#### طارد الطالب صديق شنشل من المدرسة

وكانت ادارة المدرسة الثانوية تشجع طلبة المدرسة أن يتكلموا بقاعة  
الخطابة بحضور الكادر التعليمي وطلبة المدرسة في موضوع مدرسي أو  
اجتماعي • ومرة صعد الى منصة الخطابة أحد طلاب الصف الرابع واسمه  
( صديق شنشل ) وبدأ يتكلم دون مقدمات في نقد تصرفات المعلمين ،  
وكانه خشي أن لا يرضى المعلمون عما يقوله فيوقعونه قبل أن يأتي الى الباب  
ما هو وراءه من خطبته • وقال فيما قاله : ان المعلم لا يدخل قاعة الدرس  
إلا بعد أن يأتي على آخر نفس من سيكارتته ولو استغرق ذلك من الوقت  
ما يستغرق ، وانهم متكبرون بتعال وعجرفة مع الطلاب... فاعتبرت ادارة  
المدرسة ان كلام صديق شنشل خروج على التقاليد المدرسية واحترام  
المدرسين ، وقررت طرده ثلاثة أيام من المدرسة • ولما رفع هذا القرار على



نوحة الاعلان أضرب الطلاب عن دخول المدرسة معلين ان عدم دخولهم  
المدرسة احتجاج على فرار المدرسة بطرد صديق ششل ولم يعودوا إلا بعد  
ثلاثة أيام ، وهي المدة التي وردت في قرار مديرية المدرسة بطرد صديق  
ششل .

### الاصحابة بحمي / ١٩٣١

أصبت بحمي ، فأرشدني أحد أصدقائي في المدرسة الى طبيب عيادته  
تقبل مدخل جسر فيصل من جانب الرصافة اسمه ( جورج حيقاري )  
واستقبلني هذا الطبيب وهو يقوم عن كرسيه ، فاذا هو أقرب الى القصر ،  
وردي البثرة ، وسألني عن اسمي وعمرى وعلمي ومسكني وما أشكو منه ،  
ثم طلب مني أن أظطجع على طاولة طويلة ، وأكشف له عن بطني ، ثم تناول  
ملعقة كانت في إناء على منضدته ، وأدخل مقبضها في فمي ، وطلب مني أن  
أقول ( آ ) لينظر الى داخله . ثم دفع محرراً تحت لساني ، وأخرجه بعد نحو  
دقيقة ، وقال لي : انها ( البلاءيم ) وتحتاج الى ( ابرة ) ، وبدأ يستحضر الابرة  
على طاولة صغيرة مركونة في إحدى زوايا عيادته ، وكنت أخاف وخز الابرة  
الى درجة كبيرة منذ عالجني بها مضمدم مستوصف المحمودية حين أصابتنى  
حصى الملاريا في الحلة ، غير أنني لم أجد حيلة إلا ان أخضع لطلبه ، فكشفت  
عن إيتي فكانت اثر ذلك وخزة مؤلمة ، ثم امتلاء في عنق لحماها ، ونهضت  
لأستر ما انكشف من جسي ، وشددت حزام سروالي بينما كان الدكتور  
يعود الى منضدته ليكتب عليها دواء لي ، وأنا استمع الى ارشاداته :  
— أكل خفيف ، سوائل كثيرة ( وأشار الى الورقة التي كتبها على منضدته )  
وقال : ثلاثة فناجين يومياً من هذا الدواء ، وتزورني بعد يومين .  
ولما رأيته قد انتهى من نصائحه ، دسست يدي في جيب سروالي وأنا  
أسأله :

— كم تأمر يا دكتور ؟

فأجابني :

— أنت تلميذ فادفع ما تستطيع دفعه •

فقلت له :

— لا أعرف أجره أتعابك •

فعاد يقول :

— نصف أجره •

— كم هي الأجرة ؟

— مكتوبة عند مدخل العيادة •

وكنت قد قرأتها قبل أن أدخل عيادته ، فوضعت روية على حافة

منضدته ، وشكرته وغادرت عيادته •

كان هذا الدكتور لطيفاً معي ، وقد حاول أن يواصل التحدث إليّ غير أنني كنت متعباً بسبب الحمى فضلاً عن أنني كنت في مثل هذه المقابلات التي يبرز فيها فارق العمر والثقافة عيياً ، وأفضل فيها السكوت على الاجابات العشوائية ، فتجاهلت محاولته لاثارتي للتحدث معه ، وفضلت مغادرة عيادته لأصل الى مخدعي في القسم الداخلي واندس في فراشي ، وصرت أفكر وأنا في طريقي فيما اذا كانت زيارتي الثانية لهذا الطبيب بعد يومين كما طلب مني ، ضرورة أم غير ضرورة ، لأن الروية الواحدة كانت تكفي لسد حاجياتي يوماً كاملاً ، وكان يصلني من أهلي ثلاثون روية شهرياً ، وأنا مدين لصديقي محمد صالح محمود بثلاث رويات ، فاذا لم تختف الحمى في اليومين التاليين فلا بد أن أدفع للطبيب روية أخرى • ولم أذهب في اليوم الثاني الى المدرسة فقد استمرت الحمى حتى اليوم الثالث ، فأخطر مدير القسم الداخلي السيد حسين عوني رئاسة صحة المعارف، فجاءني إثر ذلك أحد أطباءها واسمه ( صبيح الوهبي ) ، وكان اليوم بارداً فدخل الغرفة التي أنام فيها وقد ازدحمت فيها ثلاثة أسرة لآخرين من زملائي في

المدرسة • وكان الدكتور صبيح يرتدي معطفاً سميكاً ويلف حول رقبته  
شالاً يتناسق بألوانه مع معطفه الجميل ، وفحصني واقفاً وأنا أجلس في  
سريري فلم يكن في هذه الغرفة ثمة مجال لكرسي يجلس عليه ، وأبعد بعد  
الفحص انها (البلاعيم) سبب الحمى ، وسألته :

— أترك دواء الدكتور حيقاري ؟

فأجابني باقتضاب :

— لا فائدة منه •

وزودني بوصفة طبية ضمنها بعض الحبوب ، وسائل أنفرغره به ،  
وغادر الغرفة •

قال أحد زملائي في الغرفة :

— ان معطفه جميل •

وقال آخر :

— موجود منه في اورزدي باك •

وقال آخر :

— أبداً ، هذا من خارج العراق •

وقال آخر :

— هل هو متخرج في كليات انكلترا ؟

— أنا أعرفه ، وأعرف أهله ، وهو متخرج في كلية الطب بيروت •

وانفرج المجال لتحدث عن الطب والأطباء ، ونحن نضعهم في إطار

قدسي ، ونصف أعمالهم بالمعجزات ، ونتمنى أن نكون من هذه الفئة ،

فتمنيها في سرنا ولم نبح بها آلياً ، وكل شيء في أوانه •

وعدت في اليوم التالي أداوم في المدرسة •

**امتحانات السنة الأخيرة في الثانوية الاعدادية/ ١٩٣١**

أقيمت الامتحانات النهائية في الأيام ١٥-١٧ من شهر حزيران سنة

١٩٣١ في الباحة التي بين الذراعين الخلفين للمدرسة . وقد غطيت هذه الباحة بقماش سميك ليقى الطلاب من الشمس أثناء أدائهم الامتحانات على أرضها المرسوفة بالطابوق الفرشي . وعلى أرض هذه الباحة نثرت كراسي من الأنواع المدرسية التي يستطيع من يجلس عليها من الطلاب أن يكتب على لوح متصل بذراعها الأيمن . ويطوف بين الكراسي فراشان يحملان جرار الماء المبرد بقطع من الثلج للطلاب الذين تلهب أفئدتهم بحرارة الامتحان . كما يطوف بين الطلاب فراش آخر يحمل كأساً مليئاً بالحبر ليأخذ منه الطلبة بأقلامهم إذا نضب ما في داخلها من الحبر . وكان يراقب القاعة شخصان أحدهما مستلياً الجسم صبيح الوجه بشارب أسود الشعر اسمه (هاشم الألوسي) ، والآخر مثل له في السحنة والسنة ، وردي البشرة باحتقان ، وحليق الشارب اسمه (سمرقيل) ، ولم أكن قد رأيت أيّاً منهما قبلاً . وفي يوم امتحان اللغة العربية كان السؤال هو أن تنشئ بما لا يقل عن صفحة واحدة منمزي المقولة (أن تنظر الى السماء وتعثر خير من أن تنظر الى الأرض ولا تعثر) فرفع أكثر الطلاب احتجاجهم على هذا السؤال الغامض ، وطلبوا التوضيح عنه ، وعارض هاشم الألوسي طلبهم علناً ، ولما أصر الطلبة على الاحتجاج ، تقدم سمرقيل من الألوسي ، وتكلما فيما بينهما قليلاً ثم افترقا ، فتولى سمرقيل شرح المقولة بلغة عربية فصيحة بلهجة لبنانية ، وعرفنا بعد انتهاء ساعة الامتحان أن سمرقيل ليس عربياً بل إنكليزي وله منصب عالي الرتبة في وزارة المعارف ، وأشار بما يكفي الى ما تعنيه هذه المقولة فعرف الطلبة ما يجب أن يكتبوا بما في المقولة من معنى . واعتقد أنني كتبت ذلك باجادة ، غير أن درجتي في هذا الموضوع كانت غير ما توقعت ، بينما جاءت درجتي في موضوع الرياضيات عالية جداً على عكس ما كنت أتوقعه ، ومثل ذلك في موضوعي الفيزياء والكيمياء . . وكانت حصيلة درجاتي في جميع المواضيع (الخامسة) في تسلسل الناجحين البالغ عددهم مائة وثلاثة وأربعين طالباً ، وهي نتيجة لم أكن أتوقعها قط .

## بعثة اني انكلترا لدراسة هندسة النفط

لم ان امعيا بين اترابي في امدرسه الاعداديه ، وبعثه في التعاليم  
اللاصقيه ، غير اسي مد شعري لت . حب الكتب و . كلف بمراءته ، واتيها  
لدخول الامتحانات بكل صدي . وهذا دست الامتحان اسي في امدرسه  
ان نويه الاعدديه ، فكانت درجتي عليه ، لو حصر بياني يوما لاستبعدتها  
كلياً . وحين نشأ الى ابي ان فرجه بها بصفت ، وربما لم يكن يصدّر  
أهميه هذه السيجه بلسبه لسي . اما امي فقد ، وقد لنجاحي دون ان  
تلفت اني درجتي اعاليه اربع سمعات ي مدخل اسرداب الذي يتعبد فيه  
( املت الصالح ) . وبعد ايام عرل وصلني رساله من كاتب امدرسه  
مصطفى لكيسي ممدت اني رشحت مع الاربعه الاوائل في الامتحانات  
النهائيه لدراسة هندسة النفط في برمنكهم بـ انكلترا ، ففرت في الخيل  
فرحاً بهذا الخبر ، بالرغم من اسي لم أفهم نطاق هذا الاحتصاص ، كثاني  
كونه في الهندسه التي كنت . ميل إليها منذ شعري . فحصلت الرساله الى  
أبي ، فقرأها مره ، ومره اخرى ، وانا انطع الى وجهه علني استشف منه  
رأيه في هذا الامر قبل ان أسمع منه ، فسبفنه وشرحت له موضوع الدراسة  
في هذه البعثة . وكانت معلوماتي عنها مرتجله وشحيحة ، وأنا أفصد بها أن  
تكون مرضية لأبي ، غير أنه سألني بعد أن أمّ فراءه الرساله للمرة الثالثه :

— أين تكون برمنكهم ؟

فأجته :

— في انكلترا

ثم سألني :

— وكم تبعد انكلترا عن استانبول ؟

وكانت استانبول في جغرافيه أبي وأصحابه بسامراء آخر حدود الدنيا .

ثم سألني :

- كم نظون هذه الدراسة ؟
- وما كنت اعرف ذلك فاجبه مريجلاً برقم صغير لأحصل على موافقته:
- ثلاث سنوات •
- فعد يسألني لتأكد مما سمعه مي ، وي ذلك ما يعني عدم الرضا على سفري :
- تبقى ثلاث سنوات هناك ؟
- وأدركت مضمون سؤاله فلذت بالسكوت •
- وعاد أبي يسألني :
- اليس في بغداد كليات ؟
- فأجبت :
- بلى ، ولكنني أحب دراسة الهندسة •
- وفعلاً كنت أحب دراسة هذا الاختصاص ، فقد فتحت عيني على آثار سامراء العباسية وأُعجبت بهندستها وجمال عقودها ، وسموق منذتها الملوية • كما شاهدت باعجاب خرائب بابل ومقاومتها الدهر على البقاء قرابة أربعة آلاف سنة ، على أنني صرت بعد أن حصلت على البعثة الى انكلترا أحلم أن أرى تلك الديار البعيدة حتى لو كانت دراستي فيها في غير موضوع الهندسة • وقال أبي :
- في بغداد كلية هندسة ، أليس كذلك ؟
- فأجبت ، وأنا لا اعرف إن كان في بغداد كلية هندسة :
- لو كانت كلية الهندسة التي في بغداد تضارع كلية الهندسة في برمنكهام لما استحدثت الحكومة العراقية هذه البعثة •
- فقال أبي :
- ادخل كلية أخرى ببغداد غير كلية الهندسة ، كلية الحقوق مثلاً •
- أنا لا أحب موضوع هذه الكلية •

فاستدرك أبي وسألني :

— كليه الطب

وما كنت أعلم أن في بغداد كليه لتعليم الطب ، واستعربت أن يكون  
لأبي علم بها ، وهو الرجل الذي لا يتسقط إلا أخبار الزراعة ولجاره ،  
فاجبت أبي بدلال وتوسل :

— أما أحب الهندسة يا أبي •

وسم أقل له اني لا احب الطب ، مع انني يومها لم اكن أميل الى تعلمه ،  
بل كنت اخاف العامل مع الحالات المرضيه مدريت جميعه القليل المهتسة  
اللقاء على فارعه طريقي الى المدرسة المتوسطة في الحلة ، ومنذ رأيت المرأة  
السوداء تفرم بالسكين (اعضاء) زوجها المكود • لم أذكر ذلك لأبي ، إلا  
أنها دوم في أعماق نفسي تبعد تفكيري أن أكون يوم ما من زمرة الأطباء  
فعزمت على أن اجترع على قدمي أبي ليوافق عسى التحاقني بالبعثه الى انكلترا •  
وانتهت الى أبي يقول لي برفه قريية من التوسل :

— الصحيح يا ولدي ، اني قاربت التسعين من عمري ، وانكلترا بعيدة عن  
العراق ، وأخشى إن سافرت إليها فلا أراك بعد ذلك ، وهذه هي  
الحقيقة التي بدفعني الى أن اعرض سفرك الى خارج العراق • ثم  
قال : لا أضني طلبت منك كثيرا يا ولدي ، إلا أن ما أردته فيه هنائي •  
والطب على ما أعنتقد أفضل من الهندسه ، وبغداد ليست بعيدة عن ،  
فراك في أيام العطل والأعياد ••• أريدك يا كمال أن تكون قريباً مني  
في أواخر أيامي •

لم أرَ أبي بمثل هذا التخاذل قبلاً • وكان باستطاعه أن يسمعني  
قراره ويكتفي ، فأفعل ما يطلبه مني بالتركيد ، إلا انه لم يفعل ذلك ، فكان  
هذا سلاحه الأبوي عليّ فنسيت ما كنت أرغب فيه وقلت له على الفور  
وبرضا :

— كما تريد يا أبي ، وسافرت الى بغداد للدخول الى كلية الطب •

## القسم الرابع

### الدخول إلى كلية الطب ببغداد - ١٩٢٧

وسافرت في اليوم التالي إلى بغداد ، واستعلمت عن مكان كلية الطب فيها ، ثم استعلمت من ابراهيم الدين رأيهم على مدخل الثانوية المركزية عما احتاج الى معيجه الى اداره الكلية من شهادات ووثائق ، فاستحضرتها بسهولة من دائرة السوس والجسيه والجنابات . واخذت مرفقي بعد ذلك الى الكلية الطبيه وأنا اسلك الشارع المحادي بوزاره الدفاع من جانبيها الشمالي . ودد على يسار هذا الشارع نول مقاربه من الانريه والنقيات سند حتى نهايته بشاطئ نهر دجله ، كما قطعني في هذا الشارع عدد من الجواميس خرج عن خط بنات جنسها ادي احده الى نهر دجله لترد منه ويستحم في مائه . وبقيت ارى هذه الاسراب من هذه الجواميس المخيفه حتى بعد تخرجي من الكلية بسنوات .

أما الجانب الشمالي من الشارع فيحده جدار ضخيم وعالي لا يتعد منه إلا بضع فتحات صغيرة سبه حجاب القلاع اني سنعمل للدفاع ضد الغزاه الذين يريدون الاعنداء على من فيها ، وهذا الشارع هو طريق من يراجع المستشفى الملكي من المرضى ، كما هو طريق الجواميس التي يقودها اصحابها من محبة الطوب الى نهر دجله فادا وصلته غطست فيه فلا يستبان منها إلا رؤوسها وقرونها الضخمة المخيفه .

وفي منتصف هذا الطريق يلتوي مسيره نحو اليمين حتى يصل مبنى كلية الطب . وعلى مدخل هذا الطريق من اليسار عمارة غير كبيرة شاهدت



حول بهج جمع من النسوة يلبس السواد ويوولن ويطن صدورهن  
ويحدثن حدودهن بشكل هسيري . وعرفت فيما بعد ان هذا المنى هو  
الدائرة التي حلت فيها جنث من يوتى ردهن المنسى ، ومن سبي به  
دور اسرحه من حوادث القرون ، شيبي اهل المونى ليسوه من هذه  
الدارد . وذن هداون مسهد بم ارجح به في باكورة مروعى  
برسحو بكيه طب وانا في صريقي إليها . وعنى بعد مار من هذه اذارد  
انى ايسين شهادت حلفه من ارجال بسخف الاعصار ، ولباس حش بلون  
منجبي غمى ، وهم يسفون فيما يههم كرد صغيره ، وفى وسط هذه الحقة  
رجل صحم ابجه لث الشارب طولاً وعرضاً ، ويده عصا منويه ، فاذا ملكا  
أحد رجال الحقة في نخل الكره الى جاره الذي ييه ضرب ذك الرجل  
انضم الأرض بعصاه الطوية وهو يزق فائلاً :

— انبه يا رجل واعط الكرة الى جارك ، لا تتأخر .

وقد وقف عدد من السابة في هذا الطريق يراقبون مثلما ارجع هذا  
المشهد القريب . وعرفت بعد دت ان اسم الرجل دو ، شارب الكت (سيروب)  
كما عرفت بعد سنوات عدة وطويه في دراسه الشرب ايوسى ان (جانيوس)  
الذي توفي قبل الاسلام بما يقرب من اربعة عرون كناية بسم (الكرد الصغير)  
وضعه مصاحبه من في عقولهم نوبه ، وقد يكون الكرة سبي رأيه اليوم بتليد  
لكره جانيوس في معالجة بعض الأمراض المعفيه . ورفع رأسي فمراب  
لأله على باب صغيره مكتوب عليها عبارته ( دار اشفاء ) فعرفت حينئذ ان  
القره السبي كان يمودها دو الشارب ، لتيف هم من المجايين ، وان دار الشفاء  
هو مكان معجنتهم من هذا المرض .

وتابعت مسيرتي الى بنائه كلية الطب بين صفين كثيفين من أشجار  
الدفلى حتى اخرج الطريق الى ساحة وسيعه ظهرت لي عبرها بباية الكليه  
يتصدرها باب فوق نهاية خمس درجات وطية ، ويرنم على جاسده شودان

ربيعت من خشب مخرق يسميان بسببين: روتين من رجاج حبيبي  
 سون • ويومو باب هذه مصرية سورة: قرب فيها بحروف عربية بارزة  
 ووجدت سبب • بالسون • يعني سبب ( سانية ، سبيه ، مدنية ، عراقية ) وحين  
 عبرت هذه باب ضرب ثوبين بابا موصلة عطف على بابها الايسر فضعه من  
 حسب الساج • صغيره سب سبب بارزها • يعني سبب ( سكرير )  
 بحروف • سانية • وعلى حبيبي • باب سبب سبب • على مصه  
 مسورية من حسب الساج • يعني سبب سبب سبب سبب ( ابتداء ) ،  
 و سبب سبب سبب سبب ( سبب ) • سبب سبب سبب سبب سبب سبب  
 سبب • سبب سبب سبب سبب سبب سبب سبب سبب سبب سبب سبب  
 السبب • وثريب من سبب ( سكرير ) يجلس على كرسي صغير ليس له  
 متك رجل يرسى فنه • يعني صويلا • هو فراس السكرير عرفتة بعد  
 دنت باسم ( سبب ) • وعلى يسر باب عرفة السكرير دهيز ومثله على يمينه ،  
 ولم ار احدا يمشي حتى يدب بي السبب حاليه • ما من هذا الرجل الجالس  
 على الكرسي الصغير • هذا رأي هذا الرجل سبب سبب سبب سبب سبب

ساسي عند اريده فاسر به الى الوراء ، سبب سبب سبب : انا اريده الانحاق  
 بالديه ، فاسر بيده وهو ما يراى جالسا على كرسية الى غرفة اخرى الى

يسين مدخل الدهيز الايسر سبب على بابها بد سبب سبب SLEK  
 اي اندب • وذن بابها موصدا ايضا • فوفت اذاءه وانتفت الى الرجل  
 الجالس على الكرسي الصغير ، سبب سبب ، فاسر لي : اسرق السبب  
 وادخل • كان كل شيء ي هذا امكان غريبا ومجهولا بالنسبة لي ، فسم  
 آلاف الحجرات الموصدة ابوابها في جميع المدارس التي درست فيها • ودحت  
 غرفة الكذب ، وتقدمت من مضدنه ، وهو رجل في الثلاثينات من العمر ،  
 متىء الجسم والوجنين ونثر على وجهه كثير من البثور المقيحة ، عرفت  
 بعدئذ ان اسمه ( يوسف شامو ) وقد بدا لي انه مأهب لاستقبالي ، فأخذ  
 الاوراق من يدي ، ونقل عنها بعض المعلومات الى دفتر كبير يسلا جانبا

كبيراً من سطح منضده ، ثم ربط بالأوراق اسنوده بورق اصفر ودفعها عبر اسنوده إليّ وهو يقول وعبه يتدفق من زاوية فمه : املأها امم السكرتير . وعند حمل رزمة الأوراق الى الرجل الجالس على الكرسي الصغير ، تقدم في هذه المرة عن كرسية وضع لي باب غرفة السكرتير فدحها بوجل . كانت هذه العرفة صغيرة بضيق بالمصعد الكبيره التي يجلس وراءها رجل ذو شارب كب مبتور الطرفين ، وعوينات واسعة باصر اسود ساع . هذا الرجل هو سكرتير الكليه واسمه ( حسيب كئو ) . وكان حين صرت قبالة مهمكاً في الكتابه ، وقبل ان يرزع رأسه ليكلسي بصرت من خلال النافذة اسي سلا الجدار الحفي بغرفة سه نخلة وبعض اشجار لدرج في حديقة مهمله ، اقيم في ركن مها قصص معدني كبير سط على أرضيه أراب مرفطه بألوان بين الاسود والبي والايص ، وهي تقضم أوراق البت المشورة على الأرض المربة . وأدركت راسي يسب ويسرا لأرى ما في العرفة، فكانت على الجدار الأيمن صوره ملك فيصل الاون باللباس العربي ، وفي الركن الايسر من العرفة مدفأة مكسوة بانقاشني بلون واحد هو ابني المباح ، صمّت فوق رفها ثلاثة كؤوس رياضييه ، عدتها مصنوعة من الفضة ، وعدد من الكتب بكعوب مذهبة . أما جبهة العرفة فقد احتلتها منضده السكرير وعلى يمينها مبشرة باب موصد لم أكد التمت إليه حتى خرج منه رجل ليس بالطويل ، نحيل الجسم ، معروق الوجه لم أخطئ ، كونه انكليزي الجنسية أو أوروبي في الأصل ، ونهض له السكرتير بلا اهتمام واضح ، فظهرت حقيقة جسمه القصير حين اعتدل وراء منضدنه ، فادا محزمه لا يكاد يعلو فوق سطح المنضدة إلا فيللاً . ونبادل مع هذا الرجل الانكليزي بضع كلمات فهمت منها ان هذا الرجل لن يعود اليوم الى الكليه . وعرفت بعد ذلك انه هو العميد بالوكالة واسمه ( هولمر ) ، لأن العميد ( سدرسن ) كان يومئذ في عطلة الصيفيه بانكلترا .

وغادر الدكتور هونز غرفه السرير ، وعاد الكرنيير يجلس على كرسية وراء امصده ، وانفت نخوي وبش في وجهي مستمها عما أريده منه . وبدأ لي في هذه اللحظة ودودا وبساً صياً ومريحاً ، وانه كصؤ أن يسلا كرسي السكرتارية في هذه الكية . وحين وقع شره على رزمة الاوراق التي بيدي ، ناولها مني والبسة ما زالت طافية على وجهه ، ثم شرع يهرق مرددات اوراقها وييسنها على مصدته ، وصار يسر على أسطر ما فيها ، وعاد يقرأ بعضها مرة أخرى ، ورفع راسه عنها وسألني :  
 — اسمك كمال توفيق محمد ؟

وكان هذا اسمي على مدى ما ست من عسري في امدارس وبين الناس ، فاجبته :

- نعم اسمي كمال توفيق محمد
- ثم سألني :
- من سامراء ؟
- نعم من سامراء .
- فقال لي مبتسماً :
- إذن كمال توفيق السامرائي ا
- فقلت له ببلاده دون أن أدرك المغزى من هذه التسمية الجديدة :
- نعم كمال توفيق السامرائي
- وعقب قائلاً :
- هذا أفضل ، هل توافق على إضافة السامرائي الى اسمك ؟
- نعم أوافق .

كنت الى ذلك اليوم لا أزال في حس الطالب في المدارس الأولى المطبوع على الموافقة والطاعة ، بأدب واقتضاب ، وبصوت خفيض . وهكذا بهذه السهولة صار لقبني (السامرائي) من غير سابق تفكير أو تحضير له ،

ولكن من غير معارضة مني أيضاً • ولم يكن هذا القنب شائعاً على ما أعلم  
يومئذ ، فلم يسبقني إليه إلا بضعة أفراد أشهرهم عبدالكريم السامرائي في  
البصرة وابنه فائق السامرائي الطالب بكلية الحقوق ، غير أن هذا النسب  
سرعان ما انتشر فحصله كثيرون من أبناء سامراء من ذوي المهن والمعارف  
وغيرها • وسعت السكرتير يقول لي :

— سيكون اسمك في سجلات الكلية بحرف (السين) لا بحرف (الكف) ،  
ثم أردف : تحضر يوم الاثنين الساعة التاسعة صباحاً للمقابلة •

وانتهت مقابلي مع سكرتير الكلية عند هذا الحد ، وغادرت حجرته •  
وبنما كنت أدلف من باب غرفة السكرتير الى خارجها ، رأيت شاباً آخر  
يدخل غرفته • وكان هذا الشاب في مثل عمري ويحمل بيده أوراقاً رأيت  
من بينها الورقة الصفراء التي زودني بها الكاتب (يوسف) ، فعرفت انه مثلي  
يريد الدخول الى كلية الطب • ولأنني لم أفهم تسمياً ما عناه السكرتير  
بتسلسل اسمي بالحرف (س) ولا ما قصده (بالمقابلة) ، رأيت أن أتظاهر  
خروج ذلك الشاب لأستوضح منه كل ذلك • كنت ضائعاً ومرتبكاً لا خبرة  
لي بهذه الأمور ، كما اني قليل الجرأة في مثل هذه المواقف • ولما خرج  
ذلك الشاب سألته ونحن نزل الدرجات الخمس الى ساحة الكلية :

— شنو موضوع المقابلة رداءً ، أفصد ماذا عناه السكرتير بالمقابلة ؟  
فأجابني باقتضاب مبهم ، وبلكنة كردية لم أفهم منها ما أريد معرفته  
منه • وبيضع خطوات وصل الشاب الى سيرة تقف عند باب الكلية ، ثم  
التفت نحوي وهو يفتح باب سيارته ليستقلها وقال لي :

— تعب أوصلك الى أي مكان ؟

فأجبتني :

— لا شكراً ، سأبقى هنا الى بعض الوقت •

وكان جوابي هذا مثل غيره من موافقي وأحكامي التي يسيطر عليها

نحياء و سرعة والارتجال ، إذ لم يبق لي ما يحملني على البقاء في الكلية  
كما كنت أدت الشاب . فم أملك فيها بعد أن رأيت تلك السيارة تتوارى  
في معطف الطريق إلى الشارع العام . كان ذلك الشاب هو ( بابا علي ) نجل  
الشيخ محمود نحييد الكردي . وقد عرفته فيما بعد كما سأذكر ذلك فيما يأتي .  
وحضر معي في صباح اليوم الثاني لمقابلة العميد تسعة طلاب لم يكن من  
يهمهم ، غير أنه دخل معي صفوف الكلية كغيره من طلاب الكلية  
الجدد . وأذكر يوماً ونحن مكبّون على جثة ميت في صالة التشريح إذ دخل  
القاعة شخص مديد القامة ، انكليزي الهيئة ويده كتيب بحجم كف اليد ،  
على غلافه السيك شعر الدولة العراقية ، وتقدم من بابا علي وقال له على  
مسح مناس :

— هذا جواز سفركم يا صاحب السمو .  
فأخذه بابا علي من يده ودفعه في جيب قفطانة الأبيض الطويل وهو  
يقول له :

— شكراً يا دكتور مندرس .  
وعرفنا حينذاك أن العميد هو هذا الذي كلم زميلنا بابا علي . ولم أر  
بابا علي بعد ذلك لا في الكلية الطبية ولا في خارجها إلا بعد سنوات عدة  
وهو وزير في الدولة ، ويومها عرفت أنه عدل عن دراسة الطب وسافر إلى  
أمريكا ليدرس العلوم السياسية .

### المقابلة مع الدكتور هولمز

نعود إلى يوم المقابلة التي طلبني إليها سكرتير الكلية . وقد حضر يوم  
الاثنين عدد من المتقدمين لدخول الكلية ، عرفت منهم اثنين كانا معي في  
الفرع العلمي بالثانوية المركزية هما كمال نورالدين ومحمد حسين كاظم ،  
ولما خرج كمال نورالدين من المقابلة أسرع إليه وسأله :  
— من هو الذي قابلتك ؟

فأجابني باختصار شديد

— انكليزي

— وماذا سألك ؟

— أشياء عامة •

وعدت أسأله :

— أشياء عامة مثل أي شيء ؟

— مثلاً : هل بين عائلتك طبيب ؟ ولماذا تريد أن تتعلم الطب ؟ ثم أردف :

ولكن لغته غير مفهومة بسهولة •

ولما سمعت منه هذه الجملة الاحرة كد يجسد الدم في عروفي • ولم أكمل مقابلي مع زميلي كمال نورالدين حتى أطل علينا السكرتير ( حبيب كلتو ) من باب غرفته وطلب مني بإشارة من إصبعه أن أتقدم منه ، وفتح الباب الذي الى جانب منضدته وهو يقول لي :

— تفضل

وإذا في هذه الغرفة ذلك الانكليزي الصغير الحجم الذي رأيته قبل يومين يكلم السكرتير وهو يخرج من غرفته ، وطلب مني أن أجلس على الكرسي الذي يحاذي منضدته • ورأيت يتناول قلماً من على المنضدة ويخط رقماً على ورقة أمامه ، ثم التفت نحوي وقال :

— هذا تلفون بيتي ، فاطلب زوجتي لأكلها ••

تلفون •• وأنا لم أكن أعرف استعمال التلفون ، كما لم أخاطب

سيدة انكليزية في حياتي ، لا وجهاً لوجه ولا تلفونياً ••

وقرأت الرقم الذي كتبه على الورقة ، وابتسمت بخية وبلادة ، وابتسم هو أيضاً ، وقلت له أنا لا أعرف استعمال التلفون ، فقال لي وهو يتنسم :

— هذا واضح ••

نه سألني :

— لماذا تريد أن تدرس الطب ولا سواء ؟

ولتوقعي هذا السؤال كنت استحضرت جوابه فقلت له :

— لخدمة المرضى ، وفي العراق مرضى كثيرون .. الخ .  
وعاد يسألني :

— هل تفضل أن تختص بالطب أم بالجراحة ؟

وما كنت أعرف المرق بينها فسكت دون جواب ، فقال لي :

— في الجراحة يعالج المرضى بعصيات القطع والخياطة ، أما في علاج  
الأمراض بالطب فتكون بالأدوية فقط ..  
فقلت له :

— أفضل الاختصاص بالطب الباطني .

ورأيت الوقت قد طال دهرأ قبل أن أسعه يقول لي :

— هذا يكفي ، شكراً .

ونحضت عن كرسي وأدبرت له ظهري لأغادر الغرفة ، وسعته يقول لي :

— قل شكراً يا بني .

ولم أفهم غايته من ذلك وغادرت الغرفة ، وأنا أدرك انه تكلم معي أكثر

منما تكلمت أنا معه .

## أول بدم في كلية الطب

بعد خمسة عشر يوماً من مقابلة الدكتور هولز ، أعلن عن قبول خمسة  
وثلاثين طالباً من مجموع مائة وخمسة طلاب تقدموا للالتحاق بكلية الطب ،  
وكان من بين المقبولين ، ثمانية عشر طالباً يهودياً ، وهو أكبر عدد من اليهود  
قبل بكلية الطب في أية سنة من سنواتها الماضية حتى يوم التحاق بها .  
وحين كان اليوم الأول من الدوام في الكلية رأيتها غير التي رأيتها يوم  
دخلتها لأسجل امتحائي إليها ، فقد دبّت الحركة فيها بشكل أربكني برعب ،



فقد رأيت فيها خليطاً من الطلاب القدماء والطلاب الجدد فلم أتوصل الى التفريق بينهم ، وكلهم يتحركون باستطلاع لم أهمه ، وأبواباً تمتح فتكشف عن قاعات فسيحة مدرجة وأخرى غير مدرجة ، ومختبرات مليئة بالأجهزة المعقدة ، ومتاحف لحيوانات محنطة غريبة . ويخرج الأساندة من غرفة السكرتير بأرديتهم البيض الطويلة ، أو على أرديتهم ( الروب الجامعي ) الأسود المزوَّق بخيوط حريرية سوداء لساعة . هذا الطويل القامة ذو الجبة البيضاء ، الأنيق الذي يمشي كما يمشي البعير هو الدكتور سندرسن عميد الكلية وأستاذ الطب الباطني ، وهذا الآخر ذو الوجه المعروق والعينين الزرقاوين هو الدكتور ملز أستاذ الباثولوجيا ، ورجل آخر في مشيته قليل من العرج هو الدكتور سبنسر أستاذ طب العين . ولا أذكر أنني شاهدت في هذا اليوم من توسَّمت فيه أن يكون أستاذاً عراقياً . وفجأة خرج شاب من غرفة السكرتير ويده ورقة بُثَّتْها على لوحة الاعلانات التي كانت الى الجانب الأيمن لمدخل الكلية ، فتوجه الطلاب إليها متدافعين دون نظام ، فاذا هي اعلان باللغة الانكليزية ، فتراجع قسم منهم ووصلها آخرون ، ورفعوا رؤوسهم يقرأون محتويات الاعلانات ، وفيه أن يتقدم المقبولون بحسب أسمائهم المدرجة في هذا الاعلان الى كاتب الكلية ليوقعوا على عقد فيما بين كل واحد منهم وبين وزارة الداخلية التي كانت يومئذ صاحبة الولاية على كلية الطب . وكان أهم ما في العقد أن يخدم المتخرج في هذه الكلية خمس سنوات في المراكز الصحية العراقية . كما جاء فيه : « يرقن اسم الطالب من سجلات الكلية إذا رسب بدرسين من دروس السنة الاولى » . وقد وقعت على هذا العقد دون أن أقرأه معتمداً على ما فعه قبلي الزملاء الذين سقوني إليه .

### الطلاب المقبولون الى كلية الطب

رفعت قائمة الطلاب المقبولين في كلية الطب على لوحة الاعلانات

الحضراء المعلقة الى جانب مدخل الكلية ، إلا أنني لم التفت إليها ، ولا كان عليها زخم من الطلاب ليلفتوا نظري إليها . وعرفت أنني كنت من المقبولين بعد أن دخلت على كاتب الكلية (شلومو) وسألته عن ذلك ، فقادني الى لوحة الاعلانات ، ثم سألتني عن اسمي فلما ذكرته باسم سامرائي بدأ يمر باصبعه على قائمة الأسماء حتى وصل الى الحرف (س) بالانكليزية ، فأجابني حينذاك :

— نعم أنت من المقبولين . (وأضاف) تعلم أن تلتفت الى لوحة الاعلانات في كل صباح تدخل الكلية . لا تنس ذلك .

فشكرته وعدت الى لوحة الاعلانات لأعرف هويات من كنت أعرفه في المدرسة الثانوية المركزية ، فاذا عدد كبير منهم ممن لم أسمع بأسمائهم التي بدت لي من أسماء اليهود ، وكان ممن عرفتهم أكرم القيمقجي، ومصطفى محمود وأشرف محمود ومحمد حسين كاظم وكمال نورالدين . أما نجيب اليعقوبي فقد أخطأت في حسابه يهودياً فتبين لي بعد ذلك انه مسلم من أهل كركوك ، وقد درس ستين في الكلية الامريكية ببيروت فصار يتكلم الانكليزية بطلاقة . وعرفت موسيس أكوبيان أرمنياً من اسمه . وثمة لطيفة تخص أكرم القيمقجي من المناسب ذكرها في هذا المجال . فقد كان أكرم هو المشرف أو المراقب على طلبة القسم الداخلي الملحق بالمدرسة الثانوية المركزية كما ذكرت ذلك آنفاً ، واعتدنا نحن الطلاب أن نخاطبه بكلمة (سيدي) ، وداومت أشهراً أخاطبه بهذه الكلمة بعد دخولنا كلية الطب . ويوماً قال لي: — أنا الآن طالب مثلك ، فنادني باسم أكرم وكفى ، أرجوك .

ولا أذكر أنه كان طالباً معي في الثانوية المركزية ، وهناك احتمال كبير بأنه كان موظفاً في إحدى دوائر وزارة المعارف فكلف بالاشراف على طلبة القسم الداخلي الملحق بالمدرسة الثانوية المركزية كما ذكرت ذلك قبلاً . أما الطلاب المقبولون الآخرون فهم : أنور كباي ، الياس هو عزرا ،

داوود كباي ، محمد علي جواد ، حسين علي مبارك ، سلمان درويش ،  
عبدالعزیز مكية ، ادوارد محلب ، حسيقل دبي ، هارون خضوري ، ناجي  
جتايات ، أشرف محمود ، حسيقل داود معلم ، محمد الكيلاني ، صالح  
محمود ، كمال توفيق السامرائي ، يحيى ياسين ، ناظم مير ، مصطفى محمود ،  
محمود المدرس ، عزرا نسيم ، عزت عارف ، عبد الجليل الراوي ، موسى  
اكويان ، البير كرجي ، نجيب البعقوبي ، وانطوان ساعور .

وقد انفصل من الدراسة في أول السنة كل من عزت عارف وعبد الجليل  
الراوي ، ومحمد الكيلاني وانطوان ساعور ، وكان عدد الطلبة في الصفوف  
الخمس (٨٢) طالباً . وفي نهاية السنة تخرجت أول دفعة وعددهم  
فيها اثنا عشر طالماً فحصلوا على لقب دكتور في الطب ، وهم كرجي ربيع ،  
وجاك عبودي ، ويثون رسام ، ورؤوف سميج ، والبير نسيم ، واحسان  
القيماقي ، ويعقوب ازاجي ، وعبدالمجيد الشهرلتي ، وفؤاد مراد الشيخ ،  
وصيون منشي ، وعبد الحميد شلاش ، وعلي البير . وتقرر ارسال كل من  
الدكتور كرجي ربيع و جاك عبودي ويثون رسام الى لندن لتكملة تحصيلهم  
العالي ، وثلاثتهم من غير المسلمين .

### ادارة الكلية الطبية الملكية العراقية

ويوم دخلت كلية الطب كانت عمادة هذه الكلية تضم كلاً من: الكلية  
الطبية الملكية العراقية ، وكلية الصيدلة ، ومدرسة التمريض والقبالة ،  
ومدرسة الموظفين الصحيين ، ومديرية المستشفى الملكي . ولم تضم الى  
هذا التكوين الطبي مدرسه طب الأسنان إلا في سنة ١٩٥١ . ولكل من هذه  
المؤسسات مدير ، ويرأس عمومها عميد كلية الطب . وبقي هذا التكوين  
فئماً الى يوم تأسيس جامعة بغداد بتاريخ ١٢/١٠/١٩٥٩ .

وكان للعمادة مجلس يضم عداء الكليات التي ذكرناها مضافاً اليهم  
رؤساء وحدات الطب الباطني والجراحي ، وممثل عن وزارة الصحة ، وهو

## مدير الصحة العام على الأكثر •

وكان أول عميد لكلية الطب هو الاسناد سندرسن ، ثم أعقبه الدكتور حنا حياط وهو أول عميد عراقي في هذه الكلية ، ثم تلاه الدكتور أحمد مدري شقيق رئيس الشريفات الملكية نحسين فدري ، والدكتور أحمد قدري اختصاصي بالأمراض الجلدية غير انه لم يدرس هذا الموضوع في كلية الطب ببغداد ، وكذلك لم يمنح لقب أستاذ في هذه الكلية • ثم تناوب على العمادة بعد ذلك كل من الدكتور هاشم الوتري والدكتور صائب شوكت والدكتور جلال العزاوي • وحين التحقت طبيباً بالمستشفى الملكي كان في هذا المستشفى وحدتان للطب الباطني ، يرأس الوحدة الاولى الأستاذ سندرسن ويرأس الوحدة الثانية الأستاذ هاشم الوتري • كما كان في المستشفى وحدتان للطب الجراحي ، يرأس الوحدة الاولى الأستاذ (ودمن) ويرأس الوحدة الثانية الاسناد صائب شوكت • أما في الطب النسوي فلم يكن في الكلية ولا في المستشفى إلا وحدة واحدة برئاسة الأستاذ كندي •

## أول محاضرة الأستاذ سندرسن

في صباح يوم ٢١/١٠/١٩٣٣ قرأنا على لوحة الاعلانات أن يحضر طلبة الصف الاول لاستماع محاضرة يلقيها الأستاذ سندرسن ، عميد كلية الطب ، في نشأة الكلية الطبية الملكية العراقية ، في قاعة المحاضرات رقم (١) وهي القاعة المدرجة الوحيدة في الكلية ، وعرفنا ان هذه المحاضرة كانت تلقى على طلبة الصف الاول من كل سنة جامعية • قال سندرسن في ما قاله في هذه المحاضرة : « ان أول مدرسة عربية لتعليم الطب في بغداد كانت من أعمال الخليفة العباسي هارون الرشيد قبل زهاء ألف عام ، وان هذا الخليفة سياخذه العجب والفرح أن يعيد تأسيس تلك المدرسة أحد أنساله وهو الملك فيصل الأول ، وان يكون أول المعلمين فيها طبيب غير مسلم اسمه ( ابن سندر ) ويقصد بذلك نفسه SINDURSON مثلما كان أول

صيب في مدرسته هارون الرشيد ابن عيسى وهو الآخر ضيىب غير مسلم  
أيضاً ، وهذا لم يكن هارون الرشيد يروى بين المسلمين وغير المسلمين إلا  
بالعلم . وبهارون الرشيد اساء العطر منا على هذه النظرة المحييدة ، كما  
يجب ان نسكرب هذه اساسبه كلاً من صاحب اجلانه المثلث فيصل الآون  
المعظم واندكور هس والدكتور حيا خيط والدكتور هيكر ، وتلائهم من  
اسادة هذه الكية ، وقد كاعوا بصرار لاستحداث هذه الكية . وختم  
كسبه بانقوب : « ان في هذه الكية ستبع ماسهج اندروس بكية الصب  
بجامعة دنبره حيث درست انا هذه الصناعة الشريفة » .

لقد شدة سندرسن يضارب إليه في هذه المحاضرة ، وهم يجلسون  
فاغرين أبواهم متبعة كل لسه وردب في محضره ، مع انهم دون ريب لم  
يعنوا على معرفة معاني بعض مفردتها .

### دروس السنة الأولى في الكية

كانت دروس السنة الأولى أربعة هي . علم اشريح بقسميه النظري  
والعملي ، والكيمياء ، والفيزياء وعلم لأحياء . وتكمن دروس العلوم الثلاثة  
الأخيرة في السنة الأولى ، أما موضوع اشريح فنستمر دراسته حتى هاية  
السنة الثانية ، الى جانب دروس هذه السنة .

وكانت حصص الدروس تبدأ على مدى السنة في الساعة الثامنة صباحاً  
وحتى الساعة الواحدة ظهراً ، ثم تليها بعد فرصة الغداء دروس عمليه في  
التشريح فيما بين الساعة الثانية والرابعة .

وأول درس تلقينه في الكية كان في التشريح النظري ، وقد دخل  
الطلاب القاعة المتدرجة المحصصة لهذا الموضوع ، وكان المحاضر الأستاذ  
هولمز . فأحدث مكابي على أحد مفاعده التي صممت على شكل نصف  
دائرة مركزها مكان الأستاذ المحاضر . وحين استقررت في مكاني  
رحت أداور رأسي لأتطلع الى ما في القاعة ، فرأيت جسم انسان ممدداً على

صوله خزفيه صوبه بيضاء ناعه . وذن جسم هذا الانسان مجعداً وجافاً  
وبنور انجود ايبسه . دثار مصيره في اسفرز والرعب . يد لم أر قبل ذلك  
إساة مين بهذا الشكل والنون ، فقد جال في خاطري احتمال أن تكون هذه  
الجهة قد سرفت من احد النجور لما سمع وقرأ مثل ذلك في القصص  
النسبية . وما كنت اعلم انها جهة احد المتوفين في اسنسى الملكى من  
اهلهم دووهم او نسوهم بعد دخولهم اسنسى . ودئت جهة هذا المتوفى  
قد اسفرغ دمها من اوعينه ودفع في مكانه ماده كساوية حصة لتسنع التعفن  
في بدنه ، ثم اعرف في حوض مبيء بجلسون ( الفورمالين ) فاستحضرت  
بعد كل ذلك الى قاعة الدرس .

وقد تحاشيت النظر الى تلك الجهة على صوب درس ذلك اليوم، وصرت  
اربع راسي عاليا حتى لا تقع في مسوى نصري . ودخل الاساذ هولمز  
الغدا وهو يرئدي فوق ماربسه (الروب) اجامعني فاكبه ذلك طويلاً  
إضافيا وحيه . وشرع يتلو محاضره بلهجة اسكوتنديه لم يكن أكثرها  
مفهوما بالنسبة لي ، ولولا انه كان يقل طرف العصا الطويلة الي يديه بين  
اقسام الجهة ما عرفت انه يحاصر في جسم هذا الميت الجاف . كما كان  
المراش (شابه) يقف وهو عار من كل لباس إلا من سروان صغير وفصير لستر  
عورته ، فيستعين هولمز بالأشاره الى معالم جسمه العضلية التي يتكلم عنها  
في محاضره . وحين لاحظت بعض أرايى منهمكين في تدوين ما يسمعون  
من المحاضره في دفاترهم سلكي خوف مفاجئ من موضوع الطب عموماً،  
لا من موضوع الشريح وحده ، واعتقدت بأنني لا أصلح لدراسته كالآخرين  
من الطلاب الذين ظهروا لي انهم يفهمون هذه المحاضره ، وينقلون محتصرها  
الى دفاترهم . وانتظرت بفارغ الصبر انتهاء المحاضره لأرى فيما إذا كانت  
الكتب في الشريح ستساعدني في تفهم ما سمعته من المحاضر . وحين خرجنا  
من القاعة بعد انتهاء ساعة الدرس تسلفت بخفة من جانب الطاولة البيضاء

لأنجنب رؤية أميب اسجى على سطحها وقد ملأ قلبي خوفاً ورعباً وما كذب  
أخرج من قاعة المحاضرة بعد الانتهاء منها حتى ركبي هم حين تذكرت أن  
في جدول الدروس في اليوم نفسه حصه في الشريح العملي ما بين الساعة  
الساية والرابعة مساءً • وكانت قاعة هذا الموضوع أكبر قاعات الكلية وتقع  
في نهاية دھليز الكلية الايسر • وكانت فيها ست مناضد كدتي رأيتها في  
قاعة المحاضرات رقم (١) وسلى كل واحدة منها جثة أو بعض جثة ، وحولها  
أربعة كراسٍ صغيرة بلا منكرت ولا دراعين • يا إلهي ، جثة واحدة أخافتي  
حتى موت فكيف بكثير من الجثث في هذه القاعة ، وكأنها قد القطت من  
ساحة معركة • وهي جميعاً بتسكن وبنون واحد أتنبه بالجلود اليابسة بالرغم  
من طراوتها ونداوتها • وفي هذه القاعة ورعت عينا أدوات التشريح وهي  
سكين صغيرة حادة ، ومقط مسنن المسكين ، ومقص مدبب النهاية • فقتبت  
هذه الأدوات الجارحة بين أصابعي و قد حائف ومشتر من استعمالها على  
جسم إنسان •

وكان يشاركني في الصولة التي أعمل عليها كل من طالبين كمال  
نورالدين ومحمد حسين كطلم ، وشعرت بالراحة النفسية حين رأيت على  
الطاولة التي اى جانبي إثنين من الطلاب اليهود الذين زاملوني في المدرسة  
الثانوية المركزية وعنى وجهيهما نسيء من الهدوء والاطمئنان ، ولو كان ذلك  
بشكل مفتعل • ومنذ اليوم الاول في هذه القاعة انصفت مع كمال نورالدين  
أن يتولى قراءة كتاب (كانكهام) في لشريح العملي بيما أنا أبايع تطبيق ما  
أسمعه على الجثة • واعرف أنني لم أعمل شيئاً أفادني في ذلك اليوم • كما  
لم أتم أكثر ليلته ، كذلك لم أستطع في عدة أيام تاليه أن أأكل بشهية فقد  
كان اللحم الذي يقدم لي عداءً في المطعم بذكرني بلحم الجثة التي عملت فيها  
تقليماً في ذلك اليوم •

وحدث في الاسبوع الاول حادث وقع في صالة التشريح جعلني

أربع حين ألقب الجثة لأعمل في جانبها الآخر ؛ بينما كنا منهمكين في شريح الجثة سمعنا صرخه فزع ضجّت من بين صالين كنا نعملان الى جانب صولي ، كان احدهما هو مصطفى محمود والآخر ناظم مير ، وكلاهما من اربابي في المدرسة الثانوية، وذن مصطفى محمود يقرأ في كتاب كانكهام وناظم مير يشرّح الجثة التي هم عليها ، واقضى الحار ان يرفع مصطفى محمود ذراع الجثة عاليا ليساعد ناظم مير على شريح إبطها بسهولة ، ولم يكن ناظم مير قد فطن الى ذلك ، وفي لحظة كان على مصطفى محمود أن يترك يد الجثة ليفتب صفحة الكتاب الذي يقرأ فيه فسقطت هذه اليد ثقيلة على رأس ناظم مير الذي كان في تلك اللحظة منهمكا في شريح إبط الجثة، فما كان منه إلا ان صرخ برعب وخرج راكضا ينثر بين الكراسي هاربا الى حيث لا هدف . ولم يصح الى دياره إلا بعد ان أمسك به ( ملا خضر ) وأضجعه على الارض وثرعى وجهه الماء . وضحك الملا خضر حتى كاد يسقط من فمه طقم الاسنان الذي يمتؤه ، وفصّ علينا حاداً يشبه ما حدث لناظم مير ، قال :

— في السنة الماضية طويبت جثة طرية على محزمها لأساعد الطالب ( عزرا شكرجي ) على كشف ظهرها ، فانطلق من فمها جشا كان محبوساً في معدتها ، فظن عزرا ان في الجثة حياء ، ففزع عن كرسيه صارخاً ووجهه بلون ( النومية ) .

ولما غادرت الكلية في مساء ذلك اليوم ، أسرع لتصفح كتاب ( كراي ) الضخم في التشريح ذي التسعمائة صفحة بالقطع الكبير والورق الرقيق والحرف الدقيق ، وهو الكتاب المدرسي المقرر لطلاب كلية الطب في موضوع التشريح النظري ، كما تصفحت كتاب كانكهام في التشريح العملي بأجزائه الثلاثة ، فلم أعر في أي منهما ما يوضح ما سمعته في محاضرة الأستاذ هولمز ، ولا ريب أن في هذين الكتابين كل ما ورد في فاعة المحاضرات ( رقم ١ )



وفي ما رأيته في الجثة التي شرحناها ، غير ان التعابير في الكتيين وفي لغة المحاضرات كانت شيئاً آخر لا يقرب مما فهمه في كتاب لسراي ولشكهام . وهكذا اخلط عليّ الامر في دراسته الصب ، وعدت ادرس مجدداً موفقي منه ، ودا هذه السكينة تحتلف كل الاحلاف عن امدارس اسي عرفها قبل ، فالمعلمون من الانكليز ، ولغة التدريس فيها بالغة الانكليزية ، واكثر الدروس مختبرية وعملية ، وساعات حصصها منوصلة ، فلا نخرج من قاعة درس إلا لتدخل قاعة درس أخرى . ثم ان موضوع التشريح جديد ليس لي سابق معرفه به بأي قدر ، لما ان تشريح جسم الانسان وقطيع أوصاله عملية لا اطني أستطيع عملها حتى لو دأبت على امرارها بها . ولذلك صار يصيبني خوف قاتل وبخاصه حين أدكر ان السكيرين من الرايين إن لم يكن أكثرهم بمستوى في اللغة الانكليزية أعلى من أسسوى الذي انا فيه . ففهم من درس هذه اللغة في بيروت ، وآخرون في مدارس الهد ، وفهم درسها في مدارس بغداد اليهودية التي ذات مناهجها في هذه اللغة أعلى من صنوهب في مدارس بغداد الحكومية . فاصطربت اي اضطراب بعد أن استعرضت هذه المعوقات ، ورأيت نفسي بين امرين . إما ان اسمر بدراسة الطب أو أنسحب من كليتها وأدخل دار المعلمين قبل فوات الاوان انقرر لقبول في هذه المدرسة الاخيرة . وأرقتني هذان الخياران ، وأخيراً نمت على قرار أن لا تراجع ولا إعادة نظر في الاستمرار بدراسة الطب ، والتعب فيه والصعوبة يجب ان لا تكون ذات موضوعية في درستي بهذه الكلية ، فاسكبت على قراءة كتب المقررة بها ، فأقرأ الموضوع مده لأقف على معاني مفرداته اللغوية ومصطلحاته العلمية ، ثم مرة أخرى لأدرك مفاهيمه حتى صرت لا أدرك فهم لغة الموضوع حتى اجيء على فهم نصوصه من كل الوجوه . ثم رأيت ان أقرأ موضوعاً في كتاب التشريح قبل ان أسمع في محاضره الأستاذ هولز ليسهل عليّ فهمه أثناء محاضراته . ثم رأيت أنني بحاجة الى معجم انكليزي - عربي لأسيطر على تمام فهم تعابير المادة الطبية . وكان

(معجم سرب) في العلوم انشيه والتبعية هو الوحيد من نوعه اموسر في  
 بعد . . غير ان سه در السر ما بحسه ميز يسي انايه ، فجاهله ونبد  
 اشده في سراء هذا الدب . وبعد نحو سهر عادت اشكره بسح عي  
 سربه . فحسبت ما استطيع بويره وفسيره على معاشي . وأخيرا اقتنيت  
 نسجه مسعسه منه ، وحسنا فعلت . ولا يزال دب الدب في مكبسي واعتز  
 به . در من حياني الطلايه الاولى .

ودرجت أموري الدراسيه بي الكليه ، واحتلت عهدي النفسية، وسهل  
 الصعوبات الأخرى بقاء . وما هو أن علي الأمور اندرسيه هو نعري على  
 زملائي في الصف وبعض من اطارب القدماء الذين سبقوني بسنه الى  
 اندخول الى كليه الطب ، فكونت بيني وبين هذا المجموع من الطلاب الفه  
 وحبيب . وسريجيا رايسي احصى بنين منهم ، اراجع معهم دروسي  
 انيومييه . وذن لل منهم بخلق متيز وصباح غير ضاع الآخر . وكان أحدهما  
 واسه محمد حسين باسم يكلم بهدوء ، وينحرك بوقار ، ويسيل الى الجده  
 ولا يتزع ابى الهز إلا أنه يأس به ، وقد ينسرك فيه بحدود . ودامت  
 صحبتي مع هذا الصديق حيله أيام الدرسه في الكليه ، وقد توفاه الله بعد  
 اسبوع واحد من بخرجه بي الكليه ، فحزنت لوفاه وبأمت حتى بكيت .  
 ويوم وفاه وليس قبل ذلك عشت من ابيه المتجوع ان إبه الدكتور محمد  
 حسين كان أباً لطفلين ، عمر أكبرهما ثلاث سنوات والصغير ما زال على ثدي  
 أمه . وكان مظهر أبيه العجور حين اسلم إبه الوحيد الروح يمت الأكباد .  
 أما صديقي الآخر كساء نورالدين فكان على الفيض من صديقي  
 محمد حسين كاظم ، فهو يحب المرح ويتمن فيه . ويجيد تقليد الأساتذة في  
 محاضراتهم ، وبخاصة أستاذ الكيياء دكتور (رايسوند) حين يحاول أن  
 يخفي الشفه الحميه في نطقه ، فيثير فينا الضحك . كما كان لصديقي هذا  
 سيطرة خارفه على عضلات عينيه ، فيحرك مغنيتها حركة دائرية سريعة قد

تسبب اندوار من يصيل اضطر ليهما • كدنت له سيفرة على اديه، فبرفعهما  
وربعضهما ثم يساء ••• وحين يسهي الاسد رايسوده من محاصره يسدا  
لصا نوراسدين يرفض ( اساب دانس ) على بلزمه امخبر مثل ي زنجسي  
امريلي يحسن هذه الرقصه في النوادي الراقيه •

## درع انكليية ورباطها

في يوم ٦ / ١٠ / ١٩٣٣ عس على لوحه الاعلانات الحضراء كتب من  
سكرتاريه العماده ، بالعه الانكليزيه ، فهمه بعض من الصلاب بصعوبه  
وربما بعض الأخطاء ، تم فهمه على الوجه الصحيح من الطلاب الدين  
يجيدون اللغه الانكليزيه • ويحوى الكتب ان في داره كتب انكلييه دروع  
( بدجاب ) وأربنه صست خصيصا بطلاب انكلييه وصعب في لندن ، وان  
انعميد يرغب في ان يفتيها طلبه انكلييه كسمه ميزه لهم كما فعل الجامعات  
الانكليزيه ليعرفوا بها عن غيرهم من طلاب الكليات الاخرى • ويحتوي  
اندرع على خطين بلون ازرق فاتح يمتلان دجبه والفران ، ويلتقيان بخط  
ازرق ايضاً اقصر طولاً يمثل شط العرب • وعلى يمين الخط الايسر صورة  
سنان أسد بابل بلون رمادي ، وعلى الجانب الايسر صورته أفعى بلون فضي،  
وهي ارمز الذي استعمله البابليون واليوينيون رمزاً للشقاء وطول العمر •  
ويصور هذا الدرع صورة اتاج اسكي • اما الرباط فكان اللون الغالب فيه  
هو الأسود ، وفيه ثلاثة خطوط باللون الاحمر والأخضر والابيض ، وهي  
بمجموعها ألوان العلم العراقي • وكل من اندرع والرباط من تصميم السيد  
(لزا) زوجه الأستاذ سندرسن • وفي ايوم السابي ترجل الدكتور سندرسن  
عن سيارته ( الهوموبيل ) ليدخل الكلية وقد الصق على جيب ستره  
الاسر درع الكلية وشده على رقبته رباطها ، وباع الصلاب ارشداً الباح  
والرباط سنوات تالية عديدة ثم أهملوهما تدريجياً •

## ممثّل الصف أمام العميد

وب يوم ٨/١٠/١٣٢٢ ترده بي بوجه الاعتذار . « ان يجتمع صائب  
سب الاول ليصوبوا واحد من بينهم يمس الصف بي داره العبد » .  
وعرب ان دم كان مفيد عنده به ايامه عند سيبه سنة ١٩٢٧ .  
ورائب اد سحب السري في سنة محاصرات رسم (١) -سكرير الصبة (حبيب  
كنو) . وهم اعرف ليا صرب ان دنت اصل مشوب مع بي لتتمكنت  
عن رمزاني في الصف . ولبير اخيه . ولبين مدرم . وصبي حبيب كنو  
بعد فرز ام صواب وبوزي بمسيه ، ولفسي ان الولد اوسيد بين زملائي  
في الصف وسكرتريه بعدده . واعيد سحيا . واحقيقه اني شعرت في  
سنت الانصاف بتي . من ارهو وبسي . من سرج جعاري اسعر اني تمؤ  
للدراسة في هذه الكلية . فذل سنت من ساعدي على يسسها المعوقات  
والصعوبات اسي سنت سزعي ويهدد اسراراري بي درسه الصب . ولا اذكر  
كسل للصف اسي قد سب بدها . واجب يسحق بذكر . لا في حالين ، كانت  
الاولى قد حدث بي السنة الاولى وثنيه بي السنة الثالثة .

اما بي الاولى فقد اعتاد زوجة العميد اسيده (إزا) أن تدعو طلاب  
اسمه الاولى مع بعض من نذبه الصف اساني الى سون الساي في دارها التي  
دنت تسيها (الحن) ما كان فيه . كثير من هذا الشجر ، ويجهدان بوزعهم على  
مواند صغيره يتون فيها احد صلاب الصف المنتهي في اكلية . وكان واجبي  
في هذه الدعوة بقديم زملائي الصبة الى السيده (إزا) اسي تقف في استقبالهم  
عند باب بينها املاصق لحدائق اسنفسى والكلية اطبية . وهذا كل ما قدمه  
من واجب في هذه المناسبة .

أما الخدمة الأخرى التي وقعت في السنة الثالثة ، فقد حدث خلاف  
كلامي عابر بين الطالب يوسف حدوري والطالب خالد أحمد حالت ، وتطور  
الكلام فيما بينهما حتى تعالى فيه صواتهما في الدهلير الذي يفتح إليه باب

عرفة العميد • وقد قال يوسف خدوري فيما قاله لخالد أحمد حالت : انه  
سيخلق شاربته ، فثار خالد عليه بالسباب وكن العميد سندرسن في غرفته  
فسمع الصخب بين الطالبين المتخاصمين ، فطلبني سكرتير الكلية لأطلع العميد  
على ما يحدث قريباً من مكتبه فحضرت أمام العميد ومعني الطالبان  
المتخاصمان ، فقال خالد بعصية قبل أن يكلمه العميد :

— يا سيدي العميد ، ان يوسف هددني ••

وسأله العميد ببروده الانكليزي المعروف :

— وماذا قال لك بالضبط يا بني ؟

فتردد خالد أن يقول شيئاً ، فآلح عليه العميد أن يجيبه على سؤاله فقال :

— إنه أهانني وهددني •

فقال العميد :

— قل لي ماذا قال لك ؟

فأجابه خالد :

— انه ينوي حلق شاربي !

وسأله العميد باستغراب مفتعل :

— هل هو حلاق يا بني ؟

فأجابه خالد بجذ :

— لا ، انه ليس حلاقاً ، ولكن ذلك تحدّ وإهانة لشخصي •

وضحك سندرسن وقال :

— ولكنني لا أرى لك شارباً ليحلقه ••

— سيدي ، إنك لا تعرف المعنى في هديده ، وهو إهانة حتى لو لم يكن

لي شارب •

وعاد يضحك العميد ، وقال لخالد :

— إنني لا أرى في ما قاله يوسف إهانة لك ، فأرجو منك أن تتغاضى عما

قله ، كما أرجو أن تصافحا قبل أن تغادرا هذه الغرفة ، فما كان من  
خالد إلا أن قال للعميد : أنت تأمرني ولا ترجوني •  
وهجم على يوسف وقبله في وجنتبه وخرجا من الغرفة يتضحكان •  
وأردت أن أبيعها وأخرج معها من الغرفة إلا أن العميد استوقفني قائلاً :  
— دقيقة يا كمال ••

وشرد في تفكيره لحظات ثم قال لي :  
— كمال ، إني أخشى أن يكون خالد غير طبيعي فراقب أعماله واخبرني إن  
لمست منه ما يؤكد ظني فيه •

ولم يظهر لي خالد ولا سمعت منه ما يستوجب نقله الى العميد ، غير  
أنني بعد أيام افتقدته حين غاب عن الكلية • وكان أهله ذوي يسار  
وأبوه متصرف للواء الكوت ، وله حظوة لدى الملك فيصل الأول • وسمعت  
بعد أشهر أن علامات الجنون قد برزت في تصرفات خالد ، فحجزوه في  
بيته ، ثم أخذوه الى مستشفى العصفورية ببلدان ، وفي ذلك المصح كانت  
آخر ساعات حياته • ولما نقلت هذا الخبر الى العميد قال دون اهتمام :  
— كنت أتوقع هذه النتيجة •

### كتاب ( تقويم الكلية )

بعد يومين من افتتاح الكلية وزع على الطلاب كتيب بشأن وخمسين  
صفحة باللغتين العربية والانكليزية • وقد كتبت على صدر غلافه الأزرق  
عبارة ( جامعة آل البيت ) وتحتها عبارة ( كلية الطب الملكية العراقية ) ثم  
تحت هذه العبارة صورة درع الكلية ، وفي افتتاحية هذا الكتيب معلومات  
عن تأسيس هذه الكلية سنة ١٩٢٧ في ردهتين من ردهات المستشفى الملكي  
قبل انتقالها الى بنايتها الجديدة • كما في الكتيب معلومات وفيرة عن مكونات  
الكلية من فاعات تدريس ومختبرات ومرافق غير صفة • وفي هذا الكتيب  
أيضاً مواد نظام الكلية الذي يتضمن فقرة واضحة في ( ان العميد هو

المسؤول عن ادارة الكلية وما يتعلق بها ، ووظيفته ( فخرية ودائمية ) كما فيه مادة . ( على الطالب أن يدفع للكلية عند التحاقه بها خمسين ديناراً ، ويتعهد حصياً بخدمة الحكومة أربع سنوات متوالية بعد تخرجه في الكلية . ولا يجوز له أثناء الدراسة فيها الاشتراك أو الاتصال بأيّة مجلة إلا بعد موافقة العييد . ولا يجوز له أيضاً أن يمارس السياسة والدعايات السياسية أيّ كانت ) .

وفي هذا الكتيب ذكر لاثنتي عشرة جائزة للمتفوقين من طلبة الكلية تعلن على لوحات تعلق على جدران دهليز الكلية . وهذه الجوائز هي :  
جائزة البنك العثماني ، وجائزة البنك الشرقي ، وجائزة شركة اندروير ،  
وجائزة البنك الإيراني ، وجائزة شركة النفط العراقية ، وجائزة مناحيم  
دانيال ، وجائزة بيت ستريك ، وجائزة الدكتور دنلوب وجائزة الدكتور  
سندرسن ، وجائزة الدكتور هيكز وجائزة الدكتور حنا خياط .

### واديقياي في السنة الاولى بكلية الطب

كان أكثر طلاب الصف الأول في الكلية من اليهود ، كما ذكرت ذلك آنفاً ، وأغلب هؤلاء منغلزون على أنفسهم ، وحذرون في صداقتهم حتى وهم في عمر التمهدة الذي لا خوف منه . أما أكثر أصدقائي قرباً الى قلبي فهما كمال نورالدين ومحمد حسين كاظم ، وهما أخلاقياً على طرفي نقيض ، فان كمال كثير المزاح والآخر قليل الكلام كثير الجدة . ولكمال حس فني ، ويسبل الى سماع الموسيقى ، ويتذوق الرسوم ، وكان إيجابياً في النظر الى ما في الطبيعة من زهور وطيور ، فلا يرى أيّاً منها إلا ويتوقف قليلاً ليشتي على جمالها وأريجها وتغريدها . وثمة شبه بينه وبين أستاذ التشريح صائب شوكت ، وخصوصاً في جبهة رأسه وعينه وما يناظرهما في وجه الدكتور صائب شوكت . وكان على الصفحة الاولى من كتاب التشريح صورة مؤلفه ( كراي ) فقلت لكمال ذات يوم وأنا أنظر الى وجهه :

— أنت تشبه كراي يا كمال . .

فقال لي :

— بل اني أشبه الدكتور صائب شوكت • ثم ضحك وأضاف : نحن  
الثلاثة من كبار علماء التشريح •

كنت أرتاح الى صديقي كمال لأنه يرحح دون حذر وقت المرح، ويلتزم  
بالأدب والجدية وقت الدراسة ، وهو قارئ جيد ، لا يتعب ولا يمل، وكنت  
التقي معه تحت ظلال أشجار الدفلى الكثيفة التي أقيم في مكافئها بعد ذلك  
المختبر المركزي الذي يواجه مدخل كلية الطب • وكانت تختفي خلف هذه  
الأشجار دار صغيرة ريفية الشكل ، يسكنها أستاذ الباثولوجي ( الدكتور  
ملز ) ، وهو حريص على متابعة أعماله في المختبر المركزي المحاذي لدار  
التمريض الخاص بالمستشفى الملكي ، فيخرج من داره المذكورة وبصحبتيه  
شابة رشيقة في الوقت الذي نكون أنا وكمال في ظل أشجار الدفلى ، فيذهبان  
معاً الى المختبر ليتفقد الدكتور ملز محاضن نمو الجراثيم المزروعة فيها ، فلا  
تفلت هذه الشابة من تعليقات صديقي كمال ، فيلاحقها بنظراته النهمة حتى  
تختفي في منعطف الطريق القريب من دائرة الأشعة ، ويصل الكتاب الذي  
كان يقرأ فيه ، ويتعمد عني بفكره ، فأطلب منه أن يعود الى كتابه ، ومع  
أنني لم أكن أقل منه ميلاً الى الاستمتاع بالنظر الى تلك الشابة ولو كانت  
مدبرة ، بعد أن فاتني النظر إليها وهي مقبلة • وفجأة قال لي كمال :

— كفى ما قرأناه هذا اليوم ، وليس في مقدوري أن أعود الى القراءة في  
الكتاب بعد أن رأيت هذه الفراشة ... ألا لعنة الله على الكتاب •  
وينهض متعجلاً بلا هدى ، ونغادر المكان على موعد لتقابل في  
اليوم التالي •

في خان محمد طيب ببغداد/ ١٩٣٢

عقدة المقعد بالنسبة للطلاب الغرباء عن بغداد هو السكن الذي يتوفر  
فيه القرب من محل الدراسة والقرب من أحد الأسواق حيث يحصل منها



الطالب على ما يحتاجه من غذاء ، ثم أن يكون هذا المسكن رخيصاً أو في  
مكنة الطالب استجاره ، وأكثر الطلاب من خارج بغداد وهم من عوائل غير  
ميسورة ، وحل لهذه المشكلة يضطر الطالب الى أن يتعاون مع أحد زملائه  
على كلمة السكن ، وفي ذلك أيضاً اقتصاد في مصاريف الأكل إذا تعاونا على  
تهيئته في الدار التي يستأجرونها ، ولما كانت عندي تجربة قاسية بهذا الجانب  
من حياتي المدرسية يوم كنت طالباً في المدرسة الثانوية المركزية فقد تهيأت  
له مسبقاً فقصدت منذ يوم وصولي الى بغداد في السنة الاولى من التحاقني  
بالكلية الطبية ، صديقاً لأخي رشيد ، وهو صاحب مكتبة صغيرة في سوق  
السراي أستعين به لأجد مسكناً لي في هذه السنة . وفيما أنا ألج سوق  
السراي تقابلت فجأة مع صديق زاملني سنتين في متوسطة الحلة وسنتين في  
المدرسة الثانوية المركزية ببغداد واسمه ( ناجي شاؤول ) . وفيما كنا واقفين  
على طرف من السوق نستذكر أيامنا في المدرستين ، اكتشفت أن هذا الصديق  
كان يبحث عن محل يسكن فيه ، وأنه في طريقه الى ( خان محمد طيب )  
الواقع خلف سوق السراي ليستأجر فيه غرفة معروضة للإيجار ، فاقترح  
عليّ أن أشاركه فيها ، فوافقت على مقترحه في الحال ، وصرفت النظر عن  
مقابلة صديق أخي رشيد . ووصلنا الى الخان من خلال زقاق ضيق يتفرع  
من سوق السراي ، فاذا هو دار واسعة يتوسطها فناء يفتح الى السماء ،  
وتكس على جوانبه أكياس وصناديق البضائع من كل نوع ولون ، وبين  
تلك البضائع ممرات ضيقة تنتهي بحجر موصدة أبوابها بأقال ثقيلة ومحصنة  
نوافذها بقضبان من الحديد السميك . ويمكن أن يستبان من بين هذه  
القضبان ما في داخلها من أكياس التبغ ، وطبقات الجلود ، كما تنبعث من  
هذه الحجرات روائح الدبابة والمواد المتخمرة . ومن الجانب الأيمن من  
الفناء منمذ الى سلم يصل الى الطابق العلوي من الخان . ولهذا الطابق شرفة  
طويلة ، لا أنها ليست عريضة تطوف حوله من ثلاثة جوانب ، وتنفذ إليها  
حجرات كثيرة تشغل بعضها مكاتب وبعضها الآخر بضائع مثيلة لما في حجرات

الضيق الأرضي . ووددني حارس الخان ومعني صديقي ناجي شؤول الى حجرة صغيرة ليس فيها إلا نافذة واحدة الى جانب مدخلها مباشرة . وهو يقول لنا :  
— هذه هي الحجرة المعروضة للايجار . وايجارها خمس رويات في الاسبوع !

ولما كان هذا الايجار يناسبني إذا شاركني فيه صديقي ناجي ، فقد تم مع الحارس استئجارها ، وكان ذلك يوم الخميس ، فقل بأريحية طبيعية :  
— هذا اليوم ويوم الجمعة لا يدخلان في الحساب ، أي ان دفع الايجار يكون في كل يوم سبت .

وتزاحنا على شكره على هذا الكرم . وفي اليوم نفسه حملنا إليها أمتعتنا ، ولم يكن لي فيها أكثر من حقيبة معدنية صغيرة فيها ما كان عندي من الالبسة ، وسرير معدني بسيط وأفرشة محدودة ، وقليل من الكتب والدفاتر ، وبعض العظام البشرية التي أحتاها عند قراءة مواضع التريح . وفي غضون يومين توضحت لي معالم الخان ومرافقه . كان الى جانب الغرفة التي نقلنا إليها أمتعتنا حجرة صغيرة يسكنها رجل مسن لا يخرج منها إلا والطربوش الأحمر يغطي رأسه حتى أذنيه ، كما كان يكثر من السعال خصوصاً في الليل ، ونسمعه يقذف من فيه قشعاً يتخلص منه بصعوبة . ويبدو أنه كان يجمعه في كأس معدني ، إذ أنني كثيراً ما أسمع حين ينتهي من نوبة السعال حركة غطاء ذلك الكأس على فوهته . أما الحجرة الملاصقة لحجرتنا فكانت مكتبةً لمالك الخان . وهو من أثرياء الأكراد ومن كبار تجار التبغ في العراق . وإلى جانب هذا المكتب حجرة يعمل فيها رجلان يكثران من الخروج من هذه الحجرة أو الدخول إليها وهما يحملان في أيديهما دفاتر وكدس من الأوراق . وفي حجرة أخرى شخص يكسو رأسه بعمة مزركشة بلون الخردل ، لا نراه إلا إذا خرج من الحجرة ليتوضأ على الشرفة التي أمامها .

وكانت حجره مالك الحاد أكثر الحجر في الحركة وعلى مدى ساعات النهار ، فيدخلها ويخرج منها سيل من المراجعين لا ينقطع ، باستثناء أيام الجمع ، فإذا ضاقت حجرته بهم خرج بعضهم الى الشرفة ليقفوا وهم يسدون ظهورهم على جدران ونوافذ الحجر الأخرى ، حتى يصل طابورهم الى باب ونافذة الحجر التي تسكنها ، ومن نافذة هذه الحجر يلقون نظرة الى داخلها المعتم وهم يضيقون ما بين عيونهم ليتبينوا ما في داخلها . فإذا تعالت أصواتهم قمت الى النافذة وأغلقتها وأسدت عليها الستارة ، فيدركون حينذاك ما يسببه لنا ضجيجهم من إزعاج ، فيبتعدون عن نافذة الحجر ويخفضون من أصواتهم ، فتسود سكونة كالتي تعقب توقف الزوبعة .

وكان يتردد على الخان شاب في العقد الثالث من العمر ، مريح الطلعة ، وذو وجه باش ، وعينان نشطتان ، وقد استعلت يوماً من حارس الخان عن هويته ، فأخبرني انه ابن مالك الخان ، وانه كان يدرس الطب في المانيا ، وعاد منها بعد عامين بسبب لومة عقلية أعاقته عن متابعة الدراسة فيها . وسألت الحارس فيما اذا يكون من الميسور التحدث معه ، فأجابني قائلاً : بكل تأكيد ، فهو دمث ومؤدب ، وابن عائلة . ويوماً حيت ذلك الشاب وأنا أجتازه خارجاً من حجرتي ، فنظر الى وجهي وعلى فمه ابتسامة عذبة ، إلا انه لم يرد عليّ التحية . وتكررت تحياتي له في أيام تالية ، وتكررت ابتساماته لي دون كلام . وفي صباح يوم طلب مني حارس الخان أن أسدّ نافذة حجرتي وأسدل عليها الستارة إذا ما غادرت الغرفة الى الكلية . وبدالي طلبه غريباً ، فقلت له :

— أنا مطمئن من أمانة المكان ، ثم لا شيء ذو أهمية مالية في حجرتي فأجابني :

— ليس هذا ما قصدته ، والمكان أمين جداً ، بل ان (محمداً) ثار البارحة ثورة أخافتنا حين رأى من خلال النافذة العظام التي كانت على

مضدتك ، وصرخ وهاج وهو يشير بإصبعه الى ما على مضدتك من عظام ..

وفعلت ما طلبه مني الحارس ، فلم أكن أغادر حجرتي في الصباح قبل أن أؤكد ان الجمجمة والعظام الأخرى بعيدة عن مرأى من ينظر الى داخل حجرتي ، وزيادة في الاحتياط وبسبب احتمال أنني أنسى مد النافذة واسدال ستارتهما ، صرت أضع تلك العظام تحت سريري . ولكنني لم أرَ محمداً بعد ذلك ، فاستعسرت عن ذلك من حارس الخان فقال لي بحزن :  
— أعيد محمد الى ألمانيا للمعالجة .

وحمدت الله ان تلك الأيام كانت في الاسبوع الأخير من أيام السنة ، فغادرت الخان عشية يوم انتهائها خشية أن أرى أو أتخيل على وجه مالك الخان ما يدل على أنني كنت سبب نكسة ولده محمد .



وكانت فرصة تناول الغداء خلال ساعات دوام الكلية بين الساعة الواحدة والثانية ، فنصل مسرعين أنا وصديقي كمال الى ( مطعم العاصمة ) لصاحبه ( محمد تايه ) بحلة الميدان . ووجبة الطعام لكل منا يومئذ لا تزيد على نصف ماعون ثمن ونصف ماعون خضرة ، وصبونة واحدة ونصف ماعون سلطة ، ومجموعها لا يكلف أكثر من مائة وخمسين فلساً . وارتأينا أنا وصديقي كمال أن تتناوب على دفع هذا المبلغ ، فيدفعه هو يوماً وأدفعه أنا في يوم آخر وهكذا ، وقد كثر ترددنا على هذا المطعم حتى صار النادل ( سعيد ) يولينا إهتماماً خاصاً ، فيسرع الى خدمتنا بعد أن عرف أن وقتنا للمجيء الى هذا المطعم ، وتناول غداءنا فيه محدود وقصير . وفي يوم ومن دون قصد مني لاحظت رجلين كانا كثيراً ما يكونا في هذا المطعم حين نكون نحن فيه ، وتكون طاولتهما قرمة من طاولتنا ، وهيتهما وقيافتهما واحدة أو متقاربة ، وهي زبون وجاكيت و(جراوية) تكسو الرأس . ويبدو أنهما

لا يراحن إلا إذا تكسا بصوت عالٍ ، كما كنا مثلنا لا ياكلان أكثر منا  
فائل ، ولا يدعان حسابهما أكثر مما ندفع . وكان اسم أحدهما على أكثر  
الاحتساب (صالح) واسم الآخر (خليل) لأنني تيرا ما أسمع أحدهما يكني  
صاحبه بأبي (مهدي) ، ويكني الآخر صاحبه بأبي (إبراهيم) ، فاذا أسا  
ناول غداءهم وكن على صالح ان يدفع الحساب في ذلك اليوم لا ينسى  
قط أن يلفت الى صاحبه خليل ويسأله :

— تحب تاكل بعد ؟

ويجيبه خليل :

— لا ، الحمد لله شبع .

ويعود صالح يعزم عليه :

— بالله عليك يا أب إبراهيم !

ويرفع خليل يده ويبسطها على صدره علامة الاكتفاء والامتنان ولا يقول  
شيئاً آخر . ثم يودعان طاولتهما بتجشؤ عال . وفي اليوم اسابي يعمل خليل  
ما فعله صالح بالأمس وهكذا . ويكرر هذان الصديقان هذه التمثيلية  
بحماسة وتلدذ . ولا أذكر أن أحدهما قد طلب يوماً أكثر مما طلبه الآخر  
من الطعام . ويوماً ونحن نتناول غداءنا جاءنا سعيد بماعون (حلاوة طحين)  
ووضعه بعشاء على طاولنا وهو يقول هذه (أوجاغ) من استاذي . وعندما  
غادرنا المطعم شكرنا اساذه (محمد نايه) فقام هذا بصوت مسموع  
أخجلنا :

— أتم أولادي ، وهذا المطعم محلکم ، بس أريدکم تشدون حيلکم

بلامتحان ولا تشلونا .

وكنا فعلاً على أهبة الامتحان .

أساتذة الصف الأول بكلية الطب

كان جميع أساتذة الصف الأول من الانكليز باستثناء الدكتور صائب

شوكت • أما المساعدون في اختبارات فهم من نصارى نلكيف والآثوريين  
ومسلم واحد • • ولكل من هؤلاء ومن الأسانده أيضا صفات وخصوصيات  
يجعل لكل واحد منهم شخصية تجلب النظر •

(١) الأستاذ رايونيد : وهو أستاذ الكيمياء اللاعضوية • ومختبره  
مسيح في الدهليز الايسن من الكلية ، وسفوفه عاليه ، وفيه مناضد ثابتة  
تبرز من داخلها صنابير الغاز والماء فوق أحواص صغيرة من الحزف الأبيض •  
وفي صدر القاعة سبورة سوداء بغطى بلون الجبهة وبعضاً من قسها  
السفلي • كما ان على بعض المناضد موارد مختلفة الحجم والأشكال •  
والاستاذ رايونيد في العقد الرابع من العمر ، انكليزي مثالي في تصنيف  
شعره وفي ملبسه ونطقه ، ويرتدي بزة مختبرية بلون العاكي ، وإذا خلها  
ظهر سرواه محمولاً برباط يمر على كتفيه ينتهي عند محزم سرواله من  
الخلف • وكان في نظن رايونيد لثغة بالثاء لا بالراء وهو يعتمد إخفاءها  
ليكون نطقه واضحاً في محاضراته • كما كان يكتب على السبورة السوداء  
ما يمر بمحاضراته من المصطلحات بحروف متقطعة • وكنت أستمتع بمحاضراته  
وبالتجارب المختبرية التي كان بعضها يشبه أعمال الحواة ، فقطرة واحدة من  
سائل عديم اللون يسقطها في قارورة مليئة بسائل عديم اللون أيضاً، فينقلب  
هذا السائل الى لون أحمر بلون الشقائق • وقد يدخل الى هذا المختبر بينما  
الأستاذ رايونيد منهمك في تجربة كيماوية ، شخص أكبر عمراً من رايونيد ،  
فيتقدم هذا منه باحترام ظاهر، ويتحدثان دقيقة أو أكثر ثم يغادر ذلك الشخص  
المختبر ورايونيد يشيعه حتى بابيه ، وعرفنا بعد انتهاء الدرس ان ذلك  
الشخص اسمه (باسيت) وهو أستاذ الكيمياء العضوية واللاعضوية ، وهو  
أكثر مثالية للانكليز من رايونيد ؛ كث الشارب ، ويتدلى من بين شعرات  
شاربه غليون كبير الرأس أعوج البسم ، ويرتدي صدرية بيضاء عليها أصباغ  
متناثرة كثيرة من فعل سوائل الاختبار التي يستعملها في مختبره •

والاسناد (بسيث) هو الذي صنع معاديه ادمه اشهورة باسم (امني)  
اسي اصدره شرله ،لفص اعرافيه لا يده ادياب ، وقد كرمه هذه اسره  
ببئف كبير من اروييات •

(٢) الاساد هولنز - وهو اسدوسدي صير الحجم ، معروف الوجه ،  
في نحو الاربعين من عمره ويحمل جميع الشهادات ابريطايه ابتداءً من  
البكلوريوس وحى انزاله واعضويه في الصب وفي الجراحه وفي الامراض  
النسيه ، كما يحمل شهادتي اندلوراه واندجسير في الصب والجراحه  
بأسابع ، وهما اعلى اسهادات ابريطايه ، واحصون على اي منها ليس  
بلامر السهل • وكان يوم دحت لديه الطب اساد الامراض اسايه والتوليد  
تلصقين لراج والعامس ، ابي جانب مدرس الشريح الطري بلصف الاول •  
وكانت قاعه هذا الدرس هي اوحيدد المدرجه في الكلية ، ومثيذه على شكل  
نصف دائرة تحف بموقع المحاضر ، ومن ورائه لسبورده السوداء ، ومن امامه  
طاولة خزفية بيضاء توضع عليها جته الانسان تحت ادرس • كما يحضر  
هذا الدرس من غير الطلاب المراض (شايه) مضد قاعه الشريح العملي ،  
عاريه الا من لباس قصير ، بالكاد يسر عورته ، فادر شرح هولنز عضله من  
عضلات الجسم خط بطرف عصاه على موضع ومسرى نبت العضله في جسم  
شايه • وعموماً كانت لهجه هولنز لاسكولنديه غير منهيمة تماماً بالنسبه  
لي • وعدد محصرائه النظريه على مدى السهه الاولى بمعدل ساعه واحده  
في صباح كل يوم بين الساعه الثمنه والناسعه •

(٣) الدكتور صائب شوكت : وهو من أسره عراقيه لها قدم في تاريخ  
بغداد أيام الحكم العثماني ، وقد ولد في بغداد وشأ في كف آيه شوكت  
باشا ، ودرس الطب في استبول وأم تعلّمه في برلين ، وعد الى بغداد  
سنة ١٩٢٠ ، وعمل أولاً جراحاً في ( المستشفي العام الجديد )  
المعروف اختصاراً بـ ( N.G.H ) أي New General Hospital  
الواقع على الطريق الترابي الذي بين بغداد - الاعظمية ، ثم انتقل الى

استسمى اسكي (امجيديه) بعد أن عاينها اصافم الصبي العسكري الانكليزي  
، في مصفاه اميدي . وذن من ارايه في المستشفي اندنور دنوب والدكتور  
( دود نسيم ) واصفد ملا حصر . وحين اسحت بكليه الطب كان الدكتور  
صاحب رئيس للوحدة الجراحية الثانيه في استسمى الملكي ثم تولى تدريس  
شريح العلي لصف الاول ، والجراحه السريره لصفين الخامس  
والسادس . كما تولى بعد ذلك عمده الكليه الطبيه مرين . وللدكتور صائب  
شوكت فصائل ليرة خدمت كليه الطب والمستشفى ساجي الى ذكرها  
فيما يأتي . .

(٤) ملا خضر ، وملا يوسف ، ومروكي ، وشابة : ليس أي واحد من  
هذه الدواب طيباً ، بل كانوا يعملون بخدمه من يدرس الشريح في الكلية  
الطبيه . وقد صارت لكل منهم خبره كفي لاسبغافهم في الكلية حتى  
ماعدوا في عمر متقدم .

وملا خضر أبرزهم وأقدمهم في المحيط الطبي ، فقد عمل مضمداً في  
( استسمى العام الجديد ) أربع سنوات قبل افتتاح مستشفى المجيديه  
( اسكي ثم الجمهوري بعد ذلك ) . ويكنى ملا حصر بابي عبد ، ويناديه  
من في الدية باسم الملا اختصاراً . وابنه عبد أحد سائقي سيارات الاسعاف  
في استسمى اسكي ويطر اليه أطباء المستشفى بعين الرضا وتقديراً لأبيه الملا  
خضر . والملا خضر من جانب الكرخ ، وكان يوم دخلت كليه الطب في عمر  
الخمسين ، بدياً ، وذا بطن كبيره هي اكبر قسم في جسمه . ويلف رأسه  
بعمه خردليه اللون كالتي يلبسها حجيج بيت الله الحرام . وعيناه دوماً  
دامعتان . وأجفانه متمخه وبخاصة السفينان ، ويكثر الملا مسحها بمنديل  
لا لون له . أما بطنه المنفخ كبطون الحوامل فيرفعها بحزام بلون عتمه  
غير انه يتهلل الى مستوى السرة أو أخفض .

وملا خضر حفيف الروح وحلو النكته . وهو أمي غير انه يدعي قراءة



القرآن الكريم ويجودّه ، ويشير الى ان لقب الملا قد جاءه عن هذا الطريق  
لا لانه يعمل في قاعة الأموات بكلية الطب . ويطوف الملا بين منحد الطلاب  
في قاعة التشريح ليساعدهم على نقل فضج الجثث من طاولة الى طاولة ، فإذا  
دخل الدكتور صائب القاعة ، فسحب املا خضر ليصف على باب القاعة بامد  
كالتثال ، فلا يتحرك ولا يرف له طرف . وينسأهل في ضبط موقعه حين  
تصدر دموعه على خديه ، حين ذاك يرفع يديه لمسحها بكمه أو بسديله .  
فإذا غادر الدكتور صائب القاعة انطلق املا من موقعه واستعاد حريته مع  
الصلبة . ولا يفوته ان يذكر ففرا من تاريخه الأول في ( المستشفى الجديد  
العام ) وفي ( استشفى الخاص ) ابي أقيم في مكن هو اليوم دائره  
المطام القريبة من سوق السراي .

وفي ذعة اشريح الى جانب الملا خضر شحسان آخران يعملان في  
تحضير الجثث ليدرس عليها صبة الكلية، احدهما كريم العين اسمه ( مروكي )  
والثاني كبير الرأس ، أحمر الوجه منين البية ( اسمه تابه ) وكلاهما في العمد  
الثالث من العمر . ويهمهم وبين الملا مهم في توزيع الاعمال بالذعة ، وذن  
لا يصيب الملا حضر إلا الأفل من تلك الاعمال . . وذن مروكي في كل يوم  
خميس يجمع صديرات الطلاب البيض ويأخذها الى بيته ليغسلها ويكوها  
لقاء عشرين فلأ عن الصدرية الواحد . وكان للملا حضر نصيب معين من  
هذه الأجور ولو انه لا يشارك في عملها إلا بجمع الصديرات ونسبها الى  
مروكي ، كما ان الثلاثة المذكورون يجتمعون عظام الجثث التي ينتهي من  
دراستها طلبة للقاعة فيسلخون عنها ما بقي من لحم ثم يسلقونها بباء حار  
لأزالة أجزاء اللحم الدفيمة العالقة بها ، وبعد ذلك يحملونها الى سطح الكلية  
وينشرونها مكشوفة للهواء والشمس اسبوعاً او أكثر من الأيام . وذات يوم  
وقع خلاف بين املا وكل من مروكي وشابة ، انهم فيه الملا زميله بسرقة  
بعض العظام وبيعها خفيه عنه الى الطلاب . وكذ الخلاف يؤدي بهم الى ما

لا يحمد عقباه حتى يصف الله وأكثف مروني انه صابر (معتزل) لا يبر  
بعض العظام وهي في صراوحه ويحده بعينه عن مكدته . ومن ذلك يسر  
كانوا يثرون العظام تحت تبيكه معديه لبعده العظام عن مفاير من غير  
اما امار يوسف فهو الاخر شخصيه بنت مصر . وسينه ن يحسن  
يوت في امسنى حين يوتى دووه عن حمده حيق يدهم . دداز جعفر  
امسنى بعد دت قيل لهم ان امسنى يبرهم على الصرخه . لاسا زيه  
مشرده حصة بهم وبدمتهم . ييب حقيقته ن مرهم يثرون اى لانه يستحترده  
املا يوسف يحسبهم سى كيه صب . دداز ثرب امار يوسف بدنه من  
الكيه سرع يريهم بصوت حزن رحيم . ن سو كن سوقي من هسه .  
ويوسف امار يوسف حياء في صريته صوين سى الكيه يدهم بكيه صره  
حزة على التقيد امسجى على الصفة . وعو بسج لا يعرف عن هسه  
يعيه ، واد وصل منحل الكيه صب بعته المعبوده من عيت انا يشحو  
الصريق مرور ( ثرس الثربان وندام الصعان اى دار الاحرود وثسج  
الجن ) ويسعه امار خضر ويضع عليه بسسم مه اجنه وينتبه لى حب  
نزع او عينها من ادم ثم يحفظها بساد كيدويه سكي لا يصن العنن والسج  
إنيك تم يرميها في حوص لير مبيء بسحوه الثورمين . ومه نرفع وتوضع  
على مناضد الشريح في قاعة الدرس .

### الملك فيصل الاول هي قاعة الشريح

اعتاد الملك فيصل الاول زيارة الكلية في بداية كل عام دراسي ، فيزور  
أول ما يزوره قاعة الشريح حين يكون الطلبة فيها منتهكين بتشريح الجثث،  
وساعات درس التشريح العملي دوماً بعد الظهر ، أما الدروس الأخرى  
النظرية فجدولها في ساعات قبل الظهر ، وهذه لا منعة فيها لغير الاختصاصيين  
بينما التشريح العملي موضوع مشوق لحد ما . كما ان في حضور الملك  
في ساعات هذا الدرس شيء من التشجيع لمن يخشى الأموات من الطلبة ،

ومن هذا حضر بنت زهرة سديديه ردييه في رعب درس الشريح .  
وداب يوم في لأسبوع مأون من بده اسراسه في اريديه دخل العميد  
الاستاد سدرسن دعه انشريح . وقصد رسا الدكتور صائب صائب الذي  
كان في نك اسحضات يجس عى كرسى في راويه من روايا السعه ، واسرعى  
اتباهي أنه لم ينهض عن كرسيه بسجل الدكتور سدرسن وإسا الكى  
بإتامة خفيفة اعتيادية ، وتكلم الأناث بتبسط ، وظل الدكتور صائب في  
حلال ذلك جالسا في مكته . ثم قام وتوجه هو والدكتور سدرسن الى  
باب الدعة وغدراها . وتحرك املا خضر من مكته عند الباب ليخطر ما أن  
الملك فيصل الأول سيحضر الى القاعة وينحدث الى طبيها . وسألا الملا  
خضر باستغراب :

— الملك يحضر الى هنا ؟

فأجابنا وهو يدعك عينيه ببنديله الأحمر الكبير :

— إنه يفعل ذلك في كل سنة في مثل هذه الأيام .

وعدا نسأله :

— من قال لك أنه سيحضر ؟

وأجابنا باختصار :

— الباشا .

وهو يقصد سدرسن باشا .

وعاد الملا الى مكانه عند الباب ، وأخذ يعدل من وضع عسته على  
رأسه ، ويرفع حزامه العريض المتدلي على أسفل بطنه المنفخ ، وبعد ذلك  
انمسخ تمثالا لا حراك فيه . ولم يطل الوقت حتى انفتح باب القاعة وطمع  
علينا الملك فيصل وأعقبه الدكتور سدرسن ثم الدكتور صائب .

وكان على رأس الملك سدارة تبينة اللون من صنع أكراد الشمال ،  
المعروف بـ (الچين) تطول على رأسه أصبعا من الأمام وإصبعا من خلف

رأسه • ويربدي يديه من انز بون صجين الحصة • وقد بدا بي اقصر فامره  
وأخف عودا مما كنت رايت سابقاً •

ونقدم الملك من ماصد السريح بشا ، ووقف عند واحده منها وهو  
يرنو الى النجه التي عليها ، مسكاً بصابع يمينه ببحيه المديبة التي وختها  
الشيب ي دل مدد فيف • وكان بي ايدي صبه لك الصاوله فص من  
فصوص الدماغ • فهدم سندرسن يشرح للملك :

— هذا هو الدماغ ابيري • واسر يقون : يصل الى هذا الدماغ حزم  
من الاعصاب تنقل إليه اخبار الجسم وتأخذ منه أوامره ...

ولم ينتظر الملك ما يريد ان يزيد ان يزيده سندرسن على كلامه فأهمله  
ونقدم من صاوله اخرى كنت انا احد اربعة عليها ، وسال رفيقي كمان  
نورالدين بلغة انكليزية لا نخلو من النيرة البدوية :

— هل تحب موضوع التسريح ؟

فاجابه كمان بالانكليزية ايضاً :

— نعم يا سيدي الملك •

وضحك الملك وضرب بكفه بخفه على كتف كمان ونحرك في اتجاه  
صاوله اخرى ثم الى باب القاعة ووقف أمام الملا خضر برهه ، وكان ظهر  
الملك في اتجاهها فلم نر وجهه وهو ينظر الى الملا خضر ، ولا سمعنا ما  
قال له ، غير اننا راينا ملا يبتسم له حتى بانث نواجهه الذهبية ، ولما غادر  
الملك القاعة سأل أحد الطلبة الخبثاء الملا خضر :

— أكيد عزمك الملك على العشاء في هذا اليوم يا ملا !

فأجابه الملا حالاً :

— هذا صحيح ، ولكنني اعتذرت منه لأنني مشغول هذه الليلة ومرتبطة  
بسعود مسبق ، ثم أني تعشيت معه يوم البارحة ، وكراره بهذه السرعة  
يجعلني أمل صحبة الملك !!

نعم كن الملا خضر سريع الجواب خفيف الروح حقاً ..

### أول فتاة تدخل كآية الطب/ ١٩٣٣

في السنة الثانية بعد دحولي الى كلية الطب فوجيء الطلاب بوجود فتاة في ( الصف الأول ) بدرس التشريح النظري الذي يشترك فيه الصنفان الأول والثاني . وحدث همس وتساؤلات فيما عسى أن تكون هذه الفتاة ، هل هي زائرة أم طالبة ؟ طيبة أم موظفة في دائرة العسادة ؟ فعرفنا بسهولة أن اسمها ( ملك ) ، وانها ابنة رزوق غنام صاحب جريدة العراق . وكانت هذه الفتاة تتحرك باتزان وتبتسم باحتشام ، وتتكمم بجرس خفيض ، وفرضت علينا أن ننظر إليها بأدب ورزاة . غير أن ذلك لم يمنعنا أن ننظر إليها كمثاة لا كطالبة زمية فعسب ، فضلاً عن كونها الوحيدة من بنات جنسها بين طلبة الكلية الشباب ، فاذا ترجلت من العربة لتي تقلها الى باب الكلية في صباح كل يوم ، وارتفع طرف فستانها بحكم نزولها من العربة الى أعلى كعب قدميها أو الى قدر من ساقبها ، فيكون ذلك مشهداً مثيراً تترقبه بلهفة وفضول . كانت الأنسة ملك غنام أول فتاة عراقية تدخل كلية الطب في بغداد ، ثم كانت أول طبيبة تخرجت فيها . وكانت أيام نمذتها ملتزمة بدقة في دوامها ، وحريصة على ضبط محاضرات الأساتذة . ولا تختلط بأترابها من الطلبة إلا بقدر ما تضررها الحاجة العلمية ، أو الأمور المدرسية . غير أن ثمة حدث التصق بها لا بأس من أن أذكره فيما يأتي :

كان يزامل الأنسة ملك غنام في الصف طالب اسمه إبراهيم ( . . . ) ، وهو قصير القامة ، نحيف العود ، وكأنه طير حمام معطوش حائع ، كما كان منظوياً على نفسه ، فلا يشارك زملاءه على المصطبات التي يجلسون عليها في حدائق الكلية بل ينخذ له مكاناً قصياً عنهم على قدر إمكانه . وفوجيء الطلبة ذات يوم مشمس من أيام الشتاء حين رأوا إبراهيم يدخل الساحة مسرعاً ، ويخطو عليها بضع خطوات ثم يميز في الهواء وينقلب قبل أن تلامس

قديماً الأرض . وكانت هذه حركة بهلوانية بارعة دهشوا لها ، ومع ذلك لم يبد على وجه إبراهيم استجابة لإعجابهم بتلك الحركة ، بل مشى بتوءدة وأخذ مكانه قصياً على إحدى المصاطب المنزلة ، وكأنه لم يفعل شيئاً ، أو انه فعل شيئاً إعتيادياً بالنسبة إليه . ولاحظ الطلبة بعد تكرار إبراهيم حركاته البهلوانية ، انه لا يمارسها إلا إذا كانت الأنسة ملك غنام موجودة على إحدى مصاطب الساحة . كما تأكدوا بملاحظة انفعالات إبراهيم انه يحب الأنسة ملك ، على انها لم يحدث ان انفردا معاً في أي مكان في الكلية ، بل كان كل ما توصل اليه هذا المحب اختلاس النظر اليها وهو يرتجف بعد أداء حركته البهلوانية . وحين بدا للأنسة ملك غنام أن زميلها إبراهيم البهلواني كان لا ينفك يسترق النظر اليها بشكل خاص ، لم ترتح له، وصارت حركته البهلوانية تخرجها، وهو مصر أن يعملها لاستجلاب نظرها إليه باعجاب على حد ظنه . فكانت على ذلك إذا رآته مقبلاً على الساحة غادرتها الى داخل الكلية ، وهكذا صارت تتجنبه بشكل مفضوح . وفوجئنا ذات يوم حين سمعنا أن إبراهيم قصد مقابلة أبا ملك غنام ليخطب إبنته لنفسه، وقال له ( على ما رأي ) :

— انني عرفت جيداً أخلاق كريستكم ، كما أعتقد أنها عرفت ما يكفي عني  
لاكون زوجها !

فدهش رزوق غنام مما يعرضه هذا الخاطب ، فسأله :

— مَنْ أنت يا ولدي ، وما هو اسمك وما هو عملك ؟  
فأجابه إبراهيم :

— أنا زميل كريستكم ملك بكلية الطب واسمي إبراهيم وأنا وهي في صف  
واحد في الكلية .

ولرزوق غنام عمر وتجربة في الحياة أكسبها خبرة في تعامله مع  
الناس ، فقال له :

— إذا كنتا متفاهين فإنا لا أقف معارضاً لزواجكما على أن نكملاً  
الدراسة في الكلية ، أولاً .

فما كان من إبراهيم إلا أن نهض وأسرع يقبل يد ( عمه المقبل ) رزوق غنام ، ثم خرج مهرولاً يستخفه الفرح والطرب لموافقة أبي ملك على الزواج من ابنته ! . أما رزوق غنام فجمد مهوئاً من حكاية إبراهيم ، وانتظر بفارغ الصبر عودة ابنته ملك من الكلية لسمع منها كامل ادعاءات إبراهيم وطلباته . فأخبرته تفاصيل الموضوع ، وتصرفات هذا الشاب وحركاته المضحكة أمامها بحضور طلبة الكلية . فضحك رزوق غنام وعدّ هذا الموضوع غير ذي أهمية جملةً وتفصيلاً ، واكتفى بتوصية ابنته ملك أن تتجنب ذلك الشاب . على أن إبراهيم ، وهو مسحور بوعد رزوق غنام في الزواج من ابنته ، استمر يمارس حركاته البهوانية إذا رأى ملك غنام في ساحة الكلية أو قريباً منها .

ويتصل بموضوع إبراهيم العاشق الولهان حكاية غريبة تثير الضحك . فقد كان زميلي في الصف أكرم القيقماقجي قد سمع عن قفزات إبراهيم البهلوانية البارعة ، ولم يكن قد عرفه قبلاً ولا رآه يقفز في الهواء كما وُصف له . وحدث حين كان الطلاب على المصاطب التي تحيط بساحة الكلية أن قدم الطالب ( إبراهيم أسعد ) ، وهو شاب مترمت لا يميل إلى الهزل والنكت فظه أكرم القيقماقجي أنه هو إبراهيم البهلوان ، فقال له :

— برهوم ، فرد دقلة دقلتين رجاءاً !

فاستغرب إبراهيم أسعد أن يطلب أكرم منه ذلك ، وليس بينهما تعارف سابق ، وعدّ طبعه نوعاً من سوء الأدب ، فأسرعنا نفهم أكرم القيقماقجي اللبس الذي وقع فيه فاعتذر من إبراهيم أسعد ، وهكذا انتهى الأمر بسلام .

من أحداث السنة الثانية بكلية الطب

في السنة الثانية يشترك الصفان الأول والثاني في حصص التشريح

العملي • وفي هذه السنة تعرفت بتلميذ في الصف الأول اسمه (ح) وهو قريب من عمري ويتمتع بصبر على القراءة وذكاء ملحوظ ، وتفكير رياضي ورُفعت فيما بيني وبينه الكلفة بوقت قصير ، وصرنا نتقابل بكثرة لنمرح أو لنقرأ ، فكان الى جانب صديقي كمال نورالدين نعم الصديق الجديد . وعرفني (ح) بصديق له يدرس بكلية الحقوق ، ويصكن في غرفة فوق مدخل ( الكراج الملوكي ) الذي يقابل دار الطلبة في منطقة باب المعظم • وفي يوم حدث أمر في غرفة هذا الصديق لا يزال يصحكسي إذا ما تذكرته . ولا مانع من ذكره هنا لما فيه من غرابة وطرافة • فقد دعانا صديق (ح) الى غرفته لتناول الشاي ، وكان لغرفته نافذة تطل على سطح جانبها الأيمن • فأبدى (ح) ملاحظة على مكان هذه النافذة ، يقول :

— إن هذه النافذة مدخل سهل لمن يريد أن يسرق ما في هذه الغرفة •

فقال صديقه صاحب الغرفة :

— ولكن قضبان الحديد في هذه النافذة متقاربة لا تسع مرور رأس رجل •

فقال له (ح) مخالفاً :

— تراهن أخرج من بينها !

وقبل صاحب الغرفة الرهان على غداء في مطعم محمد تايه ، وشرع (ح) حالاً يدرس رأسه بين قضيبين من قضبان النافذة ، وبعد ثوان كان رأسه قد خرج من بينها ، ثم حاول أن يخرج يديه فصعب عليه ذلك ، وحاول أن يسحب رأسه ويرجعه الى داخل الغرفة فعجز ، وحاول مرة أخرى وأخرى فلم يفلح ، وأخيراً استنجد بنا لنخلصه من هذه الورطة ، وحرنا فيما تفعله ، فاضطررنا أخيراً أن نطلب مساعدة صاحب الكراج ، فصعد الى الغرفة ليرى الموقف ، فتعجب منه ، وسألنا :

— ماذا كان قصدكم من هذه المخاطرة يا اخواني ؟

— مجرد لعبة !



فقال صاحب الكراج :

— هذه لعبة أطفال ، وأنتم كبار !

وحكّ صاحب الكراج رأسه ليجد حلاً للسوقه ثم قال لنا :

— دقيقة ..

وغادرنا الى ورشته في الكراج ، وعاد إلينا وبيده رافعة (جك) سيارة  
وثبته بين القضيين اللذين انحسر بينهما رأس (ح) ، وبحركتين في مقبض  
الرافعة استطاع (ح) أن يحرر رأسه . وغادرنا صاحب الكراج وهو يقول  
قبل أن يسمع منا شكرنا له :

— هذا لعب أطفال ..

ولما أفاق (ح) من أزمته المخيمة ، وتنمى الصعداء قال لنا بغضب وعتب:

— لماذا أخبرتم صاحب الكراج ؟

— كنت تفتق يا (ح) .

فقال :

— لو انتظرنم قليلاً لأخرجت رأسي بنفسي كما أدخلته بنفسي .

فسأله الصديق صاحب الغرفة :

— والرهان على تناول الغداء في مطعم محمد تايه ؟

فأجابه :

— أنا في حل منه عقاباً على استدعائكم لصاحب الكراج !



وكان (ح) مسكاً الى حد التقير على نفسه مع انه من بيت ميسور  
الى حد ما ، فكان يأخذ مسطرة من مختبر الفيزياء بكلية الطب الى حيث  
يسكن، ثم يعيدها في صباح اليوم التالي الى حيث كانت في مختبر الكيمياء ،  
وفي يوم رآه أستاذ الكيمياء رايموند يدس المسطرة في ما بين جسده  
وقميصه ، فقبض عليه متلبساً بجريمة السرقة ، ورفع خبر ما حدث الى

العبادة فقرر مجلس العبادة طرده ما بقي من السنة ، وأن يعيد هذه السنة عقاباً على ما فعله . ولأننا نعرف يقيناً أن (ح) لم يقصد سرقة المسطرة بل لاستعمالها خارج الكلية ثم إعادتها الى مكانها في مختبر الكيمياء ، فقررنا أنا وكمال نور الدين ومحمد صالح محمود أن نقابل العميد ونستعطفه لإبدال العقوبة بأخف منها غير أن العميد سندرسن لم يقتنع بدفاعنا عن (ح) وصار يقاطلنا بتكرار ، فانسحبنا من حضرته بعد أن عرفنا تمسكه بتطبيق قرار مجلس الكلية ، وسمعناه يقول ونحن نغادر غرفته :

— كان يجب أن يطلب الإذن من السكرتير لاستعارة المسطرة ولا بد من تطبيق قرار مجلس الكلية ، ولا رجعة عنه .

وتوسط أحد أعضاء مجلس الأعيان لدى الملك فيصل الأول ، غير أن سندرسن أقنع الملك أن العقوبة في صالح الكلية ، ورفع العقوبة في صالح هذا الطالب وحده . وأثقت العبادة قرارها فأعاد (ح) السنة . وحتى ذلك اليوم لم تكن نعرف محل سكى (ح) فلما افتقدناه بموجب قرار مجلس العمدة رأينا أن نزوره ، ولكي نعرف محل سكنه توجهنا الى صديقه في ( الكراج الملوكي ) فعلمنا منه انه استأجر (لوري) عاقل في آخر الكراج ، وجهزه بالستائر وبسرير ليكون صالحاً للإقامة فيه . وقصدنا ذلك اللوري فوجدناه خالياً لا أثر فيه لصديقنا (ح) . وسألنا صاحب الكراج عنه فأخبرنا انه مافر الى الموصل .

وفي حرب مايس ١٩٤١ بمنطقة التاجي صار على بعض خريجي كلية الطب في تلك السنة أن يلتحقوا بالجيش العراقي في تلك المنطقة ، وكان على الدكتور موفق الزهاوي أن يكون أول من يلتحق بالجيش من تلك الفئة . وحدث أن مرض الدكتور الزهاوي فحل محله الدكتور (ح) . وانسحب الجيش العراقي من التاجي ولم يكن فيه الدكتور (ح) وقد عد من المفقودين .

وبعد يومين عشر فلاحو المنطقة على جسده في حجرة وقد فصست ظهره شظية مدفع ، فكان خبره مصجعاً أليماً لكل من يعرفه من صبة الكية .

### نصرت عبدالحميد

في شهر كانون الاول من هذه السنة كنت أسكن في غرفة صغيرة بفندق (دجلة) الواقع على رقة جسر الملك فيصل، مقابل (مطعم درويش وحداد) على الجانب الثاني من الطريق . وقد تعرفت في هذا الفندق على تلميذ في الصف الثاني بكية الطب اسمه نصرت عبدالحميد ، ولمست منه منذ المقابلة الاولى الصديق والتسامح مع خفة الروح ، وسرعان ما ارتبطت بيننا صداقة اشادت بمرور الأيام . وبعد سنة من زواجي تزوج نصرت من ابنة عمه التي هي ابنة خالته في الوقت نفسه ، وصار بين أهله وأهلي تزاور واتصالات لا تنقطع . كما صرنا بعد ذلك نساfer معاً الى لبنان والى انكلترا ، ونصرح ما طاب لنا المرح ، ودامت صداقتي معه بهذا الحال حتى وفاته سنة ١٩٧٥ وقد شعرت حينذاك كأنه أخذ معه شيئاً مني ، كما أشعر أحياناً أنني استبقيت قدراً من أخلاقه لنفسه ، وبكيت لرجله بحرقة وألم . وكان هذا الصديق العالي ملحماً ضخماً الجثة ، طويل القامة ، ولي صورة فوتوغرافية معه وهو يحملني على ساعديه كما تحمل المرأة صغيرها . وحين تزوج كان وزنه مائة كيلوغرام أكثر من وزن زوجته الذي لم يكن يزيد على اثنين وأربعين . وصرنا على ذلك الفارق نتندر فيما بين أهله وأهلي ، ويرد علينا ببرود :

— عين الحمود بيها عود !

وأكثر ضخام الجسم وأصحاب السمنة خفيو الروح ؛ وحاضرو الجواب والسكته ، ويجيدون سرد الفكاهة وعمل المقالب البريئة . كما ان لهم قدرة على تنظيم حياتهم الخاصة والعائنية ، فيقل فيها الصخب والمشاكسة . وقد يشورون إذا ديت أطراف أصابعهم بتعمد، ولكنها ثورة لا تدوم طويلاً،

فيعودون الى سوي تصرفهم وبرودة طباعهم • وكان صديقي نصرت نموذجاً مثلياً لهذه الفئة . ومجسه منع وأحديته شائقة ، ويجيد سرد القصة والسكت بسلاسة وضلاوة ، وكثيراً ما يثير معي جدلاً أخوياً مثنعلاً إذا لم يكن بيننا موضوع ذو أهمية ، فيدعي انه أصغر مني عمراً وأدعي أن أني أصغر منه ، وبوماً كنا في مطعم الكرمة في جسدون بلبنان ، وقدّم لنا (السفرجي) بعد وجبة العشاء خوختين في طبق ، كانت إحداها أكبر من الأخرى وأكثر طراوة وأغنى عصيراً . فامتلت يد نصرت سرعة الى الخوخة الكبيرة ، فأمسكت بيده وأنا أقول له :

— بأي حق تأخذ الخوخة الكبيرة ؟

فأجابني حالاً :

— لأنني أكبر منك ••

فقلت له :

— أنت على حق ، وهذا اعتراف يهمني ، فأنا إذن أصغر منك عمراً يا نصرت فقال علي الفور :

— أنا أكبر منك حجماً لا عمراً ، وهذه وجهة الحق لتكون الخوخة الكبيرة من نصيبي • وشرع يقطعها بتهامٍ الى أربع قطع ، ثم قطع واحدة من هذه القطع الأربع بشكل هلال العيد ودفعها الى فمي وهو يقول لي :

— هذا حق الله ، فلا تنزعج ••

ونصرت من جهة أخرى ، جاد وإيجابي ، وهو كموظف حكومي مثالي وملتزم الى أبعد الحدود ، ودون اجتهاد أو تطوير ، وهو أيضاً كـربّ عائلة يحسب لكل أمر حسابه •

وفاة عمي حسين في المستشفى الملكي / ١٩٣٤

لا أذكر حادثاً خاصاً هزّني عاطفياً في هذه السنة سوى وفاة عمي حسين (حسوني) ، فقد أدخل الى المستشفى الملكي لعلاج من حصاة في مثاته ،

وجدني عمي ( محمد عبي ) ، وهو اكبر منه ، صبح يوم وافض الى كلية  
الطب وأنباني وهو يمسح بيشاعه دمعة تفيض من عينيه :

— عمك حسين في المستشفى ، وحالته خطيرة يا كمال ..

ولم أكن أعرف قبل ذلك أن عمي الذي ينكلم عنه قد أدخل الى  
المستشفى ، فسألته :

— ماذا تقصد يا عمي ؟

— عمك حسين في ( داروش ) رقم خمسة ، قد أجريت له عملية في مشانه وهو  
الآن بحالة سيئة جداً .

كان هذا النبأ مفاجئاً ومحرزاً لي ، فقد كنت في صفري متعلفاً به كما  
انه كن يحبني ويدلني . ولكن ماذا أستطيع أن افعل لأجله الان وأنا طالب  
لا أعرف من أطباء المستشفى املكى أحداً ، بل ابي الى ذلك اليوم لم أدخل  
هذا المستشفى ولا أعرف الدرب الى ردهاته . وخطر بيالي حالاً احتمال أن  
يؤتى به يوماً الى قاعة التشريح بكلية الطب كجثة لا تعرف هويتها ولا أهلها  
فيعمل الطلاب فيه نقطيعاً على مرأى مني وفي هذا موبى إن لم أترك الكلية .  
فذهبت بهذا الهاجس مع عمي محمد عبي الى المستشفى دون أن تكون لي  
فكرة عما أسنطيع عمله لعمي امريض . ووجدني عمي محمد علي الى الردهة  
الحامسة حيث يرقد عمي حسين على أحد أسرنها . وكانت نقف على باب  
غرفة صغيرة في مدخل الردهة راهبة فرنسية بدينة وعبوس بصرامة . وسمعتها  
تكلم مع أحد خدم المستشفى فاداهي لا تعرف من اللغة العربية إلا بعض  
المفردات العامة الخشنة . ورأيت عمي في سريره وأنا واقف عند مدخل  
الردهة ، وهو يتلوى من الألم وعنى وجهه علامات الاسترحام والاستنجاد ،  
فتقدمت من تلك الراهبة العبوس وقت لها :

— أنا طالب بكلية الطب وأريد أن أرى عمي المريض في هذه الردهة .

فقلت لي بجفاء :

— ممنوع ا

— ولكنه في حالة خطرة •

وعدت أوف خابا الى جانب عمي عند مدخل الردهة • ورايت من بعيد مضد كان يوما بصحبه ( املا يوسف ) نذي يدفع عربته الموتى الى قاعة السريح في الكليه ، فاجهت نحو هذا المضمد لاطب مساعدته لرؤية عمي ، فقد لي : انظر حتى تعدر رئيسة الممرضات الفرنسية لتناول غداءها • وخرج من الردهة في هذه اللحظات طبيب أشفر الشعر وردي البشرة ، يتبختر في مشيته ويطرانه المتعاليه ، فندسني عمي بكوعه وهو يقول لي :

— هذا هو الطبيب الذي أجرى العملية لعمك ، فسأله عن حاله ••

١٥٠

فقدمت من ذلك الطبيب بوجل وتردد ، وخاطبته بمسكنة :

— دكتور من فضلك ، أريد أن أسألك عن عمي وهو مريضك في الردهة •

ولا شك انه سمعني غير انه لم يلتفت إليّ ولم يجبي ، ومشيت الى جانبه وهو يحظو في السر ( اكوريور ) الصويل ، وعدت أكنمه :

— دكتور ، أنا طالب في اكليه الطبية ، وعمي في ردهتك ، وأنت الذي أجريت له العملية •

غير أن هذا الطبيب لم يلتفت إليّ وكأنه قد دسّ سبابتيه في أذنيه ، واستمر يمشي حتى دخل غرفة الصقت على بابها لافتة تحمل اسم ( الدكتور شكر السويدي ) ، وصفق بابها وراءه في وجهي • وعدت أدراجي لأقف مرة أخرى الى جانب عمي محمد علي عند باب الردهة لأنظر من بعيد الى عمي المريض وهو يتلوى في فراشه • وحين غادرت رئيسة الممرضات الفرنسية غرفتها الصغيرة متجهه نحو دار الراهبات ، جاءني ذلك المضمد الذي خلت أنه يعرفني طالباً في كلية الطب ، ووقف الى جانب عمي وأسرّ له شيئاً لم أهتم لساعه لانشغال فكري بأمر عمي المريض ، ثم رأيت عمي محمد علي

يخرج يده من جيبه ويدسها في يد ذلك المصمد . حين داك يحرك ذلك  
المصمد وانتار الى عمي ان يتبعه ، وبميت انا وحدي عند مدخل الردهة  
انظر اليها من بعيد ، ورايت عمي محمد علي يحني على راس اخيه ويقبله ،  
ثم ندول مروحة مصولة من الخوص ذات الى جانبه وشرع يحركها على  
وجه اخيه المريض وهو يسر يشمعه على عينيه ، وبعد نحو دقيقه أخذ ذلك  
المصمد بيد عمي محمد علي بياعته عن عمي حسين . وعمي محمد علي  
يقوده ليقى الى جانب اخيه المريض ، وأخيرا غادر عمي الردهة والمصمد  
يقوده من عضده وهو يقول له :

— استهدي بالرحمن يا مسلم .

وعلى مدخل الردهة وقف عمي يبكي بصمت ويضرب بجمع يمينه  
على صدره ، ويقول لي :

— عمك حسين يحتضر يا كمال .

فأبكاني بحرفة حتى علا بكائي بالشيخ .. ووفي عمي بعد نصف ساعة  
تقريباً ، وقد عرفت ذلك حين رأيت ذلك المصمد يسدل الغطاء على وجه  
عمي ، وهي حركة أعرف معناها المنجع . ثم جاء المصمد الى عمي وقال له  
بلا حياء ولا مبالاة :

— هسه شوف شغلك ..

فسأله عمي :

— شغني شنو ، ما أفتمهم ..

فأجابه المصمد :

— شهادة وفاة ، اجازة دفن ، خروجة من المستشفى !

ويبدو أن عمي فهم منه ما لم أفهمه أنا ، صد يده في جيب زبونه  
وأخرج منها ما أخرج ودسه بجيب ذلك المصمد . وبالرغم من أنني أعرف  
أن ذلك المصمد كان محتالاً ولا انسانية في قلبه ، غير أنني ارتحت لذلك

التفاهم الذي لم يسهله وسرعه فيما بين عمي ، فقد استبعدت في الأول  
احتمال أن يوحد عمي الموفقى إلى فاعله استريح في لديه الطب كما هو المعتاد  
مع الاموات العرباء ، صحفني جسهم بحجة ان المستشفى قد بولت بجهيزهم  
ودفعهم . اما ديت انصمد العون ببقي في حشري لربها إلى ان مات بعد سه  
تقريباً في الردهة التي توفي فيها عمي .

### السنة الرابعة في تلييه الطب / ١٩٣٦

يوم وزعنا عماده لديه الطب على ردهات المستشفى لتدريب على  
التحوص السريرية . وقف ( اندريا ) صاحب ( الصيدليه الشرفيه ) عند مدخل  
تريدور المستشفى وبين رجليه صندوق ثاروي مملء بالسماعات الصييه  
STETHESCOPE يبيعها إلى من يدخل ارددهات من صلاب الكلية ، وسعر  
الواحد منها دينار ، وسرعان ما اشعرنا هذه الآلة البسيطة بزهو طافح ،  
وصرنا ندفع النرها إلى عس جيوب سرن ونبقي طرفها الآخر ظاهراً كما  
يفعل كثير من الاحياء لتتظاهر باننا من هذه الزمره ونحن ( افراخ ) في بيضه  
لم نفقس بعد . ودان عليّ بحسب جدون التوزيع الذي اصدره العماده أن  
أعزل في الردهة الاولى المحصنه للأمراض الباسيه ( النساء ) التابعة للأستاذ  
هشم الوري ومعاونته الدكتور عبدالرحمن الجوربه جي . ورئيسه المرضات  
في هذه الردهة راهبة فرنسيه تدعى ( ماسير ماري ) ، وهي في منتصف العقد  
الثالث تقريبا ، عذبه الملامح خفيفة احركه . وبالرغم من تعدد الأتواب التي  
ترتديها توباً فوق توب ، فانها لا بد أن تكون رشيقة القوام بتناسق وجاذية ،  
وكان معي في هذه الردهة من خريجي هذه السنه صديقي كمال نورالدين فلم  
يفته التعليق على هذه المرضة الراهبة ، فقل لي بصيغة الاستفهام :

— جيلة ، فلماذا ترهبت ؟

وأجاب نفسه على سؤاله :

— لا بد أنها لكبت بشيء ، أو فشلت في تحقيق شيء ١



ولاحقني كمال بسؤال آخر :

— ما هو نوع السكة أو الفصل يا ربي الذي أصاب هذه الحورية ؟  
وأجب نفسه :

— لا بد أن يكون ذلك جسيماً لنقدم على هذه التضحية بقلبها وجسمها..  
هذه هي سجة صدمي كسر نور الدين فلا يرى أممه حدث أو يسمع  
عنه إلا ويحاول أن يجد له تعيلاً يطعمه بقليل أو كثير من المكاهة والنكة  
والغمز واللمز ، فقلت له :

— ماذا تقصد ؟

فأجبنى :

— حب لا غيره ، وقد يكون متزوجة أو مش ذلك فتقنع الرباط ما بين قلبها  
وقلب من أحبت ، فالتحقت بالدير تطلب السوى والنسيان .

وكان عملي في هذه الردهة مثل عمل الآخرين من المتخرجين الجدد ،  
في هذه الدفعة : وهو استجواب المريضة عما تشكو ، ومدة شكواها وموضعها  
في جسمها ، ثم جس نبضها وعدة في انديفقه الواحدة ، وسمس موضع  
الشكوى في جسمها وغير ذلك مما يقود الى تشخيص مرضها ، وتسجل  
هذه المعلومات باللغة الانكليزية في استماره خاصة وتقديمها للدكتور  
(الچوربهجي) وهو المسؤول عن هذه الردهة ، ليدي ملاحظاته على ما  
أدخلناه فيها ، ويصحح بعضها أو يضيف إليها ما أغفلنا ذكره .

وكانت زيارة الأستاذ الونري لهذه الردهة وهو المسؤول الأعلى فيها  
غير منتظمة وفصيرة ، غير انها تملأ الردهة هبة ورهبة ، وتشير حركة بين  
جميع أفراد كادرها من الممرضات والأطباء والطلبة المتدربين . كان الونري  
برأسه الكبير المتكور بانتظام ، وعينه الواسعتين الرطبتين ، ونطقه الخشن  
المتقطع ، وعلمه العزيز في الطب ، انموذجاً صادقاً للأستاذ الجامعي .

وبعد ثلاثة أشهر من التدريب في هذه الردهة ، انقلت بحسب جدول

توزيع امخرجين الى الردهه الرابعه الجراحيه اليي يراسها الأستاذ (ابريهام).  
 ولد له سبهي ، ليها رميلي نجيب ،يعقوبي ، وفي هذه الردهه توسع  
 درالي لنهم ،طلاب الجراحيه والتدريب على الاعصاب اليدويه فيها . وكان  
 واجبي اذوني في هذه الردهه تحضير امريض بحسب تعليمات ابريهام .  
 ومراعته الى صاله العمليات ، لنا محي فرصا لاغايه في بعض العمليات  
 الجراحيه فسمعت بسعاده لا توصف . وبعد ثلاثه اشهر صدر امر نقلي الى  
 الوحده الجراحيه الثانيه يرهسه الدكتور ( ثامر السويدي ) ونافه هذا  
 فرنسيه . ولا يعرف إلا مفردات فيه من المصطلحات الانكليزيه فلم أستفد  
 منه شيئا عمليا بي قدر . فضفت درعا به وبنصرافه غير العلميه على  
 المرضى ، ونظمت عيصي وعيني الى الورا ، يا إحدى اردهتين الجراحيين ،  
 وحده الدكتور ابريهام او وحده الدكتور صاب شوكت .

من سنده النسخه الرابعه ودروسها

السنة الرابعه بكلية الطب هي أولى السنوات السريرية ، وأبرز معالم  
 طلابها انشاؤهم آلة لسماع ضربات القلب في ردهات المنشى . ودروس  
 هذه السنة هي الاشعة ( اشعة روسكن ) ، والصحة العامه ، والادويه المفردة ،  
 والطب الشرعي ( العدلي فيه بعد ) ، والأمراض النسائية والتوليد ،  
 والأمراض الباطنية والأمراض الجراحيه ، والقوانين الصحيه بما في ذلك  
 السلوك المهني .

وأستاذ الأشعة هو الدكتور ( أي . سي . نورمن ) وهو بعمر يناهز  
 الأربعين ، ومن أطباء الجيش البريطاني الذي دخل العراق في مطلع سنوات  
 العشرينات من هذا القرن . متوسط الطول ، ضعيف البنية بهزال ، عصبي  
 المزاج ، ويحمل على قصبة أنفه عوينات صغيرة باطار معدني دقيق ، ويشي  
 وهو يهز جذته بحركات ذبذبية وكأنه يصد ريحاً عاصف . وحصة موضوعه

ساعة واحدة اسبوعياً في كهربائيته اشعه (روشن) ، ومده فصل واحد في مطبخ  
هذه السنة .

وخصوصيات هذا الأستاذ نستحق الذكر في هذه المناسبة لما فيها من  
عراة . . كن يسوق سيارة (فورد) سوداء يسقف من القماش ، وفضبان  
دواليها من الخشب الساج ، وكذلك مقودها . اما مقاعدها فكانت من الجلد  
الطبيعي بلون أحمر . وكان يعتني بها ، وبظافتها فتبدو دوماً كأن لم  
تلمسها يد .

وكان يعاون الأستاذ نورمن في أعماله بدائرة الأشعة رجل إيراني الأصل  
أو هندي . طويل القامة ويعمر عنه من طربوش أحمر ، ملفوف عليه طيات  
من قماش أخضر ، وهي سمه من ينتسب الى سلالة الإمام علي رضي الله  
عنه ، وربما بسبب هذه العمه الخضراء كان يلقب (بالسيد) اما اسمه  
فحسن ، ويكاد يكون أهم موظف في دائرة الأشعة بالنسبة لمديرها الأستاذ  
نورمن ، أما من في هذه الدائرة من الأطباء فهم بعده مرتبة وفرباً من الأستاذ  
نورمن ، ولا أعتقد ان معلوماته في أعمال هذه الدائرة قد اكتسبها بالدراسة  
بل بالمران والتجربة وتعليمات وتوجيهات من نورمن .

وكان نورمن يطبع تقرير الأشعة بيده . وقد أدركت أيام دائرة الأشعة  
حين كانت داخل سقفة (بنگلة) من مخلفات الجيش البريطاني حين أشغل  
مستشفى (المجيدية) . وينزعج نورمن الى حد الغضب إذا دخل أحد الى  
مكتبه في هذه السقفة حين يكون منهمكاً فيها بطبع التقارير الطبية باستثناء  
(سيد حسن) المدلل ، فيدخل هذا الى مكتبه دون أن ينقر على بابه  
للاستئذان منه للدخول إليه . ويروي السيد حسن ان عميد كلية الطب  
سندرسن يائسا في يوم من الأيام أراد أن يقابل نورمن فنقر على باب مكتبه  
ليخطره بالدخول إليه ، ولما لم يسمع منه رداً فتح الباب قليلاً ومد رأسه  
من خلال فرجته ، وكان نورمن منهمكاً في طبع التقارير الطبية ، وسأل

الدكتور سدرسن لا على التعيين :

— هل الأستاذ نورمن هنا ؟

وسمعه نورمن فأجابه وهو مستمر في طبع تقاريره قائلاً :

— أن نورمن ليس هنا حين يكون منشغلاً بطبع التقارير •

فأسحب الأستاذ سدرسن وعاد ادراجه من حيث أتى ولم تتم مقابلة

مع نورمن •

وكان أكثر زملاء نورمن في كليه الطب يعرفون طبعه ومزاجه العريب ،  
ويحتملون صرامة جديته في سلوكه معهم لعلمهم أنه ذو قلب طيب ونوايا  
سيمة • وفي سنة ١٩٤٦ نقلت دائرة الأشعة إلى بانيها الجديدة في الجانب  
الأيسر من نهاية الطريق إلى كليه الطب ، والأستاذ نورمن نفسه هو الذي  
هندس هذه البناية ، وقد أصابه التعب جراء متابعة تطبيق خرائط هذا  
المبنى ، سافر نى الكنزا للانجهم والراح ، وحين عاد لاحظ وهو يسج  
لأول مرة إلى داخل هذه البناية أن إصار باب المدخل إليها يسو عن مستوى  
الأرض بنصف سنتستر ، وهذا ما لم يكن في تصاميمه ، فهاج وغضب ،  
وتوجه تواء إلى مكتب دائرته وكتب ورقة بالانكليزية ترجبها له سيد حسن  
إلى اللغة العربية ، وأخذها بعسه وألصفها عند مدخل الدائرة ، وفيها يقول :

( أن هذه العتبة ليست في التصميم الذي وضعته ،

بل هي من عمل لمهندس المقيم ، فإذا أحدثت

ضرراً لمن يدخل الدائرة فأنا لست مسؤولاً عن

ذلك ) •

التوقيع إي. سي. نورمن

مدير دائرة الأشعة

وكن نورمن ميكانيكياً ماهراً في نصب آلات الأشعة وإصلاح ما  
يصيبها من عطب أو تلف ، وفي يوم حصل ما يعرف باسم (شورت) في إحدى

مكائن الأشعة (أي عطب) وعجز أن يعرف سببه • وذات يوم رأى بعض ثقل  
جرذ في إحدى المكائن، فهداه ذلك أن يكون هناك جرذ قرص غلاف الاسلاك  
الكهربائية التي تصل الى المكنة المعطوبة، فتحايل وقبض عليه بمصيدة،  
وجاء نورمان ورأى ذلك الجرذ في محسه، فطلب من سيد حسن أن يعلن  
على جميع موظفي الدائرة أن يحضروا الى صالة الدائرة، كما طلب منه أن  
يطلب من المستشفى الملكي جرعة كبيرة من المورفين، وان يستحضر أضخم  
مطرقة من ورشة سيارات المستشفى (ويقول سيد حسن انه لم يعرف حتى  
تلك اللحظات ما العلاقة بين الجرذ والمورفين والمطرقة) ثم حصر نورمان الجرذ في  
زاوية من زوايا المصيدة • وما كاد نورمان يغرز إبرة المورفين في فخذ الجرذ  
حتى زعق هذا الحيوان فتوقف الاستاذ نورمان فجأة وطلب من سيد  
حسن أن يدفع بنفسه المورفين في جسم الجرذ، وحين عاد يزعق هذا الجرذ  
من وخز الابرة أغمض نورمان عينيه وأدار وجهه نحو الجدار، ولم يعد  
ينظر الى الجرذ إلا بعد أن تأكد انه انطرح بتأثير المورفين على جنبه  
بلا حراك • ولم يكتف نورمان بهذا القدر من الحقن على هذا الجرذ، بل  
طلب من سيد حسن أن يخرج الجرذ من المصيدة و يضعه على بلاط الأرض •  
ويقول سيد حسن ( ثم طلب مني أن أرفع المطرقة الثقيلة وأهوي بها بكل  
قوتي على رأس الجرذ ) •

وقبل سفر الاستاذ نورمان عائداً الى وطنه بانكلترا، ارتأت عمادة  
الكلية أن تكرم الأستاذ نورمان بشهادة الدكتوراه الفخرية تقديراً لأعماله  
في اختصاصه، وفي تدريسه هذا الاختصاص بكلية الطب، كما سبق ان فعلت  
للدكتور يحيى الصافي عميد كلية الصيدلة التابعة لعمادة الطب • فذهب  
الأستاذ فتح الله عقراوي لمقابلة الأستاذ نورمان وفدحه بهذا الموضوع،  
فأنصت الأستاذ نورمان الى ما عرضه فتح الله عقراوي، وبعد لحظات ونورمان  
(يربشر) بجفونه، قال باختصار شديد بهمهم منه امتناعه عن قبول هذا الكرم

— إن هذه الشهادة الفخرية لا تمنحها إلا جامعة ، وكلية الطب ليست جامعة .  
ولم يصف الى ذلك كلمة أخرى ، أما الاستاذ فتح الله عقراوي فتدبر  
الكلمات التي أمسك عن ذكرها الاستاذ نورمان ، وغادر مكتب نورمان  
بخفي حنين .

وفي تلك الأيام أيضاً باع نورمان جميع متاعه بما في ذلك سيارته لأحد  
موظفي دائرة الأشعة ، وقبل أن يتسلمها هذا الموظف ألقى نورمان عيه  
محاضرة في مميزات سيارته ، وفي طرق المحافظة عليها ، ثم أشار الى صندوق  
من الصفيح كان في ركن من مكتبه وهو يقول له :  
— هذا الصندوق مليء بكل قطع الغيار التي تحتاجها السيارة لعشر سنوات  
مقبلة تقريباً .

واستمر الاستاذ نورمان في الأيام الثلاثة التي سبقت مغادرته العراق ،  
يطلب الموظف الذي اشترى السيارة الى مكتبه ويسطره بوابل من الاسئلة :  
هل غسلت السيارة في هذا الصباح ؟ هل فحصت كمية الدهن في ماكنة  
السيارة ؟ وكمية الماء في الراديتور ؟ وهواء العجلات ؟  
وغادر الاستاذ نورمان لبيروت في لندن بعد ستة أشهر بمرض اللوكيميا  
الخبث بتأثير — كما قيل — الأشعة التي عس فيها في العراق أكثر من عشرين  
سنة .

أما أستاذ الصحة العامة فهو (ميجر هيكرز) ، وهو ضخم الجثة ، وردي  
البشرة ، كستنائي الشعر ، ويطول شعر حاجبيه حتى يغطي قسماً من أعلى  
عويناته . ولا أذكر أنه دخل قاعة المحاضرات إلا وفي عروة سترته العليا وردة  
حراء من الفرائدل حتى صارت هذه وبطنه المتفخ تصلح لتكون كاريكاتورا  
لشخصه .

وكانت محاضرات الاستاذ هيكرز ممتعة ، نسمعها منه بصوت رجولي  
وببرة مسرحية يرتجلها من مؤشرات في دفتر متفخ بقصاصات من الاوراق

استقصد من صفحات المجلات الطبية • كما كانت أكثر محاضراته ميدانية ، فيصحب معه طلبة الصف في شاحنة يجلس هو الى جانب سائقها الى مراكز بعض المنشآت الصحية العامة • وأذكر يوماً أخذنا فيه الى المبنى العام في منطقة (الميدان) • وحين زرنا المبنى كان قد حوّل مدخله الذي يفتح الى شارع الرشيد الى شارع ضيق فرعي للتستر على الذين يدخلونه • وكانت هذه الزيارة مضحكة ومخجلة ، شاهدنا فيها البغايا وهن يصبغن وجوههن بألوان غامقة ومتفاربة ، ويلبسن الثياب القصيرة والضيقة على أردافهن المترهلة ، أو الشنافة لثير فحولة الرجال وتروح بضاعتهم الرخيصة • وكان الأستاذ هكز يتقدم الطلبة في هذه الجولة وهو يشرح مخاطر هذه الآفة المرضية والا أخلاقية وكأنه يحاضر في قاعة درس ، بينما كانت العاهرات يتضحكن ويلعن عليه وعلى طلبته بقبيح التعابير •

وفي يوم آخر أخذنا الأستاذ هيكز الى حقل أبقار في منطقة العلوية ، وهو المكان الذي أقيم عليه بعد ذلك جامع الشهداء • وهذا الحقل مشروع خاص إستحدثه رجل بريطاني طويل القامة أحمر الشعر كان يوماً موظفاً في دائرة ( سرجت دين ) في خان دنة ، فاستقال وتفرغ لهذا الحقل وتعلب لن أبقاره الخمس • وساعة وصلنا هذا الحقل كان يهيم ثوراً من نوع (فريزن) قد وصته قبل يوم بالطائرة ليلقح بقرة (صارف) من جنسه • وحاول هذا الثور أن يصعد ظهر هذه البقرة التي كان يسك بزمامها أحد العاملين في الحقل غير انه لم يفلح ، وكرر المحاولة مرة أخرى وأخرى فعجز عن ذلك • وكان في الحقل ثور (خابوري) ذبب أصفر اللون على بعد أمتار من مربوط البقرة التي عجز الثور الفريزن أن يصعدھا ، وهو يراقب العملية التي لم تتم بينها وبين الثور الفريزن ، فصار يخور وشد على حبل مربطه حتى قطعه ، وهرب بسرعة مخيفة فما هي إلا لحظات حتى صار على ظهر بقرة الفريزن ، وأكمل العملية ونحن الطلبة ومعنا الاساذ هيكز وصاحب الحقل في ذهول ،

ثم صرنا نضحك بسل، أشداف • أما الأستاذ هيكز فقد التفت إلينا وهو عاص في ضحكته وقال :

— لا عجب ، فإن هذا الثور عراقي ؟

أما أستاذ الطب العدلي فكان الدكتور حد خياط • وهو طويل القامة بمثانة ، واسع العينين • وذو لحية مشددة بعناء • وكانت محاضراته باللغة العربية ، ونطقه فيها سميح وبجرس رجالي • إلا أنه يفظ حرف السين (راء) فلا نسمع منه كلمة (أسباب) إلا بنقطة (أزباب) وحين سنعنا هذه لأول مرة أثارت فيما بين الطلبة ابتسامات مخنوفة ثم اعتدنا عليها بوقت قصير •

ودراسة الأستاذ الخياط الأولى بالفرنسية • وكان من المقربين إلى الملك فيصل الأول فعينه وزيراً للصحة في وزارة عبدالرحمن النقيب (١٩٢١) وهو محدث لبنى وجذاب • وذات يوم وهو يتحدث معي في بيت زميلي الدكتور فؤاد مراد الشيخ عن حياته الأولى مع الأمير فيصل بدمشق قال :

— طلب الأمير فيصل حلاًفاً إلى حجراته في فندق (أورينت) بدمشق ليشتب لحيته وشعر رأسه • وكانت لحيته يومئذ تملأ وجهه ، وكذلك كانت لحيته ، فأمر الحلاق أن يحصر شعر لحيته في ذقنه كما يفعل الفرنسيون ، فلما انتهى الحلاق من ذلك نهض الأمير فيصل عن كرسيه ، وأشار إليّ أن أخذ مكانه على الكرسي نفسه ، وطلب من الحلاق أن يعمل لي كما عمل بلحيته (وأضاف الدكتور الخياط) وما كنت أرغب في ذلك ، إلا أنها إرادة الأمير، ولا اعتراض على ما يريد • ومنذ ذلك اليوم وشعر لحيته كما أرادها الأمير فيصل •

والدكتور الخياط هو العميد الثاني في كلية الطب بعد الدكتور سدرسن • وفي زمة تخرجت أول دفعة من طلاب كلية الطب كذلك في أيامه أضرب طلاب الكلية على إدخال سنة ( الساج ) بعد التخرج • ولم يطلع إضرابهم بعد أن قابلهم الدكتور عبدالله الدموجي مدير الصحة العام في بيت الطالب محمد واصل الداغستاني بمحلة النوب ، فتوقف إضراب خريجي



هذه السنة ليأرسوا التجربة على مرضى المستشفى المكي سنة أخرى •  
وأستاذ ( الطب الداخلي ) هو الدكتور سندر سن ( عميد الكلية ) ،  
ومحاضراته دوماً في القاعة رقم ( ١ ) ، وهي بلا حياة ومملة ، إذ كان يملئها  
على طبه الصف من دفتر كبير ، كلية فكلية • وحين عرفنا انه كان ينقلها  
عن كتاب ( أو ستر ) صار الطلاب يعودون الى هذا الكتاب حين تغضب علينا  
بعض متون المحاضرة • وكان سندر سن قليلاً ما يذكر الحالات المرضية التي  
يأرسها في عيادته حين تكون تلك الحالات في نطاق محاضراته • وبهذه المناسبة  
أذكر انه كان يمارس الطب في عيادته بمسكنه بشارع العكري المحاذي  
لنهر دجلة ، ويتقاضى من زبائنه يومئذ سبعة وخمسين فلساً عن كل  
زيارة من مرضاه •

وأستاذ فن التداوي هو الدكتور دنلوب ( مدير المستشفى العام الجديد  
سابقاً ) وكان من جملة أطباء الجنرال مود • وقامته أقرب الى القصر ،  
حنطي البشرة بشارب كث ، وهو أقرب الى سمات الرجل الشرقي أو التركي  
بشكل خاص • وكان هذا الأستاذ ذا خلق رضي وسخي في تعليم الطلبة ،  
وزبائنه من المرضى كثيرون وخصوصاً من اليهود •

أما أستاذ أمراض العين فهو سبنسر ، وهو وردي البشرة باحتقان  
خفيف ، أشقر الشارب ، وفي مشيته عرج يسير ، ولا أذكر انه دخل قاعة  
المحاضرة دون أن تكون في عروة سترته وردة من القرنفل أو ما يماثلها •  
وأستاذ الجراحة الدكتور ودمان ، وقد يكون هذا أصغر الأساتذة  
الانكليز في الكلية ، وهو عذب الملامح ، اشوي الطلعة • وساعة محاضراته  
ممتعة ، ويطعمها بوصف حالات سريرية راحة بها في الردهة الجراحة •  
ويساعد الأساتذة الذين ذكرتهم ، الأستاذ هاشم الوتري والأستاذ  
صائب شوكت كل في اختصاصه في الساعات السريرية وهي أكثر متعة وفائدة  
للطلبة من الحصص النظرية التي يبقونها الأستاذ سندر سن والأستاذ ودمان •  
حديث الثمانين - ١٧٧

وكن في بلاقي لأستاذ سينر والأستاذ جلال العزاوي في الحصص السريرة ما يكسب الطلبة مرحاً ، فجلال العزاوي لا يعرف إلا اللغتين العربية والتركية، وسينر لا يتكلم إلا بالانكليزية وهو لا يحسب جلال العزاوي إلا بكلمة (بك) ، وجلال لا يخاطب سينر إلا بكلمة (المصاحب) ، وأي منهما لا يقصد بهذين اللقبين إلا إثارة المرح فيما بينهما .

والأستاذ ملز هو أستاذ علم الأمراض Pathology وقد التحق بالكادر التعليمي منذ تأسيس كلية الطب الملكية في بغداد سنة ١٩٢٧ . وهو نحيف الجسم نشط الحركة ، أزرق العينين ، وزير نساء . أما في اختصاصه فهو مرجع لا يضاهى ، وفي التدريس مثال للأستاذ الجامعي خيراً ومخبراً . ومحاضراته النظرية ممتعة وغنية بالمعلومات . وأفضل جلس له الكتاب ، وفحص النماذج المختبرية هوايته بقدر ما هي مهنته . وبيته صومته ومحراب تعبده بالضرب على مفاتيح آلة البيانو . وهو يحسن اختيار صديقاته غير انه معهن مزواج مطلق ، فاذا سقطت في حبه حساء فرعان ما تسام منه للعزلة التي يعيشها في صالونه الذي لا يضيؤه إلا مصباح واحد هو الذي يتدلى فوق طاولة مكتبه . وقد جاوز عمره السن القانونية كموظف في الدولة فاستبقته الكلية محاضراً وباحثاً في اختصاصه . وحين غادر الانكليز العراق إثر ثورة ١٩٥٨ فضل الأستاذ ملز البقاء في بغداد ، وكتب الى زعيم الثورة عبدالكريم قاسم أن يسمح له بالبقاء في بغداد إذ ( كما ورد في كتابه الى الزعيم ) انه لا يعرف أحداً في الدنيا ليسافر الى بلده . واستمر يلقي محاضراته في كلية الطب حتى عجز وأصابه الاعاء وأخيراً سقط مريضاً في سريره وليس معه إلا (طباخه) الهندي محمد . وفجأة وصلت الى بغداد سيدة انكليزية من لندن بعمر الستين تقريباً وادعت أنها زوجته أو إحدى صديقاته وحملته وهو مغفى عليه الى مستشفى (سنت ميري) بلندن ، وتوفي في هذا المستشفى بعد بضعة أيام .

وكان الأستاذ ملز قد أودع وصيته في السفارة البريطانية في بغداد وفيها تفويض للدكتور عبدالرحمن قطان (أحد معاونيه في المختبر الباثولوجي المركزي) لتنفيذ بنود الوصية . وفيها إعطاء ألف دينار من مدخراته في البنك الشرقي ببغداد الى طباخه (محمد) ، ومائتي دينار للدكتور غانم عقراوي الذي كان قد أجرى عليه عملية جراحية في أواخر أيامه ببغداد ، ومكرسكوبه الخاص للدكتور عبدالرحمن قطان . وقد قال لي الدكتور قطان ان الدولة وضعت يدها على المكرسكوب وحاول بكل الوسائل الحصول عليه فلم يفلح وأضاف الدكتور قطان يقول : وقد أكل التراب عدسات هذا المكرسكوب دون أن تستفيد منه الدولة ، أو تعطيه إلي بحسب وصية صاحبه الأستاذ ملز .

### في سامراء سنة ١٩٣٥

اعتدت أن أمضي العطل المدرسية الصيفية في بلدتي سامراء ، ولما صرت في السنة الرابعة بكلية الطب كنت قد تعلمت شيئاً عن فحص المريض وشيئاً في علاج بعض الامراض . ويوماً سافرت الى سامراء ، وحملت في جيبى السماعة الطبية كما يفعل الأطباء ، لأتظاهر بمعرفتي في علاج المرضى . وفيما كنت أخرجها من جيبى لأضعها على أحد رفوف الحجرة أمام أعين أبي وأمي ، نظرت أُمي اليها باعجاب واكبر ، وغادرت الغرفة الى المطبخ والفرح يطفح على وجهها ، فقد اعتقدت أنني بهذه الآلة قد أصبحت طبيباً فعلاً ، ثم رجعت من المطبخ وقالت لي :

— ان الحاج ( حسين الهندريس ) مريض ، وقد فحصه الطبيب الهدي وقال انه مصاب (بالقلب) ، وحاجي حسين جار العسر ففحصه وداوه يا إبني كمال .

ولم يعجبني أن أقول لها أنني لست طبيباً بعد ، وفضلت أن أقول لها ؛ ممنوع أفحص مريض خارج المستشفى الملكي ببغداد . فقالت أُمي : لا أحد يعرف إن كنت أنت فحصه ، ثم اني سبق أن وعدت زوجته ( أم

محسود) أن تفحصه إذا أنت جئت الى سامراء ، وهم اليوم ينتظرونك بفارغ الصبر . وفي المساء جاء الحاج حسين الى بيتنا . وهو رجل في الستين من عمره ، أو أكثر قليلاً . ولما سألته عما يشكو أجابني ببساطة : هو الخفقان إن أنا حملت أكياس التمر . ووضعت السماعة على موضع قلبه وسمعت ضربات قلبه غير منتظمة وتشابه الضربات التي اعتاد الأستاذ هاشم الوتري والأستاذ سندرسن أن يركزا عليها في الدروس السريرية ، فقلت للحاج حسين :  
— نعم عندك (قلب) والأفضل أن تذهب الى المستشفى الملكي ببغداد ، وسأكون أنا بخدمتك هناك .

فأجابني بشيء من التذمر :  
— أسافر الى بغداد ؟ ومن يعمل في محلي بصنع (الدبس)؟ هذا ما لا أعمله وان الله هو المشافي .

ولما غادر الحاج حسين بيتنا سألتني أمي بهمس :

— مرضه خطر ؟

فأجبته بإيجاز :

— لا يعيش طويلاً .

وتوفيت أمي بالسكتة القلبية ولم تكن تشكو من مرض له علاقة بقلبه ، وتوفي أبي بعدها بعام واحد ، والحاج حسين حي يرزق يعمل في (بزارته) بلا هواة ولا راحة الى أن توفاه الله بعد سنين طويلة ، بالشيخوخة لا بمرض القلب .

والحاج حسين الهنديس شخصية تستحق أن تذكر في هذه المناسبة فهو بالرغم من عمره المتأخر ظل كثير النكت والمقالب مع زبائنه البسطاء ، وخصوصاً من البدو والفلاحين الذين يقصدون محله لشراء التمر وعسل الدبس . وفي يوم من أيام طفولتي وقمت على باب محله حين كان مشغولاً في مطاردة (فأرة) في قعر دكانه المظلم . وأنا حينئذ لم أرَ تلك الفأرة ولكنني

كنت أسمعهم يهددها ويتوعدها بلويل والثبور ، كما يتوعد الإنسان  
الغضوب عدوه من البشر :

— أين أنت يا بنت الحرام ! من تهربي مني ، فإدا انت شجاعه فاطمي عليّ .  
أين أنت يا ملعونة الوالدين (ثم سمعته يقول) بهجة المنتصر :

— آه هذه انت بيدي يا خبيثة • امسكت يا خبيثة • امسكتك وأنت الآن  
في قبضة (الحاج حسين) الذي لا نستطيعين الإفلات من يده •

واعتدل الحاج في مكانه واسدار نحوي ، ورفع يده وهو يضم  
أصابع كفه الأيمن ، ويقول لي :

— تعال يا ابني كمال •

ولم يمهي ، ومدّ يده اليسرى وأمسك بثوبي ودفع كف يمينه بجيبي ،  
وأحكم بأصابعه على فتحه ، وهو يقول لي :

— امسكها بيديك واركض الى البيت ، فان القارة في جيبك •

وركضت طائفاً بخوف مميت الى بيتنا ، ولم أقف إلا أمام أمي ،  
وصرخت في وجهها :

— ماما ، فارة بجيبي ، فاحذري أن تفلت من يديك •

وصاحت بي أمي :

— من أين جاءت إليك هذه القارة ؟

— من الحاج حسين الهندريس •

وحاولت أمي فك قبضه يدي على فتحة جيب ، وأنا قابض عليها بكل  
قواي • وسمع أبي ما دار بيني وبين أمي ، وصاح في وجهي :

— افتح يدك يا ولد ، ففتحها وأنا ألوي وجهي عن جيب لأتخاشى رؤية  
المأرذة فما أخرج أبي يده من جيب لم يجد فيه سوى كمية من الصوف !

في مجلة الفضل / ١٩٣٥

يتعب الطلاب الغرباء عن بغداد ليجدوا لهم مأوى ملائماً • وكان

باستدعائي أن أعود إلى دار محمد صيب لرحضه ويوفر الراحة فيه ، غير  
 أنني لم أفعل ذلك لسبب الذي ذكره الله . فظروا عيب من عيني مالك  
 الله إذا ما اعتد أنني سبب لك ابنه المريض نصيبه أن يعرضني بأنهم شسي  
 لا أصيب جسده . ففشت عن سكن آخر ورفيق آخر يلائم مزاجي . فاست  
 في مصنع هذا العام مع أسين من رملاني في كيه الطب ، وطالب ثالث في كلية  
 الحقوق ، هو من اقرب الزميلي ، ولأنهم من أهل أربيل ، وينفاهمون فيما  
 بينهم بالسهة التريه التي لا أعرفها ، ويرطون بالعريه . . انصت مع هؤلاء  
 الأصدة ، على استنجر دار فريه من كيه الطب ، فوجدته ذلك الدار في محلة  
 الفصل . كما انصنا نحن الأربعة على الصيام بأعمال البيت من سطيف وطبخ  
 وما ينبع ذلك ، ووصعنا بذلك جدولا أسبوعيا حرصا على تطبيقه . وطالب  
 كيه الحقوق واسمه شاكرك : منعاون ومؤس ومريح ، كما لم يكن يتردد أن  
 يقوم بواجبات أحده في أعمال البيت ، وبخاصة في أيام الامتحانات . ومن  
 وجه آخر كان ساذجا وغيثا ويسهل إيهامه بسهولة . ويوما شكى شاكرك من  
 ضرره ، فلم يعمه دواء لتسكين الآله ، وجفاه النوم ليلتين متوجعاً من  
 الالم مبرحه في ذلك الصرس ، فنصحاه أن يستشير طبيب أسنان ، فركبه  
 العند وأبى . وفي الليلة التالية لم أسمع له أنينا مع أنه كان يتلوى في  
 فراشه ، ويكثر من الضغط براحة على فكه المورمة . فلما أصبحنا قلت له  
 أنت أحسن يا شاكرك ؟ هز رأسه علامة الإيجاب على تساولي . ورفع رأسه  
 عن الوسادة ودفع يده تحتها وأخرج قطعه مستطيلة من الخشب ، غرزت  
 فيها أربعة مسامير مد فيا بينها خيط من القطن . وهرب شاكرك هذه  
 الخشب مني لأراها ، وسألته :

— ما هذه يا شاكرك ؟ فأجابني كمن يؤكد حقيقة لا تقع من معارضتها ، وهو  
 يعيد الخشب حيث كانت تحت وسادته ، وقال لي :

— عندي نوازل !

وسأله متعجبا :

— نوارس ٠٠١

— نعم نوارس وهذه دوائها ؛ عملها لي السيد حسون ، وأوصاني أن أضعها  
تحت وسادتي وأدم عليها بمكي الذي فيه الفرس الموجهة .  
ولما هزئت بما عمل له السيد حسون ، قد باعتداد وثقة :

— هذا شيء مجرب يا أخي .

وفي صباح اليوم التالي ذهب دون علمت الى الأسطة ناصر ، فقلع  
ضرسه المنخورة ، ولم يعلم بذلك إلا (بدور) وهي التي فادته الى عيادة  
الأسطة ناصر . أما من هذه المرأة فسأتكلم عنها فيما يلي .

وحدث بعد أيام قليلة أن شعرت بعدم ارتياح في بطني الوسطى  
فضايقنتني في متابعة دروسي ، فاقترح شاكر أن أستشير السيد حسون ،  
فهزئت من مقرحه ، وراح عني بإخلاص وعقيدة أن يأخذني إليه ، فخصت  
لطلبه بعد يومين . وفي صباح يوم الجمعة كنت معه في (عوة) السيد حسون  
القريبه جدا من المدرسة المأمونية المواجهه لطوب ( أبو خزامة ) وكان في  
مدخل العوة بضد من اكياس السن وصاديق حشبية وأخرى معدنية كثيرة ،  
وتندلى من سقف العوة فلأند من اشوم والبصل ايباس ، وعلى يمين مدخلها  
ميزان ضخيم مربوط بسلسه حديدية مثبت طرفها الأعلى بسقف العوة .  
وبين هذه ابضائع يقف رجل بدين اكثر ضخامة في بطنه المتدلي بتراخ ،  
ويأزرر بمرولة حمراء طويلة لا أستطيع أن أقول عنها إلا انها غير نظيفة .  
كان هذا الرجل هو السيد حسون ادي أخذني إليه صديقي شاكر . وتوقفت  
عند باب العوة ، أما شاكر فقد دخلها بلا تردد حتى صار أمام السيد  
حسون ، وقد رأيتة يش بوجهه ثم يخفض من فامته المديدة ليستمع الى  
ما يقوله صديفي شاكر ، ثم رأيت السيد حسون يرفع رأسه ويظهر إلي  
ويقول :

— تفضل يا إبي \*

وصرب بعد بضع حساب امامه وجهه وجه • وفي غضون ذلك سأل  
السيد حسون صديقي شاكر :

— قل لي ، أنت الآن ثلوثك ؟ يعني سئك بعد يوجعك ؟  
فاجابه صديقي شاكر :

— انا كلش زين •

وأنا أعرفه انه لم يكن كذلك ، لا بعد أن وقع أسطه ناصر ضرره  
المؤلمة • ولكنني أمسكت عن أن أقول له ذلك •

والتمت السيد حسون إليّ وقال :

— والان انت أيضا سئك يوجعك ؟

فتدخل شاكر فيما بيننا وقال له :

— لا ، صديقي (كمان) يشكو من بطنه •

وكان دوري لأشرح له شكواي ، فانصت إليّ وعينه زائغة ينظر الى  
عميل يدخل علوته ، وبعد لحظات قال لي :

— إبني هاي ( صرنك مشلوعه ) ، تعال معي • واقتفيت أنره الى عمق العلوة  
القليل النور ، لعبى بالروائح القوية المنبعثة من السمور والبصون المكسدة  
الى جانب جدران العلوة ، وبعض أكياس أخرى كانت تشكل ساتراً لقسم  
العلوة الخلفي • وتناول السيد حسون كيسا دارغا من على الأرض ، ونفضه  
مرتين مما علق به من تراب وبعض ما كان فيه من بضاعة ، وعرش به أرض  
العلوة وهو يقول لي :

— تفضل تمدد يا إبني ودقيقة واحدة وتصير زين •

وعملت ما أراه مني ، ثم سألني أن أرفع قميصي لأكشف له عن بطني  
فعلت ذلك طائماً • وبسط السيد حسون كفه الممتلئة الثقيلة عليها ، وحركها  
تدويراً وضغطاً وقرصاً لينا ، وأنا كالمبئج أنظر الى سقف العلوة ، وكانت



على احد اعواده حسامه بهامس . وعلى ليس ارامي نه بوي بي وبيتس  
مظري بي برجر . وزيه حلي يه عسي . يعسه نه حبي اسه حسون  
في بيسي . وبعد الى من ديشين نه بي سيد حون بصوب نري .  
سه هم . مسني باذن الله .

ونفضت عيذ شد ندي ودخل حنه امراة فيمي . ومحب  
صديقي يدس في جيب السيد حنون سينا ، سبت يعده انه ماله فسي هي  
اجرة لعب مد الشطب . وهو ابيع اندي ياحده الدور (وراء) مسي  
لو أنتي استشرته . وعادرت العوة مع صديقي شاكر واه في عجب كيف  
أطعت صديقي شاكر لأستشير اسيد حنون في امر بيسي !

ونعود الآن الى حكيه بدوري البيت لذي سكتته مع أصداقائي بسجته  
التضل . وكان يومه قد س حني اجسي . ولم الز الى ديك الوقت  
أوليه اهتماماً خاصاً ، فكل ما مررت به ماله عارفه بجنس كان صارثاً  
فرضته ظروف ومنسبب سم غو سى يبعدي عن مديقه سرده في كني باني  
قدر . وقد يكون صديني شادر هو انسي ار في احسن اجسي اندي لم  
أعهد مثله من قبل . فقد رجعت يوم الى بيت اندي سكه مع شاكر  
فوجدت في وسط فناءه امراة منهكه في غسل انصحنون واكوب سي .  
وحين رأني أدخل البيت شرع بهتة وسرعه تسحب عباءتها لتستر بها  
وجهها عي . فصعدت الى الطابق الثاني من البيت حيث تعرفه اليوم فوجدت  
فيها صديقي شاكر ، واستعلت منه عن هذه المرأة ، فأجابني بقضب :  
سه هذه إمراة لخدمت ، تعمل لك اسبي في الصباح . ونبيخ معام  
الغداء أيضاً .

فقلت له :

سه ولكن كيف يا شاكر ، وخدمتها نكلفنا ؟

فأجابني باختصار وعوض أكثر :

- لا نكلفنا غير السكن والأكل ..
  - فسأله :
  - وأين تنام ؟
  - فأجابني :
  - في الغرفة الصغيرة التي في سطح الدار •
  - فقلت له بخبث :
  - أنت رتب لها كل شيء ، يا شاكرا !
  - فابتسم ولم يجبني ، ثم سأله :
  - وأين عرفتها ؟
  - كانت واقفة امام دكان إبراهيم البصل لتشتري سكاير ، واسمها بدور ، وإبراهيم هو الذي اقترح عليها أن تشتغل في دارنا •
- كانت بدور في نحو الثلاثين ، نظيفة ونشطة ، وهي تحاول دوماً أن تخفي نصف وجهها بطرف عباءتها لتستر شيئاً ما فيه ، أو لتثير حب النظر إليه .. وكانت تتقرب من شاكر أكثر مما تفعل معي أو مع صديقي الآخرين ، كما كانت تدخن بعمه من سكايره الخاصة التي تصله من أهله في أرييل بانتظام • وسرعان ما رفعت من بينهما الكلفة وحلّ محلها النكت المتبادلة والضحك ، ثم صار شاكر الوحيد الذي يصعد الى غرفتها الصغيرة ، وبطيل البقاء فيها أحياناً • ولم يكن ذلك يغيظنا بل كان يثير فينا الطنون ، ودخل في تخيلاتنا من الاحتمالات المشيرة • وأردب يوماً أن أداعب شاكر فسأله بقصد :
- شاكر ، افت دخلت الدنيا لو بعد ؟
- فردّ على سؤالي بمثل الامتناع المفتعل :
- عيب أفندم ، هي مثل أختي •
- فسأله :

- ومن هي التي تقصدها ؟
- فلم يجيني ، وعدت أسأله :
- طيب ، هي دخلت الدنيا ؟ لو بعدها مثل الرمان أول نزلته ؟
- فأجابني وقد احمر وجهه :
- شنو مثل الرمان أول نزلته ! شنو دخلت الدنيا ؟
- وتعمقت في إثارته ، فعلت له :
- طيب شاكر • أنت أوصف لي إذا كانا لا يشبهان الرمان !
- ولم أحص منه على جواب سوى الحياء الذي طغى على وجهه •
- وبعد بضعة أيام فوجئنا بشكر يقول لنا بتصميم :
- هذه ما تفعلنا !
- منو هذه ؟ • •
- بدور • •
- وغادرت بدور بيتنا دون أن تودع أحداً •
- وبعد سنوات عدة دخلت عيادي الخاصة مريضة ، وسألني قبل أن
- تعرض شكواها :
- عرفتني ؟ أنا بدور !
- ولأول مرة رأيته بكامل وجهه • كان على خدها الأيمن ندبة تمتد الى
- الطرف العلوي من رقبتها ، وهو ما كنت دوماً تستره بعباءتها • دأت لي :
- أنا تزوجت يا دكتور •
- وفي الحال رأيت نفسي أسأله :
- شاكر ؟
- ولم أكن رأيت شاكر منذ تخرجي في كلية الطب ، فأجابتي :
- شاكر خدعني الله يسامحه • • تزوجت رجلاً آخر ، وزواجي غير
- موفق ، فقد طلقني في صبيحة يوم الزواج • وأردت أن أقطع الحديث

عن حبيبها الخاصة ، فقلت لها :

— أه أيضا زوجت ..

فسألني :

— فريال ؟

وسألها :

— من هي فريال ؟

— لا سجدتها ، هي بيت التي كنت براقيها حين تكون على سطح دارها

المقابل لبدرا التي كنت سكدها ، لنرس عليه الماء في الامسيات الحارة .

وسألها :

— وهل كان اسمها فريال ؟

— أنت اعرف مني باسمها يا دكتور كمال .

— صدقيني أنا لا أعرف اسمها ولم أعرف عليها .

وابتسمت بدور ابتسامه من لا يصدق ما يسمعه .

وفريال انني أشارت إليها بدور صبية ناعمة العود وذات وجه ناعم

منعم بلانونة أكثر مما هو جميل ، كنت أراها أحيانا من بعيد وهي تكنس

سطح دارها الذي يقابل دارنا في محله المفضل ، ثم يرشه بدءا فييل غروب

الشمس . وكانت حركاتها نشطة ورشيقة ، شكت أستمتع بلذة حين أراها

تغدو وتروح وهي تحمل جرد الماء الذي ينس جانباً من جسمها فترفع طرف

ثوبها المفضض الزاهي الألوان . وهذا كل ما كنت أرى فيها ، ولم يكن

بيننا أية علاقة ، غير أن بدور لم تصدقني وقالت :

— أنا لا أحاسبك على ما فات ، وعليك بهذا اليوم ، فهل تحتاج الى من

يعاون زوجتك في أعمال البيت ؟

فقلت لها :

— سأكلم زوجتي بهذا الموضوع وأجيبك عصر يوم غد .

فقلت :

— في الموضوع استشارة الزوجة إذن !  
فنهضت وغادرت عيادتي ولم أرها بعد ذلك .

في قاعة التشريح بالنصب العدلي / ١٩٤٤

الدرس في الجرائم الأخلاقية • والامتد المحاضر هو الدكتور أحمد عزت القيسي . وقد بدأ يشرح لطلاب الصف أنواع الجرائم ودوافعها وأدواتها . ثم فادنا الى قاعة تشريح الجثث حيث كان على طاولة التشريح المرمية جثة صبي غار في حوالي الخامسة عشرة من العمر ، مشخّن بالجراح القاطعة . قال الأستاذ القيسي ان هذه الحالة ليست نادرة ولكنها مثل لضروب الجرائم الأخلاقية • وأخذ بيده عصا وصار ينقلها بين الجروح العديدة التي أدت الى وفاة هذا الصبي • طعنة واسعة عميقة في صدر الصبي ، وطعنتان على الجانب الأيمن من البطن ، وبضع طعنان على الوجه الأمامي من فخذيه • وطلب الأستاذ القيسي من مضمّد القاعة (عبد) أن يتب الجثة على وجهها ، فرأينا على إلسها وظهره مثل تلك الطعنان غير انها أقل منها عمقا • كان مظهر الجثة بهذه الجروح بشعا ولا يصدق معه أن يكون الجاني من بني البشر ! ثم طلب الأستاذ القيسي من المضمّد عبد أن يحضر الجاني ، فجاء به مكبّل اليدين وهو رحل في نحو الخمسين من عمره ، ذو قياضة مهملّة ، وقد سما شعر احده وشاربه حتى طال بشك غير منظم • وسأله الأستاذ القيسي :

— تعرف هذا (الولد) ؟

فلم ينظر إليه ولم يجبه ، بل انخرط في البكاء ، وحاول أن يرتقي على حافة الطاولة ، فأزاحه المضمّد عبد عنها بحشونة • وعاد الأستاذ القيسي يسأله

— تعرف هذا الولد ؟

واستمر الرجل يجهش بالبكاء ، وهو يجيبه دون أن ينظر إليه :

- نعم ، انه إبنى •
- ماذا فعلت ذلك وانت أبوه ؟
- واستمر الرجل ، لى ولد يحب على سؤال الأستاذ اله ••
- هل هو ولدك الوحيد ؟
- نعم ، هو ولدى الوحيد •
- بنات ؟
- بناتان وكلتاها متزوجتان •
- أمتهن في الحياة ؟
- مائت قبل سبع سنوات !
- شغلك ؟
- خادم بفندق تاكرس بالاس •
- تشرب ؟
- ولم يجب ••
- تشرب ؟
- فعاد الرجل يبكي بحرقة ••
- تشرب ؟
- واستمر يبكي ••

واكتفى الأستاذ القيسي بهذه الاستجابات ، وطالب من المضمّد عبّد  
أن يخرج الرجل من القاعة • ثم بدأ يعلق على الحالة :

- هذا الرجل سكّير ، ولوطي ، وباحتمال كبير انه كان يلوط بابنه هذا  
الذي رأيتوه مثخناً بالجراح ، وفي لحظات وهو مخبور لاط بابنه ،  
ولما صحا وأدرك الجناية البشعة التي اقترفها على ولده صار يقطع دون  
هوادة كما لو انه يظمن نفسه جزاء ما فعله •

## جغرافية المستشفى الملكي

وقمت على جغرافية المستشفى الملكي بشكل مفصل بعد أن صار على طلبة الصف الرابع أن تتلقى الدروس السريرية في ردهات هذا المستشفى . . وهذا المستشفى بناء قديم يرجع تأريخه الى عهد السلطان العثماني عبدالمجيد . وهو ذو أقسام متباعدة تضم دار التمريض الخاص وهو بسبع غرف تنفذ الى كريدور ينتهي من الشمال بمطبخ كبير . كما تنفذ بأبواب عالية الى ساحة مشجرة تحاذي الطريق العام الموازي لنهر دجلة . وغرف هذا القسم بسقوف عالية وأبواب ضخمة ، وعمومها مرافق صحية واحدة تحتل الفسحة الخلفية الواقعة بين الغرفة الاولى والغرفة الثانية . وعلى بعد بضعة أمتار من الطرف الجنوبي لهذه الغرف يرتفع سلم بخمس درجات الى صالة تنفذ إليها أربع غرف خصصت لحالات الولادة الخصوصية . أما ردهات المستشفى المجانية وعددها إحدى عشرة فتتصل بكريدور طويل جداً ، وبسقوف عالية بدرجة غير مألوفة . وفي عمق كل ردهة من جهة الشرق مرافق صحية بدائية كان يعمل في تنظيفها وحرق قاذوراتها أفراد من الهنود التابعين للجيش البريطاني . أما جناح العمليات فحديث البناء ، وقد شيد في أوائل العشرينات ما بين الردهة الثالثة والردهة الرابعة ، وكلا الردهتين للحالات الجراحية . وفي جناح العمليات ثلاث صالات اثنتان للعمليات الكبرى وواحدة للعمليات الصغرى وغير النظيفة . وفي كل صالة كبيرة شرفة يصل إليها طلبة الكلية من سلالهم مكشوفة خارج جناح العمليات . أما دائرة الأشعة فتقع على سين مجمع ردهات المستشفى ، وبلها بناء لسكن الراهبات الفرنسيات ، ثم مدرستا القوابل والمرضات ، وبين بناء هاتين المدرستين زربية فيها عدد من صغار الخنازير ، وهي دائمة الحركة بين أكوام نفايات مطبخ المستشفى ، وآذانها الرخوة تتدلى الى جانبي خطمها وهي تلتهم ما تجده مستساغاً في تلك النفايات . وعرفت بعد ذلك ان هذه الحيوانات تربىها

رأيت في هذه الحوادث فقد كنت لا أسي أمروا بها ومشاهدة ما  
بعده في حصار بغداد .

### في سمانقة هامة / ١٩٢٥

كنت أسمع من صحابي وأنا في نهر درسا في أوروبا أو مريكة  
من كبر من الطلاب وبعضهم يكره من الدنيا يعملون أنفسهم بأنفسهم  
بالعمل في الدوائر الخاصة أو في الدواب أو في المصانع بعد الانتهاء من ساعات  
الدراسة في كلياتهم . وأهم لا يعملون ذلك لفائدة التي هم فيها بل ليتدربوا  
على الاعتماد على أنفسهم . فقلت لنفسي وما العجب في ذلك لو أنني فلتدتهم  
ووجدت عملاً في مكان ما ولو في أيام محدودة ، أو في أيام العطل المدرسية ،  
كما أن ذلك يقل من طمأني الملاحقة من أبي وأخوتي . فقررت دون تردد  
دوني أن أعمل في أحد مطاعم بغداد . فاخترت مطعماً متواضعاً  
بعيداً عن الأتظار في سوق (هرج) الميدان هو اليوم حانوت واسع لبيع  
الخبز النسيم . ولكي أكون على اطلاع على نوع العمل فيه ، فقد دخلته في  
يوم جمعة لأناول فيه طعام الغداء ، فإذا هو عن الرائحة وأرضيته رطبة ،  
ولا منفذ له ، وجدرانه ليس لها لون من كثرة ما براكم عليها من الاوساخ  
والآترة التي تتطاير عليه بعد كس أرضيه وأثاثه . وعلى أحد جدرانه  
صوره كبيره رحيصة القيبة بألوان منفرة ، ومصباحان يتدليان من سقف  
المطعم وقد غطى سلكيهما الذباب حتى احتسى لونهما . وأغطية المناصد  
ملاخنة بالدم وألوان المرق ، وعليها الملاصق بأشكال وألوان وأسواع .  
فقززت نفسي من هذا المكان وما رأيته فيه فغادرته الى غير رجعة . وعرفت  
حينذاك ان الامساك شت بعمان وغيره ممن درس في خارج العراق حينذكروا  
اشغال الطلاب في المحلات العامة في أيام العطل المدرسية ، كان يجب أن



يذكروا في الوقت نفسه المحلات وما فيها من نظافة وراحة في العمل ...  
وعرف زميلي في الصف حنفيل دبي بضائقي المالية وحاجتي الآنية الى  
بعض الدنانير ، فقادني الى غرفة صغيره في خان بشارع فرعي قريب من شارع  
السموان ، وقدمني الى رجل في الخمسين من عمره أو أكثر وهو جالس وراء  
منضدة مصنوعة من الخشب كالحة اللون عليها سجادة ايرانية قديمة مهترئة .  
وتقدم زميلي حنفيل دبي من هذا الرجل وأسرّ في أذنه شيئاً ، فاعتدل  
الرجل ونظر إليّ وقال :

— حلّت البركة يا إبني .

ونادى على رجل كان يجلس على نضد من الاقمشة قريباً منه ، وطلب  
منه أن يأتي بقدين من الشاي ، ثم سحب درجاً من منضدته وأخرج منه ورقة ،  
والتفت إليّ وسألني :

— خمسة دنانير ؟

فأجبته :

— نعم خمسة دنانير .

فقال لي :

— تدفعها يا إبني خمسة دنانير وربيع بعد شهر ، مفهوم ؟

فأجبته :

— مفهوم .

حين ذاك سألني عن اسمي كاملاً ، فدونه على تلك الورقة ، ثم وضع  
الورقة أمامي وأشرّ بصبعه على موضع فيها وقال لي :

— وقع هنا ..

وما كدت أبدأ برسم توقيمي في ذلك المكان حتى أمسك بيدي وهو  
يقول لي :

— تعلم يا إبني ، لا توقع على ورقة إلا بعد أن تقرأها .

فعدت أنظر الى الورقة لأقرأ محتوياتها ، ووقعت على مكان التوقيع فيها ، ودفعتها الى ذلك الرجل بينما كان هو يقدم لي الخمسة دنائير التي طلبتها منه ، وغادرت محله وأنا أشعر في صممي انني أقدمت على عمل لا يعمل به إلا من هم أكبر مني ، وأنا بعد لست منهم . أما زميلي حسيق دبي فقد بقي في محل ذلك الرجل وقال لي :

— لا تنتظري فسأبعك بعد قليل الى الكلية . وبعد شهر حلت خمسة دنائير وربيع الى ذلك اليهودي المرابي ، فسحب من درج منضدته الورقة التي وقعت قبل شهر ، وقدمها لي وهو يقول :

— هذا محلك ، تعال متى شئت ، على أن لا تؤخر الدفع عن يومه ، وهذا اليوم هو زائد على موعد الدفع ولم أحسب عليك فائدة عنه .  
ولم أفهم من كل هذه اللغة شيئاً ، فشكرته وخرجت الى الشارع .  
ولم أحتج أن أعود إليه بعد ذلك والحمد لله .

### عجيل الياور وابنه صفوك / ١٩٣٥

في شهر نيسان ١٩٣٥ استأجرت غرفة بالاشتراك مع صديقي نصرت عبد الحميد في فندق الأمراء المقابل يومئذ لسينما الحمراء بشارع الرشيد . وكانت هذه الغرفة ( على قدر حالنا ) في أعلى الفندق وتشبه ( البيتونة ) التي تحفظ بها أفرشة سطوح البيوت من حرارة شمس النهار ، كما كان الوصول اليها عن طريق سطح الطابق الثاني لا من فناء الفندق ، ولذلك كانت أجرتها الشهرية أقل بكثير من أية حجرة أخرى في هذا الفندق . في هذا الفندق تعرفت على الشاب ( صفوك بن عجيل الياور ) شيخ مشايخ شمر ، وكان يومئذ في مثل عمري تقريباً ، وغرفته في الطابق الثاني ، وهي في مرافقها وتأثيثها شيء آخر غير غرفتنا المتواضعة . ويوماً جاءني صفوك وقال لي وهو يرفع عويناته السمكة الى أعلى قصبة الله :

— إن أبي الشيخ عجيل الياور سيزورني اليوم عصراً ، فأرجو أن تكون في

غرفتي قبل وصوله الى الفندق ..

وفي الساعة الرابعة كان الشيخ ومن وراءه عدد من الرجال المدحجين بالسلاح يصعدون السلم بجلبة الى غرفة صفوك . ونهضت كما نهض صفوك عندما ظهر أبوه الشيخ بقامته المديدة الممتلئة ، على باب الغرفة . وكان الشيخ عجيب إذ ذاك بتقديره في العقد الخامس من عمره ، وذا وجه صبح ولحية وقورة غير طويلة ، وعينين براقيتين ، وعلى رأسه كوفية رمادية اللون تبرز من تحتها ذوائب من شعر رأسه الأشقر . وقبل أن يقبل صفوك يد أبيه قال الشيخ عجيب : حيا الله الشاب . ثم سأل ابنه صفوك وهو بهم بالجلوس على أحد الكراسي ويشير إليّ :

— من يكون هذا الشاب الفليح ؟

فأجاب صفوك :

— هو من سامراء واسمه كمال ، ويدرس في كلية الطب . فقال الشيخ :

— أنعم وأكرم بالسوامرة .

وسألني الشيخ صفوك :

— من أية عشيرة أنت يا إبن كمال ؟ فأجبت :

— من ابو عباس .

— ونعمين وثلاث ..

ثم سألني الشيخ :

— هل هذه العشيرة أكبر عشائر سامراء ؟ فأجبت :

— ليس لي علم بذلك .

فقال لي :

— كيف لا تعلم وهي سندك عند الممات يا إبني ؟  
واستطرد يتكلم بعلم عن عشائر سامراء المشهورة ويعدد أفرادها  
ومناطقها وأفخاذها •

وبعد فترة سكوت قال موجهاً كلامه لإبنة صفوك :

— يا ولدي يا صفوك ، أنا مسافر ( للضارب ) هالحين ، فهل عندك شيء ،  
تقوله لي ؟

فأجاب صفوك وهو ينظر الى أرض الغرفة :

— سلامتك يا أبي •

فقال له أبوه الشيخ :

— يعني أنت مصر على عدم العودة الى الاسكندرية لمواصلة الدراسة ؟  
فأجاب صفوك بصوت خفيض :

— نعم يا بي •

فقال له أبوه الشيخ عجيل :

— أنا أريد أن أقول لك آخر ما عندي من نصيحة ، فإن الدراسة يا ولدي  
أفضل من المشيخة حتى لو خضعت لك جميع عشائر العراق لا عشائر

شمر وحدها ، فاسمع نصيحتي وعد الى مدرستك في الاسكندرية ،

لتعود الى العراق شيخ متعلم •

— ماني راجع يا بي لو تذبحتي •

كان الشيخ في هذا الحوار ليناً ولم يبد عليه انسخط أو الغضب على  
إبنة صفوك ، بل بدا عليه كأنه في موقف المستعطف لا الأب الأمر والناهي •

— أخشى يا ولدي يا صفوك أن تعتقد أن مركزي وصداقتي لكبار رجال

العالم أمثال هندنبرج وجورج الخامس وفيصل الاول سيولونك

رعايتهم بعدي ، فإن هذا لن يكون إلا في حالة واحدة وهي ان حملت

بيدك شهادة علم ومعرفه ، فان الشهاده لان هي الاساس ، وامسيحه  
شيء جدي لا ساسي ، لما انه غير بافيه ، فلها رمان لما انه يدوم  
مويلاً . اولاد البدو صاروا يهرأون ويكسبون ، ولت الى وقت  
قريب اعطهم على هذه المعرفه ، واسمى لو يبدلونها برونى . أما الان  
فانه مثلهم افرا وائيب . فسانى كيف ومنى نعمت ذلك . وصديقك  
لسان يسمعي ، ثم استورد الشيخ عجيل :

لان ذلك قبل سنة واحده يوم دعني ( مس بيل ) الى العشاء في  
دارها ، واعلمني ان من صيوفها سيكون جلاله است فيصل ، والمدوب  
السامي البريطاني وياسين الهاشمي وبوري السعيد ورستم حيدر وجعفر  
العسكري . ورثبت مس بل مكاني على مائدة العشاء بين رستم حيدر  
وجعفر العسكري ليترجما لي بعض ما يهونني فله من أحديثهم بالانكليزية .  
واستورد الشيخ يقول : ولاحظت ان مس بيل قد أتت بجلاله الملك ورقه  
هي قائمه بانواع الصحون التي ستكون بقاء على مائدة العشاء ، كما لاحظت  
ان است قد وضع على طهر الورقه ودفعها الى المدوب السامي فوقع هذا على  
ظهرها أيضا . وحزرت ان هذه الورقه ستصلي وأنا لا اعرف القراءه  
والكتابه . فسا وصلت الورقه الى جاري رستم حيدر وفع عليها باسمه  
ثم كتب اسمي الى جانب اسمه ، وأدار وجهه إلي وقال وهو يتسم : أنا  
وقعت على هذه الورقه عوضاً عنك يا شيخنا . واستمر الشيخ يقول لابنه  
صفوك : لا يمكنك فقد أن تصور ما حل بي في تلك اللحظات يا ولدي ،  
فقد تمنيت الموت الفجاء . وانتظرت بفارغ الصبر الانهاء من هذه الدعوه  
(فهجت) بعدها مباشرة الى المضارب ، واستفدتم من الموصل (ملا) وحجبت  
نفسى في بيت شعر أربعة أشهر بنسائها صرت بعدها أقرأ الجريدة كما يقرأها  
أي أفندي ، والآن وليس قبل ذلك صرت أعد نفسي شيخ مشايخ شمر  
بحق وحقيقه .

ونفض الشيخ عجيل معجلاً، وغادر العرفه ، ومن ورائه يسجل هاله  
من انوار واهيه . ومدت انا في العرفه افكر في غشه هذا الرجل وحلو  
حاديه ، وصواب افكاره وما يفايلها من موقف ايه صفوك .

### حاله مرضيه عريبه / حزيران ١٩٢٦

النار تخلف عار .

شاب في نحو الخامسة عشره من عمره ، من سكه محبة انقراغول  
يبعاد ، وهو يسيم اذب ، وبعينه امه يصنع احنويات ويبيعها لاطفال المحله .  
ونسكى ذلك اسبب ذات يوم من حرفه اساء البون ومن بوله الحليظ بالدم  
والصيح . واهم هذا اصبي من ادرب خادمه اردمه العاسرة التي اعمل فيها .  
قد كرت لي خبر هذا الشاب ، فارشدتها الى الدكتور ( عبي ابير ) في الردهه  
الخامسه باستشفى المنكي ، ولم يبق الدور على علامه مرضيه ترشده  
اني تشخيص مرضه سوى الحس بالم عد الضغط على منطقه المابه فمرضه  
للاشعه (ايكس) فكان في الصورة الشعاعيه اعرب ما يسكن ان يتصوره من  
يخص بامراض المثانه . كان في المثانه سلك معدني ملتف حول بعضه حتى  
صار لنله ملات حيزاً من جوف المثانه . واستجوب الدكتور علي البير هذا  
الشاب بعد ان صارحه بوجود السلك المعدني في مثانه . فاتفق له ان هذا  
الشاب المراهق لم يكفه الاستمنااء يده بل وجد لذة غريبة في إدخال عود  
الحياكة الذي تستعمله امه في إحليله . ويوما أخذ قطعه من سلك كهربيائي  
وجرده من غلافه المطاطي ، وطواه على نفسه لكي لا يحدث طرفه المديب  
تخريشا في جدران إحليله . ودفع هذا الطرف في إحليله . فوجد في ذلك  
لذة تفوق ما كان يشعر به عند استعمال أعواد الحياكة ، فضلاً عن ان هذه  
لا تتوفر له دائماً وامه تحتاج إليها . وصار هذا الشاب يمارس هذه العملية  
يومية . ومرة استمر يدفع السلك في إحليله ، ولما فضى وطره وأراد أن  
يخرجه عسر عليه ذلك ، فاضطر الدكتور البير الى اخراجه بعملية عن

مرى نوح 'شابه من البطن وأخرج منها دلت الست الذي كان قد الف  
على نفسه •

وفي هذه المناسبة اذكر ان ( الدكتور سلمان دئن ) حين سمع بحكاية  
دلت الشاب بعد سنوات ، وكنت قد نخرج في كية الطب ، قال لي :

— داب يوم استشارني رجل متقدم في العمر وهو يشكو من امتلاء في  
داخل حوضه ، فمحصته بالأصبع عن طريق مقعده فلمست جسماً صلباً في  
مكان علوي من امعاء الحوض ، وعرضته للأشعة فلم يستبن بها شيء  
فاسئيت ان يكون دلت اجسم من الحديد او من العظم ، وما استخرجته  
بعملية عن طريق البطن وجدت قطعة من خشب معموله بمن ودعه على شكل  
( قضيب ) • وبعد ان افاق ذلك المريض من التحدير بعد العملية ، طلبني  
إليه ، واخذ يدي وقبلها وهو يقول : ستر عليّ يا إبنني الله يستر عرسك ،  
ولم أدرفته سريره ناداني ورجاني بنوس ان أعيد اليه ذلك القضيب لخشبي •

في معه ٤ اميواضية / ١٩٣٦

في صيف ١٩٣٦ سكنت مع أصدقاء أربعة هم رفعت الحاج علي وهو  
طالب بكلية الطب وأخوه طبع الحاج علي ، وجمال بندير وهما بكلية  
الحقوق ، في دار قريبة جداً من الباب اصغير الخلعي لكلية الطب • وكنا  
جميعاً في أعمار متقاربة وعلى مشارب ممتانة • وكانت تلك الدار صغيرة  
يتوسطها فناء صغير زرعت فيه شجرة جلسار ذات الزهر الأحمر ، وبعض  
شجيرات أوراد الختمة ذات الالوان الريفية الزاهية • ويحيط بفناء الدار  
ثلاث حجرات من جانبيها الشمالي والغربي ومرافق صحية من جانبه الشرقي •  
وليس في الدار طابق علوي • أما سطحه فمحصن بستائر من الوتيا  
( الجينكو ) من جهة الطريق العام ، وبجدران الدور المجاورة له من الجهتان  
الثلاث الأخرى • وكان جردنا الى اليمين رجلاً عرفنا أن له زوجتين ، إحداهما  
شابة ناعمة الوجه والعمر والأخرى أكبر عمراً منها • ولم يكن لهذا الرجل

أطفال ، وهو كهل وفور ومثان للبرجوازي المعتدل ، ولم أره يوماً إلا والسدارة تغطي أكثر رأسه في وقت كانت اسداره يومئذ قد بدأت تختفي من رؤوس العرافين ، وإذا صادف ان قبل أحدنا نصحه بالقراءة ، فالكتاب كما يقول هو الكنز التمين لكل انسان . ويكرر مثل هذه النصيحة لكل منا حتى لو رأنا أكثر من مرتين في اليوم ، كما كان يقوم بنفسه في أيام الصيف الحارة بحمل الماء المشج أو اللبن الخفيف البارد إلينا وهو يقول بتواضع وحنو :

— أنتم يا اولادي ليس لديكم وقت لشراء الثلج ، فكرسوا أوقاتكم للقراءة ، وأنا أزودكم بالثلج .

كان هذا الرجل يحنو علينا ويهتم لمصالحنا كما يفعل الأب لأبنائه . أما جارنا الى اليسار ، فكانت عائلته كثيرة الاطفال وكثيرة الصخب ، فتقلق انزالنا الى مراجعة دروسنا بقراءة الكتب ، ولم نجرؤ أن نبه ذويهم الى ما يصيبنا منهم من أذى .

وعبر الطريق دار بطابقين تقابل دارنا ، وهي الدار الوحيدة بهذا التركيب المعماري في هذا الطريق . ويسكن هذه الدار رجل في الأربعين من عمره ، أصلح الرأس ، ويغطيه بيرنيطة بلون بني ، لم نحط في معرفته أجنبياً قبل أن نسمعه يكلّم زوجته بلغة غير عربية ولا انكليزية . وزوجته تقاربه عمراً أو أصغر منه على ما بدت لنا من رشاقة جسمها وطراوته . أما وجهها فكان صبيحاً متورداً في شيء من الامتلاء . وكانا يكران في مغادرة دارهما ، ويعودان في حدود الساعة الثالثة بعد الظهر . ولا أذكر أنني رأيتهما يوماً وعلى وجهيهما ابتسامة أو انشراح ، بل كانا يتكلمان أحياناً كما لو أن بينهما خلافاً يحاولان أن يتفاهما عليه بالعتاب . ويوماً اكتشف أحدنا وهو الطالب طلعت الذي يدرس في كلية الحقوق ، امرأة غريباً في دار ذلك الرجل الأجنبي . فقد رأى مصادفة من خلال فتحة صغيرة في ستارة السطح ، ان



ردت برجل الاجنبي وزوجته يهجعان في غرفة مسكنهما امطلة على الطريق .  
 وكما يتبين فيها مبكرين في وقت يحدود الساعة العاشرة ، فادا ولجا الغرفة  
 سرع المروج يرش مبيد ابعوض (مئسى) بسضحة يدوية صغيرة ، ثم يتعريان  
 سدا وبعد ذلك يصطحبان على سريريهم ، فيتناول كل منهما كتاباً من على  
 مضخة صغيرة بين سريريهما فيقرآن فيه بضع صفحات ، ثم تطفىء الزوجة  
 امصباح الذي الى جانبها . وأخيراً يتقيان في فراشهم بعد أن تعم الظلمة  
 معرفه إلا ، ينقذ إليها من الدور المنبعث من مصباح الشارع القريب من  
 نافذة الغرفة ، فيكشف عن جسميهما العاريين والتلامس الذي يحدث بينهما .  
 ولم يكن يتكرر هذا المشهد في كل يوم غير اننا نندفع متدافعين لننظر من  
 خلال الفتحة الصغيرة آمين أن نرى ما يدور في مخيلتنا على سرير الزوجة .  
 واذا عدنا الى أسرتنا فقد ينهض طالب كيمياء الحقوق خلفه ليرى فيما إذا  
 عاد الزوجان الى تمثيلتهما المثيرة ، فاذا أطلال النظر من خلال تلك الفتحة  
 التي في ستارة الصفيح عرفنا ان ثمة شيء يدور في غرفة الزوجين فننهض  
 لنشاركه في المتعة . ومع ان ذلك كان يتعبنا ويلهينا عن الدراسة حتى في  
 ساعات النهار ، فانه بحكم عمر اندفع غريزي لا يفهم ويحن إليه الكبار  
 ولا يلعنونه . فما أحلى أيام الشباب بالرغم من خطوراته والتحول الخطير  
 من بعده الى أيام افضل أو أسوأ .

### الاستاذ ابراهيم في الكادر التعليمي

فوجئنا ذات يوم من شهر حزيران سنة ١٩٣٦ بشخص بعمر الخمسين  
 تقريباً يدخل الردهة الخامسة في المستشفى الملكي ، وقد عرفناه طبيياً لأنه  
 كان يرتدي (صدرية) الأطباء البيضاء ، وسرعان ما عرفنا ان اسمه ابراهيم .  
 وهذا الاسم من أسماء اليهود في بغداد ، كما كان ذا أنف ضخم مقوَّس ،  
 وهذه علامة أخرى لهذه الملة ، فحسبناه يهودياً ، وبوقت قصير عرفنا انه ليس  
 مسيحياً فحسب بل كان متديناً ومتحزباً لدين المسيح (ع) أيضاً ، فلا ثنوته

رؤيه .سكس في المسببات اندييه . واسه كملا ( نيونيل ابراهام ) .  
ويوما رايت على مدخل بينه في سارع العسكري قصعة خشيه كسب عليها  
( مسنر ابراهام ) . ثم عرفت بعد ذلك ان هذا الملب ينسج على الجراحين في  
بارد الانكليز . ولم يكن ابراهام طويل قامه ، إلا ان اناقة ورشاقة بده  
جعلنه يبدو بطول معتدل . وكان في نظفه وملبسه ومشيته ما جعلته ايضا  
يبدو ارستقراطي . فلا يرتدي إلا القمصان ذات الياقة المرتفعة المشاة التي  
يرتديها الارستقراطيون في الاعياد والزيارات الرسميه ، ولا يسوق سياره  
السمروليت السوداء ، إلا ويديه في قماز ابيض . وكان أنفه دائم  
الاحمرار من حر ما يحسني من الحره حتى في ساعات النهار ، غير انه لم  
يكن يفهم توازنه واحكمه الصائبه حين يستنطب العلاجات الجراحية للمرضى  
او حين يعملها لهم .

دخل ابراهام اردمه الخامسة ، وتقدم من أحد أسرة مرضاها ، وكنا  
اربعة طلاب يومئذ في هذه الردهه ، فجلسنا حوله ، وطلب من أحدها أن  
يقوم باستجواب المريض عن حاله المرضية ، والفرق بينها وبين أمراض  
اخرى مشابهه في العلامات والاعراض . وكان ينكم ببصه ، وينطق واضح  
فعدده خير معلم لتدريس الطب ، وصرنا نلازمه حين يدخل الردهه . وهو  
يدخلها بصورة منتظمة لتبعه نظورات مرضاه وبحصة من أجرى لهم العمليات  
الجراحية . كما كنا نخرج في ايام عملياته الى (بالكون) صالة العمليات  
لنراقب حركات يديه وهي تلمع أو تحيط الجروح في بطون المرضى . ومع  
ان ابراهام كان يفدر اهتمام الطلاب بمناجعة أسعاله على طاولة العمليات  
غير اني سمعته يوما يقول : ان الجراح يرى في هذه العمليات كل شيء في  
ساحتها ، ومعاونه يرى بعض الشيء منها ، أما الطلبة فلا يرون شيئاً منها .  
ثم يستدرك قائلاً : ان مراقبة تحركات من في فاعة العمليات من الجراحين  
وهم يريدون ملابس العمليات ، وفنازايها المطاطيه ، ومساعدتهم ، والمرضة

التي نهدم الآلات الجراحية التي يسببها الجراح ، لا غنى من فائده لصاب  
البيه . وجو العمليات خاص لا يدرث إبعاده وطبيعته إلا من به حس صبي .  
وفي يوم رأينا الأستاذ إبراهيم وبصحبه سيده بقربه عمرا ، ذات سعر  
أحمر وإلى جانبها فتاة في العمد التي من عمرها ، عرفنا أنها زوجته وابنة  
زوجه التي طلقها زوجها ، ثم ولادة ابنته .

وباربع الأستاذ إبراهيم الثاني حاد بالأحداث والمعارف . فقد أحب  
في شبابه فناء سبت بته ، ثم ركنه بعد أن أحببت شابا آخر ، فألمه ذلك ،  
وصار يداوي خسره بمقد حبيته بالاستجاء إلى شرب الخمر . وقد شبت  
الحرب العالمية الأولى طلب الاسحاق باجيش ابريطاني وأن ينفل إلى أبعد  
مكان عن موطن حبيته ، فعين جراح في مصف (عبادان) . وبعد حين طوار  
في هذا البلد أصيب بضربة شمس قوية فحصل بالطاره إلى لندن وأدخل  
مستشفى (كايز) لمعالجة . ولما رآه من مرضه عاد إلى عبادان على ظهر  
باخرة ، وفيما كان يمارس رياضة السبي على سطح هذه الباخرة قاطعته صبية  
وصارا يتحدثان في كل شيء ، أحدث بمقاطع مسلية ، وبينما كانا يتضحكان  
من حادث في عبادان فإذا صوت امرأة تادي تلك الصبية باسمها ( سوزن ،  
سوزن ، يا سوزن ) . والتفت إبراهيم إلى مصدر الصوت فإذا هي حبيته  
المطلقة ، وهي أم هذه الصبية التي كان يتحدث معها . وكنت فرحة أمها  
بنجل في لقائها مع حبيها الأول إبراهيم . أما إبراهيم فكانت فرحته هي كل  
الذكريات الحسنة أيام تعارفه مع حبيته لأول مرة ، ولم يكن لحياتها له مع  
زوجها مجال ليطوف على وجهه أو معالم شعوره . فتزوجا على سطح الباخرة  
وهي في طريقها إلى عبادان . وبعد أقل من سنة قدم إلى بغداد ليكون  
جراحا في مستشفى الغرباء الذي أسسه الوالي مدحت باشا في جاب الكرخ ،  
وفي هذا المستشفى كانت عملية الملقط الولادي والعملية القيصرية التي  
مارسها إبراهيم أولى العمليات من نوعها في بغداد .

ووصفت كية صب بغداد الى سسها اربعة اسدعي الذكور ابراهيم  
 نيراس وحده الجراحة الاولى في امسسى املي ويكون في الوقت نفسه  
 اسد الجراحة في كية الصب . وفي الحرب العالمية الثانية اعيرت خدمته  
 الى صباه الجيش العراقي بربه عييد وصل يسع بهذه البريه المرموقه حتى  
 وفاته سنة ١٩٣٩ وقد حصل جسانه على سياره عسديه ونعسه مفضى بالبرزه  
 العسكريه العراقيه ابي مقبره الانكليز القريبه من ساحه يونس السبعوي  
 حاليا . وقد امسك بالحبل الذي بدلى منه نعسه الى قاع النهر كل من روجه  
 وابنه من صرف والدنور هاسم الوري وموظف من السماره البريصانية من  
 الظروف الاخر ، بينما اطلق فضيل من الجيش العراقي ست اطلاقات نارية .  
 رحم الله الاسد ليونيل ابراهيم واسكه جده المسيحه .

#### فراو كرومبيتر وسأدا / ١٩٤٧

وحكيه هذه المراف مستعه ، وفيها من المصادفات العفوية التي تبدو  
 كأنها ربت بقصد لتكون ماده نعلم سينائي مترابط الأحداث والاطراف ،  
 لا مجرد حكاية عن جاسوسة فقط .

كنت في مطلع شهر اذار ابحث عن سكن لي قريب من الكلية الطيب  
 تتوفر فيه الراحة والهدوء لمراجعة لكتبي هيؤا لامتحان التخرج في الكية.  
 فتعرفت في مصعم « العزال » القريب من فندق (دجلة) الواقع على ربة جسر  
 الملك فيصل حيث كنت اسكن بالمشاركه مع صديق لي من اهل اربيل يدرس  
 في كية الحقوق ، على شاب يدعى جبرائيل كسّاب ، وكان يومئذ يعلم  
 الكيمياء في إحدى المدارس الحكومية ، فلما علم بما أبحث عنه نصحني أذ  
 أستأجر حجرة في بيت سيدة المانية سماها (فراو كرومبيتر) بمحلة العواضية،  
 وقال لي انه هو نفسه يسكن في إحدى حجرات بيتها ، كما ذكر لي محاسن  
 السيدة الالمانية والبيت الذي تديره . فأخذني اليها عشية ذلك اليوم . كان  
 البيت ملكاً لعقيد في الجيش العراقي اسمه صالح العزاوي ، وكنت قد عرفته

عن طريق زوجته التركية التي كانت إحدى مراجعات الردهة النسوية التي أديرها في المستشفى الملكي ، وقد طورت السيدة الالمانية ذلك البيت، وغطت أكثر جدرانها الداخلية بالورق المزوّق حتى اختفت أكثر معالمه الاولى ، فأعجبت بالبيت في أول نظرة وأنا أخطو الى داخله حين فتحت بابه السيدة صاحبة البيت . وقد بدت لي هذه السيدة في الخمسينيات من عمرها ، وهي أقرب الى القصر ، ممثلة الجسم بغير تناسب ، وتحمل على أرنبتى أثمها الدقيق عوينات نصف دائرية . قدّمني إليها صديقي جبرائيل كساب بالالمانية التي يعرف النكلم بها ، فرمقني من فوق عويناتها بتفحص ، ثم رحبت بي بانكليزية سليمة ، وأعربت عن سرورها أن تستضيف طالبا جامعيا في بيتها ، ولم تمهلي طويلا بل قادتني لأرى الحجرة التي تعرضها للايجار ، وفلت لي ونحن لا نزال واقفين في داخل الحجرة : ان أجرتها دينار في الاسبوع ، يدفع سلفا في بداية كل اسبوع . ووجدت الأجر باهظا بالنسبة لمايتي بعد أن تذكرت أنني أدفع أربعة دنانير فقط في فندق دجلة لقاء السكن وتناول وجبات الطعام الثلاث في مطعم الغزال التابع لأصحاب الفندق . غير أنني سرعان ما قبلت بما طلبت مدفوعا بقرب بيتها من الكلية ، ونظافته وترتيب أثاثه . وبعد ساعة حملت حقبتي ، وفيها ملابس قليلة وبعض الكتب المدرسية ، الى الحجرة التي رأيته في بيت السيدة الالمانية . وبعد بضعة أيام صرت أميل الى مجالستها حين تتعني القراءة .

كانت هذه السيدة محدثة لقة ، وفنانة في سرد الأحداث واجتذاب المستمع اليها ، وسرعان ما صارت تخاطبني تودد وتدلّني بقولها : يا إبني الصغير .

وكان شهر مايس كعادته فائضا . كنت أنام ليلا على سطح البيت طلبا لرودة الهواء . أما فراو كرومبتر وصديقي جبرائيل كساب فبمقام كل منهما في حجرته . وكنت غالبا ما أرى في هذا الوقت رجلين يزوران صاحبة

البيت ، أحدهما متوسط الطول بامتلاء ، وبسحنة شرقية ، والآخر بسحنة  
أوروبية ، فيمضيان ساعة أو أكثر برفقة ( فراو كروميتر ) يتحدثون في  
الطلة تحت شجرة توت باسقة في حديقة البيت الخلفية . وقد عرفت من  
( راو ) أن الأول هو الدكتور ( غروبا ) ، سفير ألمانيا في العراق ، والآخر مش  
شركة « باير » للأدوية في العراق . ثم تغادر الضيفان البيت بلا صخب كما  
دخله ، وكأهما لم يكون في حديقته بل قايين .

و ذات ليلة أيقظني حركه غامضة على سطح البيت ، غير بعيدة عن  
سريري ، ولما تخلصت من النعاس في عيني رأيت رجلاً وامرأة يغطان لي  
نومهما على حشية خفيفة مبسوطة على بلاط سطح البيت ، فنهضت عن  
سريري بهدوء ، وخطوت نحو السلم بخفة لأنحدر الى داخل البيت ، وأكمل  
نومي في داخل حجرتي . وذكرت وأنا أساعد ( فراو ) في تهيئة مائدة فطوري  
وفأورها ما شاهدته على السطح ، فأعلمتني بغير اكتراث انهما من المائيسا  
وهما في طريقهما الى طهران ، وقد وصلا بغداد ليلاً ، وسوف يستأثقان  
سفرهما بعد بضعة أيام . وأضافت : نعم كان يجب أن أخبرك بذلك مسبقاً  
غير أنني نسيت ذلك يا ولدي الصغير . وقطعت كلامها حين سمعت خطوات  
الضيفين تضرب درجات السلم وهما ينزلان الى « هول » البيت حيث تتناول  
وجبات الطعام يومياً . قالت لي ( فراو ) بتعجل : سوف أقص عليك حكاية  
هذه المرأة بعد سفرها . وظهر الضيفان على عتبة السلم حين كدنا ننتهي من  
تناول فطورنا — أنا و ( فراو ) . ونهضت ( فراو ) لتقوم بتعريفي على الضيفين ؛  
كان الرجل اسمه ( هر كراوس ) وهو في نحو العقد الخامس من العمر ،  
فارع الطول ، أشقر الشعر ، وكات المرأة في مثل عمره تقريباً واسمها  
( ماغدا ) وردء الضيفان على تحيتي بالكلزية طليقة . وبدأت لي ( ماغدا ) وكان  
عمرها لم يؤثر على أنوثتها إلا بقدر ما تؤثر الأتربة في التحف الغالية ؛ وجه  
بمسحة من الذبول الطارئ المستحب ، ونظرات دافئة ، وصوت ممتليء

يحنان ، وجيد لا يزيد في جماله فلائذ الذهب والأحجار الكريمة . وبعد  
 ثلاثة أيام غادر الضنان الى طهران . وفي شهر يوم سفرهما ، وأنا و(فراو)  
 تناول غداءنا تلمست لقصص على ما وعدتني به عن السيدة (ماгда)، وبعد ذلك  
 لي أن اهتمامها لكي أسمع الفصة منها أكثر من شوقي الى الاستماع اليها .  
 وبدأت الكلام دون مقدمات وكأنها تستمر في إتمام حديث له تكمله . قالت:  
 ان (ماгда) كانت أشهر مغنية في برلين ، وقد ربط حب عنيف متبادل بينها  
 وبين محام كبير اسمه (براون) ، فلم تفلح زوجته الصبر على ذلك ، ولما رأتها  
 مصراً على الاتصال بـ (ماгда) ، انصلت هي نفسها بها تفنوياً واستعطفها  
 بتوسل أن ترحمها وترحم طفلتيها ، باسم الوجدان والانسانية ، وأن تسد  
 بابها بوجه زوجها براون . فوعدها (ماгда) بتحقيق طلبها ، وبررت به . وكان  
 أن هجر براون زوجته وطفليته مثلما هجرته (ماгда) الى الأبد . وكادت  
 (فراو) أن تتوقف عن إتمام حكايتها ، فسألتهما لأستحها على الكلام ، عن  
 الرجل الذي كان يصحبها حين استضافتهما قبل أيام ، فأجابتي : ليس لي  
 علم بذلك ، فقد يكون زوجها وقد لا يكون . وسألته مرة أخرى : ألا يجوز  
 أن يكون هو المحامي (براون) ؟ فأجابتي بشكل فاطم : كلا . ثم سألتها :  
 وكيف تعرفين ذلك ؟ فقلت : لأن براون زوجي وأنا التي كلمت (ماгда)  
 بالتفون لترفض دخول براون الى بيتها . وكان ذلك مفاجأة لي أوقني  
 عن متابعة تناول غدايي . أما هي فقد استمرت تتدوله لا إرادياً . وسألته :  
 هل عرفت (ماгда) الآن أنك زوجة براون ؟ فمت ذلك . ثم سألتها : ولماذا  
 لا تخبريها وتصفي الحساب فيما بينكما بعد أن انتهى كل شيء ؟ فأجابتي  
 باصرار وحقد : لا تقارب بنا . ولدي الصغير ، فهي تحب براون حتى لو  
 عاش لغيرها من النساء ، وأنا أفضل موته على أن يعيش لغري . ونهضت  
 عن مائدة العشاء وهي لما نزل سنهم القم من مواعينه . وكان ذلك الحديث  
 الطويل آخر حديث لي مع مضيعتي فراو كرومپتر ، فقد انتهت من أداء  
 امتحانات التخرج في الكلية ، وهجر بيتها الى غير عودة .



وفي يوم ما أردت أن أزورها لأرد لها بعض أفضالها عليّ ، فطلع عليّ  
لدى باب بينها العقيد العزاوي مالك البيت ، ودعاني الى داخل بيته . سأله  
بعد أن رأى اني فوجئت بسرآه : أريد أن أرى فراو كرومبيتر  
لو تفصلت ، فقال لي بأنها قد رحلت منذ شهر . ثم أضاف : وقد علمت  
أنها أعدمت في طهران لثبوت تجسسها على القوات البريطانية لحساب  
الدنيا . ولما أبديت استغرابي وأسفي على ذلك قال لي : أنا نفسي كان  
يخالجني الشك بهذه المرأة ... وه قد تحققت شكوكي . وبعد بضعة أيام  
رأيت صديقي جبرائيل كسّاب في مطعم « الغزال » ، فنقلت اليه ما أخبرني  
به العقيد صالح العزاوي ، فنفى جبرائيل ذلك ، وأضاف قائلاً : ان التي  
أعدمت في طهران هي السيدة (ماگدا) التي استضافتها (فراو) يوم دخلت  
بغداد بمعية الرجل الذي كان يصاحبها . فعدت آسف مرة أخرى على النهاية  
المأساوية لتلك « التحفة » النادرة ! وفكرت ... لا بد ، إذن ، من أن  
إحدها - فراو كرومبيتر أو ماگدا - قد أعدمت .. أو قد تكون  
الاثنان معاً .

### الامتحانات النهائية بكلية الطب/ ١٩٣٨

كانت الامتحانات المدرسية تخيفني . والخوف من الامتحان وعدم  
الخوف منه قد يؤدي الى الرسوب فيه أو النجاح دون اعتبار كون الطالب  
مجدداً أو كسولاً . وأنا حتى بعد أن اجتزت مراحل الدراسة في عمري أحلم  
أحياناً أنني أدخل امتحاناً لم استحضر له فارتعد خوفاً منه واستيقظ من  
كابوسه وأنا أرتعش والعرق يقطر من وجهي ، فاذا وعيت أن ذلك كان حلماً  
لا حقيقة حسدت الله على ذلك . وقد قيل عن لسان نابليون أنه كان في صفه  
يخشى دخول الامتحان أكثر مما صار يخاف خوض المعارك الحربية بعد  
ذلك . على انني لم أكن من المتأخرين في سنوات الدراسة بكلية الطب ، بل  
كنت دوماً من الخمسة الأوائل في صفي . وقربت أيام الامتحان النهائي في



السنة السادسة ، فتهيت من لاستاذ كندي بشكل خاص حين أتخيله أمامي وهو يوجه لي أسئلة الامتحان الشفهي ، إذ كنت أراه دوماً كما لو أنه طبيب في جميع الاختصاصات الطبية مع اني لم أعرفه إلا عن طريق محاضراته السريرية والنظرية ، وعن مشاهداتي لعملياته الجراحية وأما أتبعها من شرفة الطلاب في صالة العمليات ، فأراه مسيطراً في حركات أصابعه في جوف المريضة ، وازداد إعجابي به في السنة الدراسية السادسة ، حين كنت أتسلل الى الردهة النسائية لأقف مع من يكون معه وهو يتفقد مرضى الردهة ، وكنت أشعر أو أتخيل انه يوليني نظرة خاصة ألمس فيها احتمال اهتمامه بأمري . فلما آن يوم الامتحان بموضوعه ، وقفت أنتظر لحظة يناديني بمساعدة الدكتور اسكندر برهاد ، ونودي على غيري من الطلاب ممن كانوا بعدي في تسلسل أسمائهم في الجدول الذي أعد للامتحان . وفوجئت بالاستاذ كندي يغادر عرفة الامتحان فحسبت أنه أغفل قراءة اسمي في ذلك الجدول ، فلحقت به وقلت له :

— سيدي ، أنت لم تمتحني .

فلم يلتفت إليّ ولم يجبني . وأعدت عليه أقول :

— سيدي ، أنت لم تمتحني ، أرجوك .

ولم أكمل هذا الرجاء حتى التفت إليّ وهو يقول :

— سمعتك يا بني ، ولا ضرورة أن أمتحنك ، فأنا أعرفك مجداً .

أما في موضوع الطب الباطني والجراحة فلم أخف ممن امتحنتني بهذين الموضوعين . ولما انتهت من أداء جميع الامتحانات النهائية في السنة السادسة بكلية الطب ، قبع في الغرفة التي كنت استأجرتها منذ أسبوع في فندق الأهالي المقابل لسينما الزوراء بمنطقة المربعة ، ولم تكن هذه الغرفة مريحة ، فليس فيها من مسالك التهوية إلا نافذة واحدة تطل على كريدور الفندق ، ومروحة منضدية صغيره ضجيجها يطغي اساءة على تحريك الهواء

في الغرفة ، وإنما فضلتها لأنها وفرت لي العزلة التي حرمت منها منذ غادرت  
بيت ( فراو كرميتر ) إثر سفرها الى طهران . وكان يشاركني في هذه الغرفة  
صديق من أهل أربيل اسمه (مجيد) وهو مريح العشرة، خفيف الروح وودود،  
وذلك ما كان يحفف عني وطأة جو هذه الغرفة الخانق . وكان في نطق هذا  
الصديق تمتمة تزيد كلما ركبته لاضطراب أو أي ضرب من الانفعال ، فضلاً  
عن لغته الكردية التي تنحسر في كلامه إذا تكلم بالعربية ، فإذا تلكأ لسانه  
بدت على وجهه انفعالات عضلية متضاربة وهو يحاول جاهداً اخراج كلماته  
من فيه ، وحين يقهر هذه الانفعالات ، يضحك من نفسه فأضحك معه دون  
وعي مني . ولما قرب اعلان نتائج الامتحانات النهائية بكلية الطب قال لي :  
— كمال أريد أن أكون أنا الذي يشارك بالنجاح ..

ونفض الى التلفون واستعلم من ادارة الكلية عن يوم نشر نتائج  
الامتحانات وسمع من قال له انها ستشتر بعد دقائق ، فذهب متعجلاً الى  
الكلية ليقرأ على لوحة الاعلانات أسماء الناجحين ، ومكثت أنا في غرفتي  
أنتظر مخارطة التفونية . وهذا الانتظار لا يماثل ما يسببه من القلق إلا  
انتظار الحكم في محكمة قضائية . وصرت أرهف سمعي كلما رن جرس  
تلفون الأوتيل . وأخيراً طرق سمعي من أجاب على التلفون :  
— دقيقة ..

ثم سمعته يطلبني بصوت عال :

— كمال يطلبونك على التلفون ..

فهرولت الى التلفون ، ووصلني صوت مجيد المتقطع :

— أنا مجيد

ونوقف لسانه ، وتصورته يحاول أقصى جهده ليقول لي شيئاً ، غير  
انه لم يستطع أن يقول ذلك الشيء بسبب تمتته في النطق . وبالرغم من  
أنني لم أتوقع أن ينقل إليّ خبراً سيئاً ، بل انه لا بد يريد أن يشرني

بنجاحي ، فأنني مع ذلك أردت أن أسمع منه ما يريد أن يقوله ، كما شعرت  
أن تسمعه ستتطول الى آخر عمري فلا أسمع منه البشري بنجاحي في الامتحان  
قبل ذلك . نعم لم يقل مجيد لي شيئاً . وسرعان ما انفجر ضاحكاً ، وهي  
المرحلة التي تنفك فيها عقدة لسانه ، وسمعته أخيراً يقول :  
— أهنتك يا كمال ..

واكتفيت بهذه الكلمة ، فما أعظمها وأطيب نفعها في أذني . وعدت الى  
غرفتي وارتديت ملابسني وتوجهت الى دائرة البريد لأبرق الى والدي عن  
نجاحي في الامتحان ..

ولم أرجع الى الفندق في ساعتها بل صارت في رجلي القوة والراحة  
والاطمئنان لأذهب الى الكلية لأقرأ اسمي بين أسماء الناجحين من أترابي ،  
وكان من بينهم محمد حسين كاظم ، وأكرم القيماتجي ، وأشرف محمود ،  
ومصطفى محمود ، وموسيس هاكويان ، وحسقل معلم ، وداوود كباي ،  
وأنور كباي ، ونجيب اليعقوبي . ولم أقرأ مع هؤلاء اسم صديقي كمال  
نورالدين مع انه بحق كان أذكى من كثير من نجحوا في هذا الامتحان ،  
وسوف أتطرق الى سبب رسوبه فيما يأتي ..

### حفلة التخرج / ١٩٣٨

حفلة التخرج في أبة مرحلة تعليمية تحطف مرة واحدة في العمر ، بينما  
كل ما يحدث للانسان يمر بعضه أو مثله مرات ومرات . ومن ذلك يحيى فرح  
المتخرج في هذا الحفل بما لا يوازيه فرح آخر من أمثاله ..

أقيمت حفلة التخرج في هذه السنة بحديقة الكلية اليسرى ، التي أقيم  
عليها بعد ذلك نادي ومطعم طلبة الكلية . وقد صفت كراسي شاذرة بعدد  
المتخرجين في جانب ، وأخرى صار يجلس عليها المدعوون من رجال الدولة  
ووجهاء بغداد وبعض منتسبي كليات بغداد الأخرى . ويتقدم كراسي هؤلاء  
عدد محدود من الكراسي لرجال لحكم من الوزراء والأعيان ، وكراسي خاص

ذو متكأ عال في وسط هذه الكراسي . وسرعان ما حضر نوري السعيد بسيارته السوداء رقم (٢٠) بغداد وهو يمسك بيده اليسرى سدارته ، وصافح رئيس مجلس الأعيان ( السيد محمد الصدر ) ، وجلس الى يساره وبينهما الكرسي الخاص المعدّ لجلالة الملك غازي . . . وانتبه المدعوون الى الطلاب المتخرجين يخرجون من باب كلية الطب وهم يرتدون الأرواب السود وتتدلى من خلفها الذؤابة الحمراء ، وأخذوا أمكنتهم على الكراسي المعدة لهم . وفور وصول الملك صدحت فرقة الجيش الموسيقية بالنحية العسكرية، وخطا الملك متوجهاً نحو الكرسي المعد له ، فقام له كل من نوري السعيد والسيد الصدر ومن كان من المدعوين الى هذا الحفل . وكان الملك يرتدي اللباس الغربي . ثم تقدم عميد الكلية الاستاذ سندرسن من جلالة الملك ورحب به باللغة الانكليزية وتلاه مدير الصحة العام الدكتور حنا خياط ، وبدأ هذا كلمته قائلاً :

— لسمح لي جلالة الملك . . . . .

وهي افتتاحية لم أسمعها ولا قرأها قبلاً ، فاستسفتها كثيراً . والدكتور خياط يجيد اللغة العربية العذبة ، وذو جرس رجولي نغم . واستعرض في كلمته تاريخ التعليم الطبي في العراق ، ومدارس تعليم هذه الصناعة فيه ، ثم تلى ذلك أداء القسم الطبي يردده المتخرجون وراء الدكتور صائب شوكت . وكان القسم هو نفسه الذي وضعه كبير أطباء اليونانيين أبقراط بتطوير أدخل فيه ( القسم باسم الله ) ( والاخلاص للملك والوطن ) . ثم نهض مفتش الصحة العام الدكتور ابراهيم عاكف الآلوسي ونادى على المتخرجين واحداً واحداً ليتسلموا من يد وزير الداخلية ( مصطفى العمري ) شهادة التخرج الموقعة من وزير الداخلية والدكتور سندرسن عميد كلية الطب العراقية .

كان حصل توزيع الشهادات مسبقاً وبهيجاً ، وقد بدت على وجه الدكتور  
سدرسن اربع علامات العبطة وهو يدبغ توزيع الشهادات . ثم سحب المذبح  
غاري الى سيارته اسواقعه اسبي دنت نصف على حافة حديفة الاحفال ،  
واحمطون يودعون بهتافات والنصيق .

### حفلة الخريج المخصوصية / ١٩١٨

امفنا نحن المخرجون ان نقيم حفلاً خاصاً بمناسبة تخرجنا في كلية  
الطب ، لنسكنم ما شئنا ان نتكلم في هذا الحفل ، وباعلى اصواتنا لعوض  
ما ماتنا من سنوات الصجر والكبت ، واداء الواجبات التي ارهقتنا ، والقيود  
الجامعية والنظم التي كانت تتحكم فينا باستبداد . وفكره إقامة هذا الحفل  
لم يكن لنا بل سبقنا اليها الدفعات الست الاولى من الطلاب . واستعرض  
فكره إقامة الحفلة في حدائق الكليه لما فعل من سبقونا ، فعارض أحدنا  
الفكرة قائلاً بتذمر :

— في الكلية أيضاً لا دخیل الله لا بالكلية . .

واقترح آخر ان يقيمها في بيت واحد منا . فقال ثاني :

— في هذا التزامات وتحفظ يتوجب علينا مراعاتها .

واقترح نجيب اليعقوبي ان يقيمها في بيته بالوزيرية . وقال أحدنا خير  
البر عاجله ، فجمعنا من جيوبنا ما يكفي لإقامة الحفلة ، فكان منها تسعة  
دنانير . ووزعنا العمل في ما بيننا ، فأسرع محمد حسن كاظم وقال : أنا أعمل  
أي شيء إلا شراء الكحوليات . وصار علي أن أشتري اككرزات ، وعنى  
موسيس شراء البيرة ، وعنى نجيب اليعقوبي شراء السمك ، وعلى أكرم  
القيماقي شراء الحلويات والمأكلة . وأدير الكؤوس ، وادنا نحن نتكلم  
بجذل وجبور ، مفليدين ما يهبعه الرجال في المقاهي والمدق . وتعارعنا  
الكؤوس كما يفعلون . قال أكرم الميماقي وهو يرفع كأساً فارغة :

— صحتكم . .

وقال أشرف محمود :

— هذا زغل مو مقبول •

وأسكرته موسيس وهو يرفع كأسه بيده ويقول :

— تو شجان ••

ونضحك وفي أفواهنا قطعه من ورق الخس ، أو فلقه فستق •

ولم أكن الى ذلك اليوم قد دفت أي مشروب كحولي ، فأرغمني هؤلاء  
الأصدقاء على تناول جرعة من البيرة ، فلم أستسغها لما فيها من مرارة ،  
وتعضنت عضلات وجهي تقزراً منها •• فقال أكرم متهمكاً :

— يابه كمال ، على كيفك ، خلّصت بطل البيرة !

ولم أكن قد شربت منها إلا أقل من القليل ، فقال موسيس موجهاً  
كلامه لأكرم :

— انت يا هو مالك ، هو يريد يسكر ، بفوسه لو لا ؟!

وتناولت جرعة ثانية من البيرة ، وفي الجرعة الثالثة صرت أشعر بشيء ،  
لا أستطيع وصفه ، غير أنني تساءلت حالاً مع نفسي قائلاً : هذه هي البيرة  
فكيف بالمرق الذي يشربه موسيس ؟ وكنت أعتقد ، دون تجربة ، ان المرق  
أقواها ، ومن أراهم يتمايلون في ظلمات الأزقة لا بد قد أثلمهم المرق  
لا غيره ، فيتجنبهم المارة حين يشاهدونهم يضربون بكثافتهم الجدران يمنة  
ويسرة • وقال أحداً أريد ان أسكر هذه الليلة ، فنذكرت تلك القصة من  
السكراري • أما محمد حسين كاظم فقال له :

— انت سكرت وما تدري بنفسك ••

فرد عليه :

— شنو يعني سكرت ؟ فأنا لست سكراناً ، وأعرفكم واحد واحد !

وقال موسيس :

— أسأذتنا كلهم يشربون ( حليب السباع ) ، ويسكرون ••

- فقال له أكرم :
- بين أنت قديم بالهمة ..
- فقال أشرف :
- حتى ( السيد ) منهم ..
- وسأله أكرم :
- من هو السيد ؟
- أنت تعرفه ..
- ما أعرفه ..
- من أقاربك شلون ما تعرفه ؟
- وأراد أكرم أن يحول الحديث الى موضوع آخر فالتفت الى محمد حسين كاظم وقال :
- سوّيها مفاجأه واشرب ، حتى نقول التلميذ على سر أستاذه !!
- فرفع محمد حسين كأساً فارغة وقال :
- نخب السادة
- فقال له أكرم :
- تقشمرنا مثلاً قشمر السيد المريّة ا
- فقال موسى :
- شنو موضوع السيد والمريّة ، خلونا نسمعها ..
- فقال أكرم :
- أنا سمعتها من كمال (نورالدين)
- فقال موسى : هذه إذن ملفقة ، طيب نسمعها ..
- فقال أشرف :
- أقولها باختصار كما سمعتها من كمال :
- لا قلها بتفصيل مع الملح والملافل ..

- قال أشرف :
- دق جرس باب بيت السيد
- فأله موسى :
- من هو السيد ؟
- هو الذي يشرب حليب السباع !!
- واستمر أشرف يقول :
- منو بالباب ؟
- فأجابته امرأة تلبس عباءة سوداء :
- عمي الدكتور ... آني فطومة
- انتِ منو ؟
- آني ما عرفتني ؟ البارحة شفتني ، آني فطومة
- شتردين ؟
- أريد أسألك ..
- لمن تردين تسألين ؟
- أريد أسألك ، انتِ مو الدكتور ...
- وكان الدكتور يرتدي الفانيلا واللباس الطويل أبو (البزمة) فقال لها :
- الدكتور طلع ..
- عمي انتِ الدكتور !
- انتِ غلطانة يا أمي ، الدكتور طلع من البيت ..
- فقال جوزيف (خدوري) :
- لا تگولون ، الدكتور سكران ، لأن السيد لا يسكر ..
- وملا أكرم كأساً من البيرة وقدمها لي وهو يقول :
- اشرب يا كمال ، أنتِ مو سيد ..
- وتذوقت ما في الكأس فاذا هي مرة أيضاً ، فهضمت الجرعة على مضض ،



- وآردت أن أداري موقفى فسألت :
- أريد أن أعرف ماذا حلّ بالمرأة وطيبها السيد ؟
- فقال لي جوزيف :
- أنت لا تفكر إلا بالمرأة ..
- وقال موسىس :
- يا معود ، المرأة عجوز ..
- والسيد قابل أصغر منها ؟
- فقال مصطفى محمود :
- السيد نفسه طريّة ..
- وقال أكرم :
- كل من يذهب الى طبيب فهو عجوز ، وأردف يقول :
- إذا ذهب العمر ذهبت معه العافية •
- هذا كلام السيد الطبيب ، لا من عنديّاتي ..
- وانتهى مجلسنا ولا يعرف أحد منا كيف انتهى إلا محمد حسين كاظم ،
- إذ انه لم يذق البيرة في تلك الليلة •

× × ×

معييب في التدريب بالمستشفى الملكي  
ومصيهم في شعبه الولادة والأمراض النسائية

التدريب في المستشفى الملكي/ ١٩٣٨

صدر أمر من العمادة بتوزيع العشرة الأوائل من خريجي كلية الطب وعددهم ثمانية عشر على وحدات المستشفى الملكي فكان عليّ بموجب ذلك الأمر أن ألتحق بوحدة الجراحة الأولى برئاسة الأستاذ إبراهيم ، وبعد ثلاثة أشهر تسلمت أمراً بالالتحاق بالوحدة الجراحية الثالثة برئاسة الدكتور شاكر السويدي . وكنت وأنا طالب أمل إلى الاختصاص بـ (الباثولوجي) ، وقد يكون ذلك لنظرتي باعجاب لرئيس هذا الاختصاص الأستاذ من الذي كنت حين أراه منكبا على الكرسي لمحض شريحة نسيجية لمعرفة علة المريض الذي أخذت منه الشريحة ، أراه حينذاك كأنه يشرف باتقان وتدقيق على الأمراض جميعاً . غير أبي سرعان ما أبدلت رأبي في اختيار هذا الاختصاص ، وفضلت أن ألتحق بإحدى الوحدات الجراحية إلا الوحدة الجراحية الثالثة ، ومكثت لسوء حظي ستة أشهر بهذه الوحدة فبدد لي سنين لا آخر لها ، لما شاهدت فيها من المخالفات العلمية في علاج المرضى . ولم تكن لي حاجة إلى من يدلني على تلك المخالفات فقد كانت واضحة بالرغم من قلة خبرتي بموضوعها . ورأيت أن لا سبيل لي للتخلص من هذه الوحدة إلا التوسّل بعميد الكلية الدكتور صائب شوكت لمساعدتي على ما أرجوه ، فقصدت مكتبه الملاصق لصالة العمليات ، وعرضت عليه شكواي من الوحدة التي أعمل فيها ، ورجوته

ن يقضي الى وحدة اخرى في المستشفى . وادا صعب ذلك ان يساعدني في  
النوراره سيهدي الى احد مراكز الاوليه . وبدا لي ان الدكتور صائب قد  
فهم حس بني ، واني وراء النعم والاستفاده من خبرات اساتذه المستشفى ،  
كما بدا الدكتور صائب في سب اللحظ يبغي مساعدتي فقال لي :

— لا يدك ، ستبقى في المستشفى الملكي . واضاف : سأفكر في إيجاد  
حل يرضيك ، فشكرته بتكرار ، وعادرت غرفته وأنا في عاية السرور  
بأمل التخلص من الوحدة الجراحية الثالثة .

وفي صباح اليوم التالي ، جاء (ايوب) فراش الدكتور صائب الى عرفني  
في الوحدة الجراحية الثالثة وقال لي :

— اليك يريديك ..

واليك هو الدكتور صائب ، وكذلك كن يذكره بهذا الاسم أكثر  
منتسبي المستشفى الملكي ، فهرعت بسرور الى مقبلته ، وأنا أعرف مقدماً  
ان طلبه يحص نقلي من الوحدة الجراحية اسالته . وكان حين دخلت غرفته  
يملا الكرسي الدوار وراء المضدة الواسعه وهو يحدث مع الدكتور  
صبيح الوهبي ويقف على مهربة منه الدكتور شاكر السويدي ، فقطع حديثه  
مع الدكتور الوهبي وبادرني يقول :

— كمال إسمعني ، الدكتور كندي يريديك في شعيتة بقسم النسائيات .  
وكان ذلك مفاجأة لي لم أوقعها ، والتفت الدكتور صائب الى الدكتور  
شاكر السويدي وقال له :

— عندك مانع لو نقلنا كمال الى الشعبة النسائية ؟

وكان جواب الدكتور السويدي سمجاً جافاً إذ قال :

— لا فرق عندي ، أن يبقى هو أو من يحل محله ..

ولم أعلم من أين أتتني الجرأة ، فقلت له :

— وأنا غير راغب في البقاء بالوحدة الجراحية الثالثة ..

### فكان الدكتور صائب :

— إذن حنت مشكله ، كسب ينص الي وحده الاسناد كندي .  
ولم اكن يومئذ اميل الى التخصص بموضوع النسائيات ، ولكن  
لأغراض على فرار الدكتور صائب ليس من صالحي . فعادرت غرفته وأنا  
شعر بي بم احصل على ما يرضيني من هذه امهاته . وركبني القلق ،  
وصرت أفتب الأمر على جميع وجوهه ، حتى استقر رأيي أن أعود الى مقابلة  
الدكتور صائب مرة اخرى . وفي غرفته كان لي بعد ان شرحت له عدم  
ميلي للعمل في الأمراض النسائية :

— إسمع كلامي يا ابني كسب ، فانا أريدك ان تتحق بلوحدة النسائية،  
فانا أخطط لتكون جميع الوحدات في مستقبل برناسة أطباء عراقيين ،  
ويوما سيعادر كندي العراق ، ويحل محله انكليزي آخر أيضاً ، ووحدة  
النسائيات تبقى لتتربسها أنت في يوم ليس بعيداً ، فضلاً عن ذلك فان  
الدكتور كندي قد طببك بنفسه ، فهو صاحب المبادرة لنقلك الى هذه  
الوحدة لا أنا ، وهذا امتياز لك ومنفعة ، فقد رفض قبول فلان وفلان  
من أفراك ، وفضل أن تكون أنت لا غيرك في وحدته . وهو يعتقد  
أن الطبيين اللذين في وحدته الآن لا تقع يرجى منها في المستقبل ..  
وأردت ان اقول للدكتور صائب ( ولكنني يا استادي لا أميل الى  
موضوع النسائيات وأفضل عيه الجراحة ) ولكنني لم أفل له ذلك بعد أن  
لمست منه على حين غرة عطفاً أبويّاً من الجحود أن أتجاهله . وكان صائب  
قد قرأ فكري فعاجلني يقول :

— ان اختصاص النسائيات (جراحي) وسيعجبك وتجه بوقت قصير ،  
خصوصاً بعد أن صارت لك معلومات أولية في الطب الجراحي بشكل عام .  
ومدّ يده الضخمة الى التلفون وطلب الأستاذ كندي وخاطبه يقول :  
— أستاذ كندي ، كمال في غرفتي وسيجيئك بعد قليل، وأرجو أن يرضيك .

وتهيأت تخادع لأغادر غرفة الدكتور صائب لأقابل كندي ، ولم أكن أعرف كندي إلا بقدر ما يعرفه أي طالب عن أستاذه الذي لا يراه إلا في ساعات الدروس . وكندي مطوّر على نفسه أكثر من غيره من الأساتذة الانكليز .

كانت غرفة الدكتور كندي على يسار مدخل الردهة العاشرة (الولادية) . ونقرت على بابها مرة ثم مرة أخرى ، فسم أسمع رداً من داخلها ، ففتحته بحذر ، فلم يكن فيها أحد . ورأيت هذه الغرفة صغيرة جداً ، وليس فيها إلا طاولة للكتابة ضاغت من صغر الغرفة ، وكُرسي واحد بمتكأ وآخر صغير بلا متكأ ، وقفص من الحديد في الركن الأيسر من الغرفة ، ودققت النظر الى ما في داخله فاذا فيه أرنب كبير الحجم ، أبيض اللون ، ولما استدرت لأغادر الغرفة ، رأيت الدكتور كندي أمامي وجهاً لوجه . ولم يطل النظر إليّ حتى سألني مستفهماً :

- سامرائي ؟
- نعم يا سيدي ، أنا كمال السامرائي .
- انتظري في الردهة .

ولم أسمع منه كلمة أخرى ، فقد كان الموضوع مفهوماً لكلينا . وبعد دقائق وأنا أقف متكئاً على الطاولة الطويلة التي في وسط الردهة ، دخل الأستاذ كندي ومن ورائه رئيسة الممرضات ( زريفة ميخائيل ) ثم كل من الدكتور فؤاد مراد الشيخ والدكتور إسكندر برهاد . وقد عرفت اسمي هذين الطبيين حين قدمني إليهما الأستاذ كندي قائلاً :

- سامرائي سيعمل معكما في هذه الردهة .
- والتفت إليّ وقال :

— الدكتور مراد الشيخ والدكتور برهاد ، هما المعاوانان في هذه الردهة ،

## ورؤية رئيسة الممرضات ..

وداهمني في اللحظة شعور أن هذين الطبيب وكذلك رئيسة الممرضات لم يرحبا بصدق في انضمامي إليهم ، فقد كانت نظراتهم لي وشفاهم التي تحركت برد التحية باردة بوضوح ضاق لها صدري ودفعتني الى أن أعيد التفكير في إيجاد طريقة للالتحاق بشعبة أخرى من شعب المستشفى ؛ وقررت حلاً الذهاب الى الأستاذ ملز ليطبني الى شعبة الباثولوجي التي كنت منذ باكورة معرفتي بالطب السريري أمل إليها ، وأتسى لو أختص بها . والتفت إليّ الأستاذ كندي وأنا في غمرة أفكاره وقال لي بتحب :

— سامرائي ، إرجع دوماً الى كتاب ( إيدر وهولاند ) واقرأ فيه عما تراه من الحالات المرضية في الردهة ، ولا تجزع من إعادة قراءة الموضوع نفسه حين تتكرر مثل تلك الحالات ، فترى في كل مرة تقرأها أنك تقف على أشياء جديدة من المعرفة بهذا الاختصاص . واستطرد يسألني :

— هل عندك هذا الكتاب ؟ إحصل عليه من مكتبة الكلية ..

لقد غيرت هذه الالتفاتة من أستاذي كندي ونصيحته في متابعة الحالات المرضية والقراءة عنها موقفي الذي كان قلقاً قبل لحظات ، ورأيت فيه المعلم الذي يمكن أن أستفيد منه ، ولا ييخل عليّ من علمه .

وانتهى لقائي بالأستاذ كندي في ذلك اليوم بانتهاء مروره على مرضى الردهة ، واحدة بعد الأخرى ، وكن كندي يملئ تعليماته في علاج المريضات على رئيسة الممرضات زريفة باللغة الفرنسية ولا يكلم معاونيه إلا أقل من القليل ، وهذا ما جعلني أستغرب منه أشد الاستغراب ؛ ثم علمت انه لا يعتمد عليهم في تطبيق توصياته للمرضى . ولما انتهينا من المرور على المرضى أشار إليّ كندي وهو يغادر الردهة الى غرفته أن أتبعه ، وفيها وقت أمامه بحترام ووجل . وقال لي :

— اقعد !

وجست على الكرسي الصغير الوحيد في الغرفة ، ودار هو حول  
مدونه الوسيعة ليجلس على الكرسي الذي خلفها وسألني :

— هل تحب موضوع النسائيات ؟

فأجبت باقتضاب :

— لم أعمل به قبلاً •

فقال لي :

— سوف تجده ممتعاً • وأنا أعرفك طالباً مجداً ، وأتوسم فيك قابلية أن  
تكون يوماً ذا شأن بهذا الموضوع ، ولهذا طلبتك بالذات من الدكتور  
صائب دون الآخرين من أترابك •

— شكراً يا سيدي الأستاذ •

وعاد كنتدي ينصحني أن أقرأ في كتاب ( إيدن أند هولاند ) في كل  
ليلة عن الحالات التي أمارسها أو أشاهدها أثناء النهار ، أقرأ هذا الكتاب  
كطالب وممارس ، ولا تتردد أن تسألني عما تراه فيه غير متطابق واقعياً أو  
عملياً مع الحالات السريرية • ثم أنت سوف تساعدني في العمليات التي أراها  
تفيدك المساعدة بها ، كما سأعلمك طريقة فحص الأبوال عن الحبل •

لقد كانت هذه الوعود قد أمانتني فحو التخصص بهذا الموضوع ، بل  
كانها قد حملتني الى مرحلة متقدمة فيه •

### الردهتان العاشرة والحادية عشرة

الردهة العاشرة مخصصة لحالات الولاده ، والردهة الحادية عشرة  
للامراض النسائية ، وأي من هتين الردهتين انموذج لردهات المستشفى  
الملكي الأخرى : طول كل واحدة منها عشرون متراً وعرضها تسعة أمتار ،  
ويزيد علو سقفها على أربعة أمتار ونصف المتر ، وعلى جانب كل منها طولاً  
ست نوافذ عالية ما بين سقف الردهة وأرضها • ومدخل الردهة العاشرة  
ينفتح الى ممر ( كريدور ) تنفذ إليه جميع أبواب الردهات التسع الأخرى •

وباب المدخل الذي ذكرته علم ، أما نهاية الردهة العاشرة فتنفذ من جانبها الأيمن الى ممر ضيق ينحدر بليونة ثم يستوي ليصل الى مدخل الردهة الحادية عشرة . وعلى الجانب الأيمن من هذا الممر مطبخ صغير لتوزيع الطعام الذي يجلب من مطبخ المستشفى العمومي ليدفئ فيه قبل توزيعه على المرضى ، أما جانب الممر الأيسر فمخصص للمرافق الصحية .

وفي كل من الردهتين صفان من أسرّة المرضى مجبوع كل منهما أربعة وثلاثين سريراً . وتتقارب هذه الأسرة فيما بينها لتستطيع المريضة وهي مضطجعة في سريرها أن تصافح المريض اللين على جانبي سريرها ، أو لتناولها المروحة اليدوية المصنوعة من خوص النخيل ليتناوبن على استعمالها في تحريك الهواء على وجوههن المنضوحة بالعرق في فصل الصيف . أما المروحتان السفيتان فلا يدل على وجودهما إلا الصجيج الذي تفعله أجنحتهما التي تدور بسرعة أجنحة طيور الدراج التي تمزعها الطلقات النارية .



ولهايتين الردهتين تاريخ حافل ، فهما بداية تأسيس كلية الطب العراقية . فقد كانتا في أول أمرهما مخصصتين للمرضى من نساء الانكليز المجندات حين دخلت القوات البريطانية الى العراق سنة ١٩١٧ بقيادة الجنرال مود . أما ردهات المستشفى الأخرى فكانت لقوات الاحتلال من الرجال ، جنوداً وضباطاً . وكان على الجانب الثاني من شاطئ دجلة مستشفى آخر أسسه الوالي مدحت پاشا باسم مستشفى الغرباء ، فتولاه الانكليز وخصصوه للأمراض النسائية والتوليد برئاسة الجراح ليونيل ابراهام ومعاونه الطبيب اليهودي الركي ساموئيل أداتو . كما كان على الطريق الترابي الذي يمتد من بغداد الى الأغلبية مستشفى آخر باسم المستشفى العمومي الجديد (NGH) خصصه الانكليز لمرضى القوات الهدية ولأهالي بغداد . وكان يعمل في هذا المستشفى الدكتور دنلوب والدكتور صائب شوكت إثر



عودته من استانبول • وفي سنة ١٩٢٠ نقل الانكليز مرضاهم من المستشفى رقم (٥٣) الذي هو مستشفى المجيدية بعد ذلك ، الى منطقة الهندي ، حينذاك نقلت أسرة مستشفى الغرباء وأسرة المستشفى العمومي الجديد الى بناية مستشفى رقم (٥٣) باسم مستشفى المجيدية نسبة الى السلطان عبدالمجيد ، وفيه خصصت الردهة رقم (١٠) للحالات الولادية والردهة رقم (١١) للأمراض النسائية • وحين صدرت الارادة الملكية سنة ١٩٢٧ بتأسيس الكلية الطبية لم تكن لهذه الكلية يومئذ بناية لتقام فيها ، فاستعمل عميد الكلية الدكتور سندر سن الردهة العاشرة لادارة الكلية ولتعليم التشريح ، واستعملت الردهة الحادية عشرة لدروس الفيزياء والكيمياء ، وبقيتا كذلك سنتين ثم انتقلت الكلية الى بنايتها الحديثة •



ولم يكن اقبال النساء على دخول الردهتين عند تأسيسها كبيراً ، وطل المتعقد عندهن أن المستشفى للموتى لا للأحياء ، وشيئاً فشيئاً ازداد اقبالهن على دخول الردهتين بحسب أمراضهن ، فاذا جئت الى الردهة العاشرة في الصباح ، وهي الردهة المخصصة للحالات الولادية أرى صفّاً من النساء الفقيرات وهن يسندن ظهورهن الى جدار الردهة أو يقعدن في الظل في انتظار دخولهن الى الردهة لزيارة قريباتهن فيها ، وتهض واحدة من هؤلاء وتساألني :

— عمي أصير لك قربان ، شلون فطيم ؟

وأنا لا أعرف من تكون فطيم ، فأقول لها :

— هي أحسن •

فتربص تلك المرأة الساذجة بذهب الى النساء بدعو لي بالسر

والعافية والبخت •

ولا أذكر أنني أهملت منابحه هوية من هي بهذا الاسم في ارددها •

حديث الثمانين - ٢٢٥

فأسال وأنا أقف وسط الردهة :

— من هي فطيم ؟

يجيئني الجواب من مريضتين فأقول لهن دون تخصيص :

— أممكن تسأل عنكما • والأمهات هن اللاتي يتابعن ذويهن من النساء اللاتي يدخلن المستشفى ، لا الرجال •

### صلات العمليات بالمستشفى الملكي

كانت هذه الصلات عامة للعمليات الجراحية والعمليات النسائية والعمليات الولادية • وتقع جميعها كما ذكرت آنفاً في محسّع بين الردهة الرابعة والخامسة ، وتكون هذا المجمع من فاعتين للعمليات الكبرى ، وقاعة ثلاثة صغيرة للعمليات غير الظيمة • وحين دخلت الصالة لأول مرة مع الأستاذ كندي لم أكن أعرف يومئذ كيف أنصرف في هذه الدائرة • ورأيت أن أتابع ما فعله كندي لأفعل ما يفعله • وبدخلت رئيسة المرضات وصلت ممي أن أحطع حدائي وألبس الحذاء المطاطي الأبيض دي العنق الطويل ، وألبس فوقه جورباً فضفاضاً من القماش السبك الأبيض اللون زيادة في الحفظ من الأوساخ التي علفت بالحذاء المطاطي • وكان عرباً عليّ حين رأيت رئيسة المرضات في هذه الدائرة ( مس ويد ) تشي ركبتهما على الأرض وترفع ندمي لتدنعهما بيديها في الجوربين ، وهي نسألني :

— هل تعرف لماذا كل هذه الاحتياطات ؟

فأجبتها بسذاجة الجاهل :

— لكي أبعد ملابسي من دم الجروح •

فقلت تصحح جوابي :

— بل لكي نحافظ على نظافة الجروح ونسنع تلوثها بحذاءك وثيابك •

ورئيسة الصالة مس ويد انكليزية في العقد الرابع من عمرها ، إلا أنها تبدو أصغر من ذلك بكثير • وهي سريعة الحركة بحبور ونشاط وكان في

مفاصلها نوابض ، كما كانت صارمة مع كادر الصالة من المعقّمين والخُدم والمرضات الساعدات . كذلك كانت صارمة مع الجراحين الذين لا يلتزمون بأوقات بدّئهم في العمليات ، فكانت مس ويد تريد أن يكون كل شيء كما يجب أن يكون بالكمال والتمام . وكانت أيضاً تحتاط لوصول قفازات العمليات الى القطر في الوقت المعين ، فدرّبت مرضات الصالة الساعدات على ترقيع القفازات المتمزقة واعادتها صالحة للاستعمال الى حين وصول شحنة جديدة من القفازات . وكان على الجراح أن يغسل يديه بالصابون ولا ثم بالمرشة والصابون أكثر من بشع دقائق ، ثم يحس يديه في محلول السليمانى المعد دوماً في بزن مكانها عند مدخل قاعة العمليات . فإذا أكمل الجراح هذه الإجراءات تكون مس ويد حينئذ على استعداد لترمي على يد الجراح منشفة صغيرة ليحفظ بها يده الرطبة . ثم يرفع درورة الكحول الموجودة دوماً عند مدخل هذه القاعة ، فنصب دسراً من الكحول على يديه ، وبعد ذلك تقف مستعدة لتربط حزام رداء العمليات الأخضر الذي يرتديه الجراح . وإذا انتهى الجراح من العملية تعد الى أخواص عرفة غسل اليدين . فيغسل يديه وهي ما تزال مكسوة بالقفازات المانطة ليزيل عنها الدم المتخثر نسيها . وأذكر أنني في أول يوم كنت أساعد فيه الأستاذ كندي ، خلعت القفازات دون أن أغسلها ورميتها في حوض الماء ، ثم غسلت يدي ، وإذا بس ويد تقول لي بقدر من السخط :

— ان القفازات يجب أن تنسل قبل أن تخلص من اليدين يا بني ، فقلت لها «عتداد الجاهل :

— «غسلها مغسل القاعة بعد ذلك يا مس ويد ..

فقلت لي :

.. ان ذلك من واجب الجراح ، وان اسنادك وغيره من الجراحين يغسلونها وهي تكسر أيديهم . أت في الجراحة يا بس ما زلت في بيضة لم

تفقس بعد ، وتحتاج الى توجيه وتعليم •  
 فعددت ذلك إهانة لي ، فأدبرت ظهري إليها وخرجت بامتعاض من  
 غرفة أحواض غسل اليدين • ولحقت بي لتقول :  
 — صبراً ، إذا أنت لا تريد أن تتعلم فلا فائدة لك من دخول هذه الصالة •  
 وفي اليوم التالي عدت إليها واعتذرت بعد أن اقتنعت بصواب نصيحتهما  
 وحسن نيتها معي ، فقالت لي ببساطة :  
 — هذا حسن ، وأفضل لك يا بني ، وابتسمت ••

وكان ذلك علامة العفو والرضا • وصرنا بعد ذلك على وفاق وتفاهم ،  
 وكسبت منها كثيراً من العلم في العمليات الجراحية • ولما غادرت مس ويد  
 العراق الى وطنها بلندن بعد انتهاء عقدها مع مديرية الصحة العامة ، كرّمها  
 جراحو المستشفى بحفلة شاي في حدائق المستشفى تكلم فيها الأستاذ صائب  
 شوكت مشيراً الى حسن تصرفها في صالة العمليات ومع الجراحين وطلاب  
 الكلية • ثم قدم لها هدية رمزية من صنع الصابئة في بغداد • وردّت مس  
 ويد على كلمته قائلة :

— لا أظنني سأنسى الأيام الهنيئة التي خدمت فيها بهذا المستشفى ، وتلك  
 كانت من واجبي ولا فضل لي في ما عملت ، وتأكدوا أن ليس في ذاكرتي  
 عنكم وعن بغداد إلا الجيد وغير البغيض •  
 لقد كانت مس ويد بهذه الكلمة المختصرة عذبة الروح حتى بدت لـ  
 أصغر عمراً وأجمل خلقة •

غادرت مس ويد بغداد في صيف سنة ١٩٣٩ فخلعتها مساعدتها الآنسة  
 ( ماركرت حيسى ) • وكانت هذه يوم رأيتهما في صالة العمليات لأول مرة  
 • ربي مصنف العقد الثالث • معتدة الطول • عسلية البشرة ، وبعيين  
 • داوس ذات طراش ليه محببه • ولدت من السريص والقبالة في  
 • دارين الهند ومنشعباتها • فتقامها اندزته ويجد الكلام بلغها منسا

جيداً أمهات هذه اللعبة ، فضلاً عن سمو أخلاقها وأدبها الجَم مع الصغير والكبير في صالته عليات المستشفى بها فيها من ممرضات وممرضين وخدم .  
وبت الاحت مركيت عزباء على طول معرفتي بها وهي في عموان شبابها  
الرياض بالجمال .

### مريضات ردهة الولادة والتوليد

كان حين التحقت بردهة الولادة ، أكثر من يدخل ردهة الولادة ، ممن  
يجئن من بيوتهن وهن بحالة مخاض ، وقد لا يدخل بعضهن إلا بعد ساعات  
أو يوم أو يومين من بدء المخاض ، وهذا توقيت يعرض المساحض قبل  
وصولها الى المستشفى الى مداخلات القوايل فيلات الخبرة أو من لا ينظرون  
الى النظافة إلا بوصفها نوعاً من الترف الذي لا ضروره له فتصاب المساحض  
بمضاعفات لا يسهل علاجها ، وقد لا تصل الى المستشفى إلا وهي في رمقها  
الأخير ، والنتيجة الحتمية المؤسفة معروفة .

ولا تذهب المساحض الى المستشفى إلا ومعها سرب من النساء الأقارب  
والجيران بالرغم من أن جميعهن يعرفن مقدماً ان لا احتمال للدخول أكثر من  
واحدة منهن الى غرفه التوليد ، أما الجمع الاخر فيبقى خارج الردهة حتى  
في أيام الصيف الحارة ، أو أيام الشتاء المظرة ، وعلى وجوه أكثرهن كل  
علامات التشاؤم بما في ذلك احتمال إعادة المخاض الى بيتها جثة بلا حياة .  
والمخاض حين يشتد تطلقها تستسلم بلا حدود لفابتها أو طبيبها المولد  
دون تردد أو حياء بدرجة يدعو الى التعجب ، فتكشف عما يتطلبه الفحص  
أو العلاج عن كل جزء من بدنها ، وتستنجد المسلمة حين يتعاقم الطلق  
بساطمة الزهراء ، والمسيحية بمريم العذراء ، أما اليهودية فودع أمرها لنفابة  
أو الطبيب المولد فتكرر عبارة ( افدالك يا جدة ، أو افدالك يا دكتور ) وإذا  
ولد جنينها سرعان ما ترفع الأم رأسها عن الوسادة لترى وليدها وكأنها لم  
تكن هي نفسها قبل لحظات يائسة من هذه النتيجة ، وتهدأ باطمئنان وسرعة

كما تتوقف بعض الزواج الهوائية بسرعة مذهشة . وسأل "أم حيدرة" :  
— ولد؟ بنية؟

ثم تسأل القابلة :

— أنا لا أسمع صوته؟

ثم تقول :

— جدّة، أرجوك غطيه لئلا يبرد .

ثم تسألها :

— طلعت الجارة؟

ثم تعود بعد قليل هذه الماخض الى طبيعتها الانسانية فتتنبأ بنجاح  
من القابلة أن ترى طفلها . ثم سد يديها الى دثارها لتعني به بنفها وتخدير  
استحياء ممن في غرفة الولادة حتى لو كن من بنت جنسها من الأهل  
والأقارب .

وأوجاع المخاض مؤلمة حتى صار تعبير طلق المخاض والألم مترادفان  
وهو سبب اندفاع الجنين وولادته . وسرعه الولادة في كثير من الحالات  
تعتمد على شدة الألم (الطلق) .

وقد تنتهز القابلة أو الطبيب المولد فرصة الألم الشديد فتقطع العجز  
من أحد جانبيه لتوسع مخرج المهبل إذا اقتضى هذا الأمر فلا تحس النساء  
بالقطع كما تحسه في حالات ما بين الطلق، بينما خياطة جرح العجان دون مخدر  
يسبب لها آلاماً لا تحتملها . وكان بعض المولدين يوم التحقت بهذه الردهة  
يمارسون عملية التوليد بالملقط دون تخدير الماخض، وخصوصاً حين لا يتوفر  
وجود مخدر إبان ضرورة التوليد، وحجة من يعمل ذلك ( وكان أستاذي  
الدكتور حيقاري يمارسه في بيوت المرضى وفي الردهة العاشرة ) أن آلام  
الطلق عادة أشد من آلام تطبيق عملية الملقط دون مخدر . أما الدكتور  
كندي فكان يتحاشى هذه العملية دون تخدير .

## مذكر الوحدة النسائية

حين التحقت بهذه الوحدة كان فيها فضلاً عن رئيسها الأستاذ كندي صيبن هما الدكتور فؤاد مراد الشيخ والدكتور اسكندر باب برهاد . وبعد نحو شهر صار الدكتور أحمد كمال عارف ثالث لأطباء في هذه الوحدة ، غير انه انقطع بعد أشهر قليلة عن الدوام فيها ولم أره بعد ذلك إلا في وظائف إدارية في دوائر الصحة . وعند انتهاء فصل الصيف دخل الردهة العاشرة بإعداد الدكتور ( جورج حيقاري ) الذي كان قد عاد توا من عطلة الصيف التي أمضاها في فرنسا . والدكتور فؤاد مراد الشيخ من مجموعة الأطباء الذين كانوا أول دفعة تخرجت في كلية الطب العراقية سنة ١٩٣٣ . أما الدكتور اسكندر برهاد فكان يسبقني في التخرج بهذه الكلية بسنة واحدة ، وهو ابن طبيب أنثوري مشهور في مدينة الموصل . والدكتور اسكندر يتقن اللغة الانكليزية ويتعثر بنطق العبارات العربية .

والدكتور جورج أول طبيب نسائي عراقي في المستشفى الملكي ، غير أنه لم يلتحق بالملاك التدريسي في الكلية ، وشعبته بين القوابل أكثر من مركزه الحكومي ، وهو من أهل (سمرق) بشمال العراق ومن عائلة دينية ، وثقافته فرنسية ، ويستحق أن نتكلم عنه أكثر مما فنائه عن الطبيين الآخرين . فهو قصير القامة ، وردي البشرة ، أحمر الشعر أو أقرب إلى الحمرة . وكان حين رأيت أول مرة بعمر قدرته نحو الخمسين سنة . وطريقته في فحص المريضات وعلاجهن تختلف عن طريقة كندي ، وربما لا يرضى عنها . وأذكر جيداً انه ذات يوم فيما كان الدكتور حيقاري يفحص ماخضاً تمزق جيب المياه بأصابعه ، واستشاط كندي حين علم ذلك ، إذ كان يوصينا حين تفحص الماخض أن نتعد عن تمزيق جيب المياه بوصفه أفضل موسّع لعنق الرحم . وهذا هو مبدأ انكليزي كنا نقرؤه في كل المؤلفات الانكليزية . وإذا أن حيقاري لم يمزق جيب المياه متعمداً كطريقة علاجية حين تطول ساعات الطلق،

فقد جاء مزق جيب امياه حدة رجب به الدنور حيقاري او في الاول اسم  
يهم له . وهذا عكس موقف رئيس الوحدة لذي . ام ايوم فها مريه  
معرف بجداها في اسرع الولاده حين يكون راس الجن محضرا في  
مدخل لحوس . لما كان الدنور حيقاري حريصا على تسجيل جميع  
الحالات الولاديه اسي يدخل اردهه في دفتر واسع ، ويشير احياء الى هذا  
الدفتر بانه ( الكنز السمين ) في تاريخ احداث الولاديه في اسنشمي اسلي .  
ولدت عمليات الدنور حيقاري لولاديه في الحالات العسره معه ،  
وقد يكون يده الصغيرتان عامل في نجاح مداحلله اليدويه . وفي السنوات  
الاحيره التي سبقت إحسنه على الساعد اسعل بهمه متواصله في وضع كتاب  
بالله العربيه في فن التوليد بعنوان ( ايف الموند ) ، وصدر هذا الكتاب  
سنه ١٩٦٢ ، ولغته الانشايه سليمه ، وقد تقدر بمستوى عال ، غير ان هذا  
الكتاب لم يس رواجاً بين طلبة الكليه او الابائيه بسبب لغته العربيه التي  
لم تكن يومئذيه التدريس في ليله اصب بالرغم مما فيه من معومات  
نظيقية ذات اهمية عالية .

ومما يذكر للدكتور حيقاري بالتدء واسمدير تحريه عن ما كان يسمى  
( ماثوليان بوش ) اي النطخه المنقوليه ، وهي اللون الأسود الباهت الذي  
يرى قريبا من عجز الوليد . وفي احصائيات الدنور حيقاري عن هذه العلامه  
في الاطفال العراقيين انه وجدده في اكثر من ربع عدد المواليد . واسم هذه  
اللطخه يعود ( كما يقول الدنور حيقاري ) الى وجودها في جميع او اكثر  
مواليد المغول ، ثم تخفي تدريجياً بمرور العمر . ويوماً سأله : وماذا تعني  
هذه العلامه في اطفال العراق ؟ فأجابني بتردد : قد تشير هذه العلامه الى  
اختلاط المغول بنساء هذه المنطقه !

الدكتور اسكندر برهاد

آثوري الأصل ، مشوق القمه، وأبقى في ملبسه ويجيد اللغة الانكليزية



سي عصف في بيروت • وقد اختار دراسة الطب بوجه من يسه (الدكتور) •  
 • برهد • واسكندر برهد اوس من امست سيارة من صلاب لييه السب  
 بغداد • وادت صغيره الحجم ومن نوع (وين) الامريكية • وذن كيرا ما  
 يجي، ابي قسم اسباب وبصحبته شابه عرف ابا ارميه من بيت احتر  
 في ابصره • وليس في هذه الشبه وسامه • وجه مدور، وشحه دائره وليس  
 فيها من الابونه • يجلب النظر إلا مبسها المنصوب بمصيح جسمها الرقيق •  
 وبعد عم واحد من الحامي بهذا القسم سمع لدكتور اسكندر برهد  
 وافر الى بيروت حيث دن يعمل احوه الدكتور (مكون برهد) في  
 مدرسه جراحه الاعصاب، وانقضت عنا اخبار الدكتور اسكندر برهد حتى  
 عام ١٩٦٠ • فبغني حينذات انه عاش في بيروت صيه هذه امدد بعنصره دن  
 سيده الارميه اسي دنن اراها بصحبته بغداد • وداث يوم وتببت هذه  
 سيده نيه في شقه اسكندر برهد ادي دن ضيله دنن ايوم في برمه  
 صيه على احد اصداقاه هات • فاستوقفته شرعه الحقيق في احداث نم  
 أفرج عه بعد ان اكتشفت ان الدبل دن جار الدكتور برهد في العمارة  
 سي يسكها • ولم أسمع عن الدكتور اسكندر بعد ذلك •

### دكتور فؤاد مراد الشيخ

وهو من خريجي كلية الطب العراقيه في الدفعه الاولى سه ١٩٣٣ •  
 وسيم اوجه وذو قامة مربوعه وأبن في ملبسه، واجتماعي الزعه • ومد  
 سافر بعد تخرجه في اكلية الى (دبن) بارلند الني كنت مسيورة بأساندها  
 في فن التوليد، وصار له في هذه المدينه اصداق من الرجال والنساء وكذا  
 يتزوج بابه الزعيم الارلندي (دي فايرا) وعاد الى بغداد ليتحق بشعبة  
 اسباب في المستشفى الملكي • ولم أجده جاداً في هذا الاختصاص، وكان  
 هذا أيضاً انطباع الكثيرين من اصحابه الأطباء وغير الأطباء، فكان من ذلك  
 ان يهمل كندي وجوده في شعبته •

## اؤسناد كندي

واسمه كاملاً : وليم ديفد كندي ، ويوفع اسمه باءرفين الاولين من اسيه الاول والثاني ثم باسم عائلته (كندي) . وهو من ام فرنسيه واب اسكونلندي من مدينه ابردين . وتوفي ابوه وابنه وليم في عمر الصبا ، فكلنه أمه ، وآثرت ان تستقر في ابردين الى جانب عائله روجه المنوفى حتى يتم وليم دراسته في الطب . وأجاد وليم اللغة الفرنسيه على أمه ، كما أتقن الاسكليزيه ثراً ونظماً . وكانت فامته اقرب الى القصر ، متين البنيه ، اصلع الرأس ، منبتل في عينه وملبسه الى درجة تستدعي الاستغراب ، فكان لباسه في الصيف من فساتين احادي الرخيص ، وفي فصل الشتاء يرتدي طمفاً أسود ومميصاً ابيض ييافه منشا كالتتي يريدها النفوس ، ويلف حولها رباطاً أسود وهو نفسه الذي يرتديه في الصيف . وأغرب من كل ذلك ، كان كندي إذا حمل موزع البريد رساله له من اوروبا ، فتحتها بطريقة خاصة وقراها ، ثم يجيب عليها برسالة يضعها في المطروف نفسه ، ويعيد غلفه ويكتب على ظاهره كلمة مرفوض REFUSED ويعيده في اليوم الثاني الى موزع البريد ليبردها الى انظر الذي صدرت منه بحسب العنوان المدون على ظهر الرسالة . من جهة ثانية كان كندي زاهداً في المال والحصول على المزيد منه ، كما كان كريماً مع المريصات الفقيرات ، فقد كان يرفض فتح عيادة خصوصية في بيته الملاصق للمستشفى كما فعل زميلاه الأستاذ سدرسن والأستاذ دنلوب وكلاهما مثله يعملان في كلية النب ، ولو فعل مثلاً فعلاه لكسب مثلهم أموالاً كثيرة .

وكان كندي متتبعا لحالات المرضى بلا تعب ولا مال ، واجبايا في جميع أعماله في الردهة وفي صالة العمليات ، فيحمل المريضة بيديه من سريره الى النقالة لأخذها الى صالة العمليات ، ثم من النقالة الى طاولة العمليات . وينظف منطقة العملية بيده بالماء والصابون ثم بالكحول ثم بصبغة

بيود التي يوسع مرورها على كثر من مطلقه العليه . ويفضّي هذه المطلقه  
بملاّك بمصه ايضاً . وفي يوم قال لي : إذا تركت ذلك للمرضه لتعمله  
بيدها ون ذلك يشبه من يسمح لغيره أن يخلق له دونه . وإذا شرع كندي  
بشئ بض المريضة سانه لا يرفع السكين عن بطنها حتى ينهي من شئ طوّل  
م يريده . فهو لا يكرر لحركه في القطع ، ولا في خياطه الجروح ، وهذا ما  
جمعه يبدو بطيئاً إلا أننا لو ضبطنا الساعة عليه لدلّ على عكس ذلك . ولم  
يكن كندي يكشف جروح عميانه إلا حين يقرر رفع غرز خياطه الجلد وهي  
طريقة لم يألّفها الجراحون في بغداد إلا بعد حين . .

وم يكن في أيام كندي الأولى معروف في بغداد احبار بول المرأة عن  
كونها حامل أو غير حامل . وقبل مغادرته العراق بسنه فقط نشر الطبيب  
الامريكي (فريدمان) طريقه لتشخيص الحمل بحقن بول المرأة في دم آتسى  
الأرنب ، ثم يفتح ظهرها ليرى تكوين (الجسم الأصفر) في مبيضها . فأسس  
كندي مكاناً صغيراً ملحفاً بردهة الولادة جمع فيه بضع أرناب يثا لتجربة  
تعمل فريدمان عليها . وكان يفتح ظهر الأرنب بعد اسبوعين لفحص مبيضها  
عن ( الجسم الأصفر ) . وفشلت تجربته الأولى ، وكان الفشل من جانب  
الأرنب ، إذ ان هذا الحيوان ادار رأسه نحو الجرح الذي في ظهره وقرض  
بأسنانه الخيوط التي خيط بها ذلك الجرح . وتحايل كندي على ما يفعله  
الأرنب بجرحه ، فخط الجرح في تجربة أخرى بقارصات (مثل) المعديه .  
وفي هذه الحالة أيضاً أصرّ الأرنب أن يخضع هذه القارصات بأسنانه فأدعى  
شفتيه . وفي تجربة ثالثة ربط كندي أطراف الأرنب الأربعة على سطح حسيبة فأم  
يستطع الأرنب ثني جذعه ليصل رأسه لى الجرح . لقد كان باستطاعة كندي  
أن لا يلجأ الى أي من هذه الطرق ولا يبالي بما يفعله الأرنب بجرحه ، غير  
انه كان يهدف كبافي أعماه الأخرى الى أن يكون عمله متقناً وطيباً كما انه  
بطريقته يستطيع أن يستعمل الأرنب الواحد في أكثر من تجربة واحده .

و سجد و ادبر اسعرا به انه لم يسهل على جرح الاربع ايه عزله ملائكة .  
حتى صار بعد ذلك يسعس ووه على جروح الرب دون عظيم .



وكان لابد ان يبين سدره و مع ربيسة رده (زريته ميحيل)  
وذلك صحت ان لا اتصل به يد احد اخر وورد . ونسب عسي . وان اعين  
بيدي تل و حذجه سريع حتى سريع مسبق بفسطرد . كد لاحت ن  
ورينه سبق سار من الدنور نود و سدر سدر ملافة لذي لاعده  
معمود عن مرضى . و ذلك منهم مع بسعة نرسية وهي جيدة كد  
يجيده كسدي . ثم . بن عليم . - . يانسن . وهدا من دن يعيضي  
ويزحجي . يد عرج . و قد سيب من مرور . على مرضى رده نرس عتد  
فيذهب لذي اى عرقة ويسبب ربيدي نود و سكر من عرقة احنة  
بالرده . م . ثم لن عرقة من مذبي في رده . ولا ست عسه من  
ورينه ، فحدث الصوبة ، التبير ، الصوبة ، اى سوس رده ، معتد مكب  
لي . وفصلت هذه الصولة على ميب في رده حدية عتد تقرب من  
عرقة الدنور لذي ، لى ان لى عسي بسية كتي في رده .  
فضلا عن ان هذه الصوبة لى في نرس كدي اذا دحل رده واد  
عدره ، فانسب من ديت ، سفسه ، يى كتيب مبدي ، يحد بجد ان  
دراسة تطور الاحلاب امضية باستمر . و عدا المكسب هذه الطريقة لم  
اخط له مسبقا بل كان واقعا يد مه دون عله مني .

وكان كدي في تعامه مع احلاب امضية ايجيا الى ابعد الحدود ،  
ومنسكنا من حصصها الجراحية بدرجة مدهسة وانه خن سيكون جراحاً ، وهو  
يستعمل اصابع يديه وكان كل واحد منها بأكثر من ثلاثة مفاصل ، ويعقد  
الحيوان بصريفه خاصة كذا على من أعاد الحواء ، ويقطع باليد اليسرى  
كما يفعل باليد اليمنى بسواء ، وهو يبنى ، حن في عمله ويسرع حيناً ،

فتتعدم الرتابة المسلة في حركات يديه • وكان في جميع ذلك يفسر لمن يعاونه في العملية فيقول مثلاً :

— علامة واحدة على جلدة البطن بقما السكين بحافتها غير الحادة كافية لندل على تطبيق حافتي الجرح الذي يعمل لفح البطن • ثم يقول: واستذكر دوماً تشرح المنطقة التي تعمل فيها (ثم) يؤشر بطرف الملقط أو السكين النني بيده ، ويقول : هنا في الطرف الأسفل وعاء دموي ، وضرب بالسكين هذا المكان فيتدفق الدم (ويسكت ليقول) واجعل ساحة عملك نظيفة كما تعنى بأفرشة سريرك ، ولا تمسك الأنسجة بالملقط المسنن إلا عند الاضطرار قبل أن تستذكر الأوعية الدموية التي تحتوها ، وجفف الدم بشاش يدك بالضغط عليها بخفة لا بالمسح ، لأن المسح بالشاش قد يورث الالتصاقات فيما بين أعضاء الحوض وانسجته عند التئام الجروح فيه بعيد العملية ، أو انه يفتح أوعية دقيقة تسبب النضح الدموي فيما بعد • وحين يصل الى التقاطعات الليفية البيضاء في الجدار البطني ، يقطع قسمها العلوي بالمقص في يده اليمنى ثم ينقل المقص الى يسراه ليقطع طرفها الأسفل ، وسمعتة مرة يقول متسائلاً: لماذا خلقت هذه التقاطعات في هذا المكان من الجدار البطني يا ترى ؟ ويجب على سؤاله والضحك الخافت ينفجر من بين لثامه :

— انها لتجميل بطون النساء ، لا لتقويتها فقط •

وكان كندي يهمني في أعماله في الجوف البطني ، حتى خلت أنه يستطيع أن ينجز أكثر حركاته وهو مغمض العينين ، وهذا عكس أعماله في التوليد ، وربما يكون ذلك لأن العمليات الجراحية في الحوض أو البطن تكون مكشوفة أمامي فلا تفتن متابعتهما اذا قطع أو خط في أنسجتها ، أما في عمليات التوليد فانه ينسجها دون أن أرى ما فعل في داخل المهبل أو في داخل البطن ، باستثناء العملية القيصرية • فعمليات تدوير الجنين ونقطيته وتفتيت جمجمته ، وتطبيق الملقط على رأسه ، فبالرغم من انه ينجزها بخفة

وسيطرة إلا أنها لم تشغني بقدر ما شغفتني أعماله الجراحية المكشوفة .  
و كنت يدا كندي شخصيتين غير أنهما بسبب تجربته الواسعة يستطيع أن يصل  
بهما الى أدنى أطراف الجوف الحوصلي يسر وبأقصر وقت . وكان يردد حين  
يعمل في الوليد : ان القوة الجسدية لبس لها مكانة واسعة في هذا الفن ،  
إلا ان الجهد الذي كان يبذله في بعض الحالات العسرة لا تدع مجالاً للشك  
أنها عمل مهم لاتمام بعض المواقف الولادية .

وكان كندي يستطب العملية القيصرية في حالات المشيمة المتقدمة في  
المرحلة الأخيرة من الحمل . منضجاً بكيفية لادس إصبع أو إصبعين من  
اليد اليمنى ويستخدم رطلين وسبعمائة . وقد يستعمل ملقط  
(وات) من عروء رأس الجنين اذا كان معتلاً بهذا الطرف . وكنت في بداية  
استدلي بردهة الرواد مؤمناً بصواب هذه الطرق لحدائني بمن التوليد .



كنت من شدة سروري باهتمام الأستاذ كندي تعليلي أحاول بمختلف  
الطرق ارضاءه . وصرت أبكر في دخولي صباحاً الى الردهة العاشرة واسأل  
رئيسة الممرضات زريفة عن الممرضات الجدد اللاتي دخلن الردهة ، وكان يني  
وبين الأخت زريفة ودّ أجتهد أن أبقه متواصلاً ، فتدلي على الممرضات  
الجدد برقم السرير والاشارة إيهن يدهما إذا كن بعيدات عني . فابداً  
بمسألتهن عن شكواهن ونوعها ومدتها وما الى ذلك مما يتطلبه تشخيص  
المرض ، وأسجل هذه المعلومات على اسساراتهن واحدة فواحدة . ويدخل  
الأستاذ كندي الردهة بخطواته القصيرة ، خافضاً رأسه ويده اليسرى في جيب  
سرواله ، تهرع جميعاً إليه ، أنا وزريفة والممرضة فضية والدكتور فؤاد  
مراد الشيخ ، غير أن زريفة على بدانة جسمها كانت تسبقنا للقاءه . ويبدأ  
كندي بالمرور على ممرضات الردهة جميعاً ، الفدييات والجدد ، ويركز كندي  
على استمارة الحرارة للمريضات القديمات ، أما الممرضات الجدد ، فيقرأ

ما كتبه في استمارتهن وقد يفحصهن وهن في أسرتهن • وتحاول زريضة أن تكشف له أوسع قدر من بطن المريضة ، والمريضة في هذه الردهة قلما تعارض ذلك ولو على مفضى وغير رضا ، وينخرط بعضهن في البكاء بعد أن يتم الأستاذ كندي فحصهن لا قبل ذلك • وقد يكون خضوعهن لهذا الفحص بسبب شخصية الأستاذ كندي الطاغية ، كانت عيناه الخضراوين تهاذتي النظرات ، ووجهه الصارم بحنان يرغم المريضة على الخضوع والاستكانة حتى التحوص الهيلة • وإذا أتم فحوصه أخرج من حبه قلماً وبدأ يصف لي وهو يرسم ما لمسه في الجوف الحوضي على استمارة المريضة ، وهو حين الوصف والرسم • وكان إذا وضع القلم على الورقة لا يرفعه إلا بعد أن يكمل الصورة ، ثم شرح لي تفاصيلها الشاحمة والمرضة ، وكنت أنازع تركيز قلبه ولسانه بهي الشغب ، وأكثر الاحتمال انه كان يدرك ذلك وربما كان لهذا السبب يندفع الى المزيد من الاهتمام بتعليمي •

وحين صارت بنبي وبين كندي علاقة بلا كلغة أضحت في حيرة لأعرف حقيقة عقيدته الدينية ، إذ هو يوماً يتكلم عن النبي موسى بأسباب، وبعده الطيب الأول في التاريخ لأنه (كما يقول) أول من نادى بضرورة النظافة لتحقيق الصحة ، فأوصى بالختان • وكذلك كان يقول بثناء عن النبي محمد (ص) • كما سمعته يوماً يتكلم عن كونفوشيوس بتقديس كحكيم ذي عقل راجح ، ويتكلم عن زرادشت الذي كان أول من دعا (على حد قوله) الى المحبة والتآلف • وذات يوم قال لي ان تعاليم النبي عيسى فيها توسل واسترضاء أما النبيين موسى ومحمد (ع) فبوضعية ايجابية تقرب أن تكون صارمة •

## دارق المعالجات الطبية في الردهتين

### الحادية عشرة والثانية عشرة

كانت الأدوية المستعملة في علاج حالات الولادة والنفس يوم التحقت

بالرذهة العشرة محدود لا تزيد على أصابع اليد الواحدة كان منها  
( ليرونتوسل ) حوباً وحقناً في الدم ، وهو من مركبات (السلفا) ، وبلونين  
أحمر وأبيض ، ولكل منهما نطاق في الاستعمال لمعالجة الالتهابات . ثم  
ظهرت في أوائل الأربعينيات حبوب ٦٩٣ ، وقد كسبت هذه المادة شعبية واسعة  
في الاستعمال لمعالجة الالتهابات بشكل عام ، وصارت تباع في الصيدليات  
دون وصفة من طبيب كما تباع حبوب الاسبرين .

ومن الأدوية الكثيره الاستعمال أيضاً حقن (الايونادين) وتعطى عن  
طريق الدم ، أو في عضلة الاليتين كمقو للجسم ، قبل وبعد العمليات الجراحية .  
وتقطر تراب الفضة بنسبة (٣) بالمائة في عين كل وليد . وكانت تعطى جرعات  
دهن الخروج لكل نساء في صباح اليوم الاول بعد توليدها . وتستعمل  
سلفات الماغنسيوم حقناً في العضلة في حالة الصرع النفاسي .

ومن الأدوات الطبية التي كانت تستعمل في هذه الرذهة (الملقط)  
الولادي . وكان في الرذهة نوعان منه هما ( بار - ثل ) و ( سمسون ) ،  
والأول أكثر شيوعاً في الاستعمال . كما كان يستعمل (المشداخ) بكثرة وآلة  
تفتت جمجمة الجنين ، وآلة ( دي ريب ) لتوسيع عنق الرحم ، وملقط  
(وليس) في حالة المشيمة المتقدمة .

وكان المعتقد في عملية التوليد بالملقط ان قطع العجان من جانبيه يحرم  
المنطقة من الدم الذي يكفي لتغذيته ، ولذلك يعمل القطع في جانب واحد .

### صالة الولادة والتوليد والقابلة موزلي

وغرفة الولادة لا يجوز أن أسميها صالة عمليات طبية إلا مجازاً، ود.  
لأن مساحتها لا تزيد على الستة عشر متراً مربعاً ، في وسطها سرير من الحديد  
وثنى أن يكون اند حسم بطريقة فنية لتسهيل عملية التوليد ، غير انه لم  
يكن كذلك . . . . . أو ر يجعله يخلف عن أسرة النوم الاعتيادية  
. . . . . مريضتين لدفعان فيه ارفع رجلي الماخض عليهما عند الحاجة أو



لتطبيق عملية التوليد بالملقط .

وكان في ردهة التوليد فبلتين مآدوتين الى جانب رئيسة مرضعات الردهة ( زريسة ميخائيل ) التي هي الأخرى قابلة تدربت على القبلات الفرنسية ببغداد . وثمة قابلة واحدة لأعمال الليل اسمها ( موزلي ) ، وهي كهلة في عمرها ، وتحمل على قصبة أنفها عوينات سميكة ، فيبدو بؤبؤا عينيها كأنهم في قعر بئر ، ، وكانت إذا مشت تضرب الأرض بقدميها الثقلتين يحذاء سميكة أشبه بالأحذية ارجالية ، وتخضع رأسها لتبين موضع قدميها ، كأنها تقتش عن شيء سقط من يدها ، ومع ذلك كانت موزلي كدودة لا تتعبها مشاكل التوليد ، ولها تجربة لا بأس بها في فحص المواخض وتوليدهن . كما كانت تعرف حدود صلاحياتها في ذلك ، فلا تقدم على عمل ليست على ثقة فيه ، فتطلب حينذاك أحد مساعدي الأستاذ كندي ليتصرف في علاج الحالة ، أو تطبب الأستاذ كندي إذا كان ذلك من اختصاصه .

كذلك كان للقابلة موزلي قابلية مدهشة في معرفة ما تلمسه في داخل المهبل أثناء المخاض . ولا بد أن أقول انني أفدت منها معلومات تطبيقية مهمة في هذا المنحى . فتقول لي على سبيل المثال ان الحبل السري الساقط في المهبل في حالة موت الجنين يكون له ملمس ( تكئة ) الباس الرخوة ، أما إذا كان الجنين حياً فتحس فيه نبضات بسرعة ضربات قلب الجنين ، واعتدال الحياة فيه . كما انها تشبه ملمس المشيمة المتقدمة ( بليته ) الاستحمام . وهي مصيبة في كلا التشبيهين .

رحم الله معلمتي موزلي ، فقد استدعيت بعد سنوات لمحض مريضة في ( عقد اليهود ) ، واذا المريضة هي ( موزلي ) وقد بدت لي وهي في سريرها . عرفت ما وأخف عودا مسكت اعرفه عنها ، كما وجدت بطها منشفة لب جسمها الهزيل بجانب كما يندح الماء حين يتلع عصمورا . كذلك نسف الماء من مقلتيها ، وعم الهزال جميع اطرافها . ولم نطل حياتها بعد ذلك إلا حديث السمانين - ٢٤١

أياماً وتوفيت بسرطان المبيض .

أما القابلة الأخرى التي كنت تعمل مع موزلي بيلاً فهي في الواقع من خادمت الردهة العاشرة ، فتعلمت منها بالمشاهدة شيئاً من التوليد ، وصارت تعاونا في العمل اذا كثرت حالات الولادة في الردهة . وكانت هذه (القابلة) هرمة غير انها كانت نشطة في أعمالها ، وحنونة مع الناس في الردهة، وبذلك كنت تحصل من بعضهن على الهدايا النقدية أو العينية . ويوماً دخلت غرفتي لتودعني بعد صدور أمر إحالتها على التقاعد ، وسافرت الى مدينتها (نلكيف) في شمال العراق ، ولم أرها بعد ذلك .

وتتم عملية التوليد بالمنقط في غرفة الولادة نفسها ، وكثيراً ما نجسز هذه العملية دون تخدير عام أو موضعي ، وكذلك في عملية قطع العجان وخياطته . أما كندي فلا يعمل ذلك دون تخدير، وقد ذكرت ذلك فيما تقدم .

#### دقيقم في الوحدة النسائية / ١٩٣٨

طبيني تلفونياً الدكتور صائب شوكت عميد الكلية الى غرفته ، ودخلتها وكان في حديث بينه وبين الدكتور شاكر السويدي والدكتور صبيح الوهبي ، وفي لحظة قطع حديثه معهما والتفت نحوي وقال :

— اسمعني يا كمال ، ان أكثر حالات الولادة تدخل المستشفى في ساعات الليل ، والأستاذ كندي يريدك أن تقيم في المستشفى لتكون قريباً من ردهة الولادة ، فقلت له :

— ان الدكتور كندي ذكر لي يوماً ضرورة وجود طبيب قريب من الردهة كما هو الأمر في المستشفيات البريطانية ، غير انه لم يقترح عليّ أن أقوم بهذه المهمة .

فقال لي الدكتور صائب على الفور :

— أنا أرشحك إليها ، وسوف تستفيد منها ما لم يستفد سواك من الاطباء في هذا المستشفى . وأضاف : وانت سوف تكون أول مقيم في تاريخ

هذا التنظيم في المستشفى ، وسوف أعمم تطبيق هذا التنظيم في  
الاحتصاصات الطبية الأخرى واحداً بعد واحد ، وقسم الولادة أحوج  
الى هذا التنظيم بأي حال من الأحوال الأخرى •  
ولما قلت له :

— افكّر

عاجلني قائلاً يسأل :

— هل أنت متزوج ؟

فأجته :

— لا ، غير متزوج •

قال :

— فيمَ تفكر إذن ، هل تخاف من التعب والسهر ؟

واستطرد بما يشبه التفريع : « عيب على شاب مثلك يفضل الراحة على

العمل والتعلّم » •

إن هذه هي لغة تماهم الدكتور صائب ، فهو يريد أن يرى في غيره  
ما هو عليه في نفسه ، فهو نشط في كل شيء حتى في نظراته ، وفي أفكاره  
وأعماله ، وفي كلامه وحركاته • كما له تجارب في ان ركوب المصاعب يقود  
في كثير من الحالات الى الأهداف المطلوبة •

ولم أجد عندي في تلك اللحظات ما أفوله للدكتور صائب إلا أن

أسأله بسذاجة :

— وأين أنا يا أستاذ صائب ؟

فاجابني كمن يعتلي منبر خطابة :

— إذا تريد أن تتعلم تنام في المراء ، تحت الشمس والمطر •

وقطع الدكتور صائب حديثه معي ، « كأنه حسم الأمر موافقتي •

وساوى التفنون ومنصب مدير المستشفى للأمور الداخلية الدكتور علي حسن •

— دكتور علي ، هـيـء مكان إقامة للدكتور كمال السامرائي قريباً من ردهة  
التوليد ، ووفر له فيها كل أسباب الراحة رجاءً ..

وأنهيت مقابلاتي مع الدكتور صائب بهذا القدر ، وانسحبت من غرفته  
الى مكاني في الردهة العاشرة بانتظار المتوقعات اللاحقة . وقد جهد الدكتور  
علي حسن في إيجاد غرفة لي تريحني فلم يجد غير مخزن مهمل متصل  
بالردهة النسائية من جانبها الجنوبي . حجرة طويلة قطعها بستارة من  
الخاكي الثقيل ليكون القسم الأول منها لاقامة من يخدمني ، ويكون القسم  
الثاني لمنامي وتناول طعامي . وعلى جدار الغرفة المقابل لناقذة هذه الغرفة  
علقت حصيرة لتعلق عليها ألبستي . أما سرير النوم فكان يملأ الزاوية التي  
تقابل مدخل الغرفة . وجدران الغرفة كالحة اللون فضلاً عن الرطوبة التي  
وصلتها من الأرض الى علو يقرب من المتر عن أرض الغرفة التي كانت أيضاً بلا لون  
معين . وبالاختصار لم تكن هذه الغرفة تغريني لأتناسي دمهـا والشكوى  
منها . وكان يقوم على خدمتي فيها شاب بحدود العشرين من عمره اسمه  
(شمسي) ، وكانت في عينيه (رأرة) ، تزداد إذا نظر الى عيني بتركيز، فتدور  
مقلتا عينيه بسرعة تتعـبني عندما أنظر إليهما ، كما كان شمسي لا تحصل  
أخطأؤه ، فقد طلبت منه في يوم من شهر كانون الثاني أن يدفـيء غرفتي قبل  
حلول الليل ، فلما ولجت الغرفة لأهـجم بعد ساعات متعبة في ردهة الولادة،  
وجدت شمسي أخوض في مطبات من الماء بأرض الغرفة ، فاستغربت من ذلك  
وسألت شمسي عما فعله بأرض الغرفة ، فأجابني بكل برود قائلاً :

— أغرقت أرض الغرفة بالماء الحار لأدبر ..

وشمسي فضلاً عن غيائه عن جيل مولود والد سرور ، لم يكن  
بتصفيف شعره بدقة غير عادية ، ولفف شعره بربطة يشكك في أن شعره واحد  
شاردة عن صاحباتها ، ولم يعمل بربطه شعره دهون — رات الاستحمام،  
الموجودة في راحة المستشفى ، وسمح لشعره في سب سرونه العتيق وبعد

ن يمي فسا منه ظاهراً للبيان • وقد ضقت درعاً بتصرفات شمسي فطلبت  
من الدكتور علي حسن أن يستبدل فراشا آخر به لخدمتي ، فبى طلبى في  
لحل ، فجاءني رجل في الخمسينات من عمره ، ذاكن السحنة معروق الوجه ،  
صغير الرأس ، وأشيب الشعر ، غير أنه نشط في تحفته وحركاته • قال لي  
حين فابني أول مرة ، ولم أكن رأيتة قبلاً :

— دكتور كمال ، أنا كظم بمكان شمسي

فقلت له :

— أهلاً وسهلاً ، وأرجو أن تكون خيراً منه •

فقال لي باعتداد :

— انت بعد ما عليك ، انت مثل إبني جواد ، وأنا مثل أبوك توفيق أفندي •  
فاستغربت أن يعرف اسم أبي ، وانتظرت أن يكتفي بما قاله ، إلا أنه  
استطرد يقول :

— أنا أعرفك وأعرف والدك وأعرف عمك صالح وعمك محمد علي  
وعمك حسن •

فاستغربت كثيراً أن يعرف أسماء أهلي • كما أنه وصف لي بيتنا  
بسامراء بما في ذلك غرفة (الطاق) التي تعلو الطريق • كذلك ذكر لي أموراً  
أخرى تخص عائلتي بشكل دقيق ، فدفعني الى متابعة أخباره حتى ضاق  
عليّ استيعابها وحسبت أن ما يعرفه عنا قد جاءته بالرواية لا بالمشاهدة ،  
وأنه يخلط الصدق بالكذب ، ولم يهمني ذلك ، بل صار يحلو لي في ساعات  
فراغي من العمل في الردهة أن أتحدث إليه للتسلية ، ويوماً سأله :

— كم عمرك يا أبا جواد ؟

فأجابني باختصار :

— أنا بعمر نوري السعيد ، وعليك الحساب •

ويومها كان نوري السعيد قد تجاوز عمره الستين ، فقلت له ما علينا

من نوري السعيد ، فقال لي ما هو أكثر إبهاماً :  
— أما كنت في (بد) نوري السعيد ، واسأل أبوك ، وهكذا فسّر  
الماء بالماء !

وكان كظم ينام وراء السنارة ابي نعلني عنه ، ولم يكن يشخر كما  
كان يفعل بسفه شسي • وهو يسضي ليالي الجمع إجازة اسبوعية في بيته  
بسحلة الصوب ، فذا عاد إليّ في صباح يوم السبت جلب معه ابنه الصغير  
جواد وهو يحمل تحت إبطه رغيفين من خبز (العروق) فأنقذه خسين فلأ ،  
فيأمره أبوه كظم أن يقبل يدي فيقول له :  
— بوس إيد عمك الدكتور

وأعجبني ذات يوم أن أدرش معه فسأله :  
— كظم ، قل لي ، عندك زوجة غير أم جواد ؟  
فطر إليّ وهو يصيق ما بين عينيه :

— أنا تزوجت ثلاث نساء ، وعندني من الزوجة الاولى ولد هو جواد ،  
وأمه بنت عسي ، وقد توفيت الله يرحمها على الولادة ، ومن الزوجة  
الثانية ولد وبنت •  
فقلت له :

— إذن في عصمتك الآن زوجتان ••  
فقال لي :

— لا ، واحدة ، الثانية طلقها بالحلال •  
وعدت أسأله :

— ومن الزوجة الثالثة ؟  
فأجابني :

— ما عندي شيء منها ••  
وشئت أن أخابته ، فقلت له :

- كبرت يا كاظم ، ما عندك ولد من الثالثة ؟
  - فأجابني باعتداد وكبرياء :
  - أنا ما كبرت ، أنا عمك أبو جواد ، الثالثة عفر .
  - وكيف عرفت أنها عاقر ؟
  - أخذتها أرملة ، ولم يخف من زوجها الأول .
  - يجوز أن يكون زوجها الأول هو العقر .
  - زوجها ابن عمي ، وليس في عانت رجل عفر (وضاف يخور) : يجب
  - ولد محسن وليس فينا عيب ..
  - فقلت له :
  - العقم ليس عيباً يا كاظم .
  - لا يا دكتور ، عيب ونص . الرجل يجب أن يكون عنده درزر وير .
  - انت عندك ولدان وبنين فقط ليس كذلك ؟ فحين سررت به .
  - وانت رجال ؟
  - الأولاد رزق من الله .
  - وسكت وهو يعتقد انه لم يتدحر في هذه المناظرة .
- لقد ألقت كاظم ، وأحببت حكيمة ونغزه بالأمتار ، حتى صرت تنقصه إذا غاب عني في عطائه الأسبوعي . فتوق إلى بساطته وصرخته وانهاءاته الوهية والصادقة التي يحصلها إلي في اجبار محنه وم يسعه في مناهيم ومن يتحلى من السابيه في دروبها ، يسرده بي بتعصين وبسببهم ري جذاب . ولا ينسى أبدا أن يضع نفسه مكانا مرموقاً في ذلك الجبار ، وعالما ما يجعل نفسه بطلاً فيها ، فهو (همامي) المحبه وحمي نبره وحارس أموالها ، وهو حاتم ملي في الجود وعنده في امدرة في كثير من ابدنفة المفضوحة .
- وذات يوم جاءني كاظم الى كلية الطب وهو يلث وسأله :

— خير ان شاء الله يا ( ابو جواد ) ؟

فأجابني :

— عمك يسطرك بالعرفة .

فأسرعت معه لارى عمي ، فها هو ( ابي ) لا عسي . وبعد ان بليت يديه  
فلت لكاظم :

— هذا ابي لا عسي يا ( ابو جواد ) .

فقال لي :

— تقشمرني ، هذا عمك محمد عبي .

واصرء على انه عمي ، وضحك ابي وضحكا جميعا . وسالت ابي بعد  
ذلك فيما إذا كان كاظم قد عاش عندنا في البيت بسامراء ، وانه رآنا واحداً  
واحداً ، فأكد لي ابي ذلك ، وانه دخل بيننا ( فرارا ) من الجيش العثماني ،  
فألجأه ابي وأسكه مخمياً في غرفة الطاق أيما . ومنذ ذلك اليوم صرت  
أصدق كل ما كان يقوله لي كاظم .

### واجباتي في ردهة الولادة

ومصت ستة أشهر وأنا ليس لي عمل في الردهة سوى تسجيل تواريخ  
المرضى على الاستثمارات الخاصة بهم ، وتلمس الرحم يوماً بعد يوم لتقدير  
تتابع نكوصه في جوف الحوض في أيام النفاس ، ورسم مخطط بياني له  
على استمارة المريضة . ولم تتح لي فرصة لاجراء أية عملية ( نسائية ) أثناء  
ذلك . وكان الدكتور كندي ، خصوصاً في ساعات الليل ، ينجز بنفسه جميع  
هذه العمليات صغيرة أو كبيرة . وكنت أطلبه تلقوئياً في كثير من الليالي .  
وفي بعضها أكثر من مرة ، ويلبي فدائي بسرعة تفوق تقديري ، ويحضر  
بكامل ملبسه وكأنه قد عاد توأ من وليمه عشاء أو كأنه ذاهب إليها .  
ولا أذكر يوماً دخل الردهة ليلاً بلباس النوم بالرغم من انه يسكن في إحدى  
دور الأوقاف الملاصقة للمستشفى الملكي ، أو أنه حضر وللكرى اثر في



عنه . يسرع في حلق ملابسه ويربدي البصرية الطبية البيضاء ويبدأ  
بمعمل مهمة وشايط . وحالات الولادة بلا أكثر منها هارا . وأكثر أيضاً  
من حالات الامراض لنسائية . وهو لا ينفك يسألني عن المريضه التي طلبته  
لمحصها :

— بكر؟ كم سعه أو كم يوم في الطلق؟ وهل ان جيب الميه قد تمزق؟  
ونبض الأم؟ ونبض الجنين؟ وهل راسه منحسر في مدخل الحوض؟  
وما هي سعة فتحة عنق الرحم؟ وهل ان فروة رأس الجنين تظهر أثناء  
الطلق؟ ... (ثم يسألني عن) سبب عسر الولادة في هذه الحاله  
بالذات، فأجيبه عن الاسباب التي أقرأها في الكتاب . ويسألني :  
— أريد أن أعرف منك السبب في هذه امريضة بلدات ، لافي الحالات  
التي تماثلها .

وأسكت دون جواب ، فيقول لي هي الحدة التي على رأس الجنين .  
وان التأخير في ولادة الجنين هو فوه دفع الرحم لاصطدامه بالعجان ، أي أن  
العجان له عمل سلبي حين يلامسه رأس الجنين، أو حدبته . ثم يسألني كندي :  
— إذا قطعنا العجان فهل يتخلص ارحم من التأثير السلبي عنه؟ (ثم يقول)  
دعنا نجرب . ويقطع كندي العجان بعد خفض أعصابه بالمحدر ويظهر إليّ  
فتصطدم ظرته الممادة بعيني فيبدو عليّ الخضوع والموافقة قبل أن يسرع  
الرحم بالدفع . وهكذا كان كندي يعلمني فن التوليد كما يقطر الدواء في  
فم المريض قطرة فقطرة .

وفي ليلة شديدة البرد ، بينما كنت مضطجعا في سراري وبين يدي كتاب  
( إيدن أند هولاند ) الذي أعارني كدي ، إذ سمعت قرأ خفياً على باب  
غرفتي ، اندفع بعده الاستاذ كدي الى داخلها .  
— كمال ، هل أنت نائم؟  
فاعتدلت في فراشي وقلت له :

— نسب الى الآن يا سيدي •

نص لي :

— انص وابعني •

وأردب ان أبدو ما زبىس نومي باحرى ، ذا هو يصيح بي :

— لا تكن يدي كرس ، سع الصدرية ابص ، نوى بجسم ، وهذا بدني •

وبعته من خلال الردهة الى غرفة التوليد ، وسعته يقول لي :

— مريضه الصرع استسي ود نوب ، ولت اعرف ان هذه المريضه

صحت المرافه ، وفد عادرنها الى حجرني قبل قليل ، فقلت له :

— لم تخبرني امرضة لحميره •

فقال لي :

— ولا هي احبرنتي أيضاً وانما جئت لأراها فاذا هي ميتة ، هيا •

وتدخل غرفة التوليد ، فأسرع يخلع سترته وينف كسي قميصه الى مرفقيه ، ويدفع رباطه في فرجه ، عه ، ثم كسف بطن المريضه المتفخة بالحمل وشمها طولاً بالمبضع ، وسرعه المعهودة في العسياب الجراحية شق الرحم واستخرج منه الجنين والمشيمة ، ثم شرع يستأصل الكبد والكليتين والرئين والصب ، ويرمي هذه الاعضاء في طبق ، وبعد ذلك بدأ يخطط بطن المتوفاة بعجله ولكن بانقان كما لو أنه يعمل في بطن امراه في الحياة • وفي غضون ذلك يسي علي شهادة الوفاة وسبها (بالصرع الفاسي) • ثم حصل بيديه النقب المليء بالأعضاء التي استخرجها من بطن المتوفاة الى غرفته في الردهة • ويوصل بابها ، ثم يفرك أكره الباب ليأكد من علقه باحكام ، ويرمي بالمفتاح جذلاً في الهواء ثم يتلقاه بيده فرحاً كالطفل الذي يلهو بسبة جديدة حصل عليها توأ • ثم يقول لي :

— الى صباح غد يا كسل ، وسوف نكون معي حين أعرض هذه الأعضاء

على الأستاذ ملز ، لفحصها نسيجياً •

وهكذا كان كندي أسنأذا وباحناً لم أر مثله بين أسانذة كليه الطب يومئذ . وفجأة غسرتني نكره صاربه اشعلت يدي وكأني اعجب مد رمان ثم اجد لها حلاً . فقد سلت مع كندي حتى في اليوم ما يقرب من السه ، ثم يسحني فرصه لانجز عمليه نسائيه نفسي بسا صواي ورميزي يجيب ليعقوبي واكرم المصاحفي قد بدءا يمرزون على عمليه اسوا سير واسنوخ اعنينة .



وكنت ممارسه كندي لمعالجه الحالات 'العسرده في الولاده بالظنر' نفسها التي نمرؤها في الكتب المدرسيه امقرره ، وداومت ابع طريقه كندي حتى حلت داب يوم حين كان كندي في اجاره حرج اعرو فصبت منقط (وليت) على فروة رأس الجنين في حاله مشيمه متقدمه ، ولما استر السوف استدعيت الاساذ ابراهام ، وكان يومئذ رئيس قسم النسائيات بالاسه . فأمر بنقل المريضة الى صالة العمليات وفيها أتم علاجها بالعمليه القيصرية . اختصاراً في الوقت لصالح المريضة وصلحاء . مع ذلك بقيت مدد صوية أعهد أن ابراهام ، وهو جراح قبل أن يكون مولداً ، قد خلط في هذه لحلة بين اجراحة والتوليد ، ولأول مرة فلت لنفسي يمكن توليد كل اسواخص القيصرية حتى اللواني لا يستطب لهن هذه العمليه ، ولكن ذلك ليس فيه من 'و' اختصاص في التوليد ، فالمولد هو الذي يعرف الحالات التي تسندعي المداخلة ونوعها . وكنت أسمع من اسندي بندي ان امولد الاناني (بسم) يتقاضى أجوره عن الولادات الطبيعيه ضعف ما يقصده عن التوليد بالقيصرية ، وحجته أن أي جراح ، او مولد يستطيع أن يعمل القيصرية بنصف ساعة وليس من بينهم من يعرف مقدماً فيما اذا كنت الولاده سستم طبيعياً او انها تحتاج الى مداخلة إلا المولد المتمرس . ولما عاد كندي من اجازته الصيفيه همت إليه رأي ابراهام في اسنطباب

عميه نصيريه سريخه جي دلربا ميب عدم . وبعد سلوب دام بسع  
تورم دوي .

سيورب لي ، حويد عا فريب .

نوليد باملسط . زاول عميه نصيريه

الوقت هو الساعة العاشرة من يوم ١٢ / ٦ / ١٩٣٨ . وكانت الحامل  
حروب ( اي في حبه دور ) وهي من سدان الكرازة اشرفيه . ولم تكن  
تعرف حسب يوم وضعها . فذكر متى كدت آخر عداها الشهرية فضلا  
عن اول يوم فيه . وهذا ما لا يساعد على تقدير عمر حملها . غير ان بعضها  
المتشيخ بضعه جعلته بدو ديه فاكست او عدت اليوم المتوقع لولادة  
جنينها . وذن وجهها شحبا وعيدها فرعان . وبض رسغها سريعا . وبض  
جنينها بطين . ومثها جلد . وهي في حالة سق مد يومين ( على ما ادعت )  
ومع دت دن اجين حيا ولو في حالة منهكه . وكشف لي الفحص الهبلي  
عن تورم شديد في جذرائه . وفتح واسع في عن الرحم ، وحده ضخة  
تتقدم راس الجنين وتتلأ جوف الهبل . واستعرضت هذه المعلومات واذا هي  
أدله فاضعة على عمر الولادة . وان ولادة هذا الجنين قد تطول حتى يهلك .  
كان علي أن اصف على جميع هذه المعلومات قبل أن اطلب الأستاذ كندي  
ليعمل ما يراه مناسباً او ضرورياً لامداد حياه الجنين ، وأنا حريص أن أكون  
دقيقاً في نقل هذه المعلومات إليه . وناولت التلفون وأدريت قرصه رقماً إثر  
رقم وأنا أفكر فيما اذا فاني ما يجب أن يعرفه مي الأستاذ كندي عن هذه  
المريضة . . . رن جرس التلفون طويلاً ولا إجابة ، وأعدت أطلب ( النمرة ) ولم  
أحصل على رد ، فبعثت خادماً الردهة الحميز الى دار الاساذ كندي وهي أولى  
دور الأوداف الممتدة على الجهة السرفيه من شارع العسكري ، فأخبره صباخ  
كندي الهندي بأن سيده الدكتور لا يزال خارج الدار وانه لا يعرف مكانه .  
وكنت قد شاهدت مرات عديدة الأستاذ كندي يجري عملية التوليد بالملقط في

مولدات العسر ، فرأيت أن أعدم إن لم أفل أجرف على سحب جنين هذه  
- حص بالملقط . فطلبت من القابلة الخضوع بردد أن تأتي لي بأدوات هذه  
العملية ، فسألني بالرغم من أنها سمعتني جيداً :  
- تجري هذه العملية بنفسك ؟

وحينئذ شعرت وليس قبل ذلك ، أن الأمر ليس سهلاً تطبيقه ، وأنني  
أحازف فيه ، وكدت أحجم عن إجراء العملية ، وفي ذلك مخاطرة أكبر على  
حياة الجنين ، وعلى حياة أمه أيضاً إذا تنزق الرحم من شدة الطلق واستمراره  
دون جدوى . فاستعرضت ما كان يفعله كندي في مثل هذه العملية خطوه  
خطوة . كان يرتدي الصديرية المطاطية الحمراء ، ثم يحكم شد طرفها العلوي  
على خصره ، ثم يضع اللثام على سه وأفه ، ويتحرك بعد ذلك نحو المفصلة ،  
ويفتح صنبور الماء ، ويشرع يغسل يديه بالماء والصابون بضع دقائق ، ثم  
يستعمل الفرشة لتنظيف ما يعاق نحت أظافر أصابعه وبين طبات جلدها .  
وأقدمت على تقليد كندي وأعمل بتسلسل ما كان يعمل في توليد المواخض  
بالملقط . كما حققت محاول (النوتوكاين) في تجويف الخاع الشوكي كما  
كان يفعل كندي . وبعد أن تأكدت أن التخدير قد عم المنطفه السفلى من  
جسم الماخض شرعت أطبق الملقط على رأس الجنين بدءاً بالقطعة اليسرى من  
الملقط . وارتحت كثيراً حين وجدت الملقط في مكانه الصحيح من رأس الجنين ،  
وسحبت مرة ومرة أخرى ، فرأيت أن أقطع المجازن لأضيف مساحة أكبر من  
سحب الأرج . وسحبت الملقط ، وإذا رأس الجنين " ي في داحه بسهولة . وكانت  
الحضوات التالية في عملية الملقط سيرة وقد أنتمتها بسهولة . وفي صباح  
اليوم التالي رفعت تقريراً مختصراً عما حدث في تلك الليلة إلى الأستاذ  
كندي ، ولما وصل إلى الفقرة التي تناولت فيها عملية الملقط رأيت حانفيه  
بعلو لا بتسامة خفيفة . ورفع رأسه وقال :

- جيد جداً يا كمال ، وهذا يرمحني عندما سمعك الاتصال بي . ثم

اسدرك: دعني ان سسر حصل بي في مثل هذه الحالات ولو انني من  
الآن بصاعداً سأعتمد عليك في التصرف بانجازها •



وانجزت بعد عملية الملقط تلك زهاء عشر عمليات تنصوت في الصعوبة  
والسهولة • ويوماً سألني كندي :

— هل تعتقد ان هذا العدد من العمليات أكثر مما يجب ؟  
وسكت ولم أجبه ، فقال :

— أنا أفضل تطبيق الملقط ، وبصورة خاصة في الولادات الخروص ، وان  
تجاهل تطبيقه أكثر خطورة من تطبيقه في كثير من الحالات •

وهكذا فتح لي الضوء الأخضر لممارسة عملية الملقط في ساعات  
الليل ، حين يتعذر الاتصال به في تلك الساعات • وكان رميلاي اللذان التحق  
بشعبة ابراهام الجراحية قد تدربا على بعض العمليات الوسطى • وبحس  
صمني رأيت أن لا أعرض هذا الأمر على كندي ، فأنا أعاونه في جميع  
العمليات الجراحية تقريباً ، وبصورة خاصة عمليات الليل المستعجلة أكثر مما  
يفعله معاونه اسكندر وفؤاد اللذان سبفاني الى الشعبة بأكثر من سنة ،  
وواحد منهما بأكثر من ست سنوات • واهتمامه بتعليمي يرضيني بقناعة ،  
وأنا حريص على ارضائه ، فتحاشيت أن أشير إليه بما أحلم به لينحني فرصة  
كالتى سنحت لصنوي نجيب اليعقوبي وأكرم القساقجي في الشعبة الجراحية ،  
فقد يغضب كندي لو أنني ذكرت له ذلك وفيه ما يعني المقارنة بين طريقة  
عمله وطريقة عليم الاسد ابراهام • فقد رضى عنى واهتمامه تعليمي •  
سألكم في قناعة أن يفتني معي في الرده ، فقد أنهر لو أمبعت عنه •  
وكانت فرصة في ساعة رحمانية سيكون كندي نفسه هو الذي فتح الحديث  
منى بهذا الموضوع ، ففى طريقنا الى ساعة العلامات صباح يوم ، قال لـ  
— بلغني يا كسان أن بعض أنرابك في شعبة الأستاذ ابراهام الجراحية قد

تعلّموا اجراء بعض العمليات . وبعد بفترة : واني أرى ان ذلك في هذا الوقت المبكر ليس صحيحا لتعلم الجراحة ، وأفضل أن تساعدني أضول مدة ممكنة لتتأهّد السهبة وانصعّة من العملية ، و طريقة الصرف بكلّ منها . فليس ثمة عمليّتين مضرتين من حيث الناصيل والجزئيات . وقنّع كندي حديده معي عند هذا الحد حين طلع علينا الأستاذ ابراهيم على عتبة غرفته التي كما فرّبين منها ، فبدره لأستاذ كندي قائلاً :

— أنت عملت المعجزات يا أستاذ ابراهيم ، فقد خفقت من الصلاب جراحين كباراً ، بينما الطبيب الذي ب شعبي وهو صنوهم في سنة التخرج لا يزال في دور التحضير الى هذا الاختصاص .

وحين لمس ابراهيم هذا النقد اللاذع من كندي قال له :

— انهم يتدربون على الجراحة بعمليات صغيرة سهلة ، هو تدريب على استعمال الأدوات الجراحية والقطع وخيانة الجروح ، ولا أكثر من ذلك . ورد عليه كندي :

— ان العمليات الصغيرة التي تنسها لا تزال تحيفني يا أستاذ ابراهيم ! ولم ينتظر كندي من ابراهيم تعليقاً ، فنحرك نحو صالة العمليات وسألني — ما هو رأيك يا كمال ؟

فأجبتّه وأنا أريد أن أظهر أمامه أكثر ما أكون اتفاقاً معه :

— أنا مقتنع بطريقة تعليمك .

وولجنا صالة العمليات لاجراء عملية فيمصرية على مأخض تعمل في دائرة الفسيل بالمستشفى الملكي اسمها (هيلاية) ، وكانت أمّاً لثلاثة أولاد . ووقفت غسل يدي اني جانب كندي . وهو حين يغسل يديه قبل البدء بالعملية يصفر بنغم حين رقيق تكاد تلمس شفافيته فأنصت إليه بكلّ جوارحي وأنا منهمك في غما كنى الاثنتين . وغادرنا غرفة الفسيل الى طاولة العمل لترتدي ثوبها من القطن المصبوغ باللون الأبيض . وبعد ان أحكمت ثوبي ، صعدت

العصيات يافة هذا البوس وحزامه حولي رأيت كندي يقف الى يمين طولة العمليات ، وطلب مني أن أعطي بطن المريض بالطريقة التي يعسها نفسه . وكندي وغالبية الجراحين النسويين يفتون الى يسار الطاولة ليهل عيهم حركة أيديهم اليمنى في جوف المريض الحوضي . فاستغربت من وقوفه في الجانب الأيمن ، وقت نفسي لعه سها فوفف بهذا الجانب ، ثم تذكرت انه أضبط أي انه يعمل بيده اليسرى كما يعمل بيده اليمنى بسواء ، وهي ملكه يقل وجودها بين الجراحين ، فهو بهذه الموهبة لا فرق عنده أن يقف الى يمين المريضة أو يسارها . فتحركت لأقف الى يسار الطاولة امثالاً لما فهمته من موقف كندي من الطاولة . ووضعت المشرط أمامه على بطن المريضة التي صبغتها باليود ، فرفعه ووضعها أمامي ، وهو يأمرني قائلاً :

— ابدأ

فالتقطت السكين بذهول ، وسمعتة يقول لي :

— اعمل دون عجلة ، وتجاهل وجودي معك ، ان ذلك ليس باستطاعتك ، ولكن حاول .

فارتبكت ، وكانت ممرضة هذه العملية الى يساري فكدت أسألها :

— كيف أبدأ ؟؟

وأحجمت عن ذلك ، لأن ذلك سيؤدي بي الى موقف لا يرضي استاذي كندي ، وآباني الله عز وجل الرشاد فافتح أمامي كل مغلق ومبهم في خطوات هذه العملية . واستمر كندي يعاونني بسكون وطاعة ، فلا يعترض ولا يشير مسبقاً إلي بشيء . وانتهيت من هذه العملية والفرح يطير بي الى أعالي السرور والفخر . ومن العادة أن يشكر الجراح معاونه بعد الانتهاء من العملية ثم يشكر الممرضة التي شاركت فيها ، فطقت هذه العادة بهاء رد كندى شكره . لا بأقسمة لم ألبس ولان رده الكبر . فرددت في سرى رح و . وانتهيت أن وراء كندى الى غرفة لا راحة السعيرة التي ندد



إليها صالتي العمليات الكبرى • وأخذنا مقعدين حول الطاولة الصغيرة التي  
توسط هذه الغرفة • وقدّم لي كندي سيكارة من علبة المعدنية ، وأشعل  
لنفسه واحدة ثم شرع يناقشني على خطواتي في هذه العملية ، قائلاً :

— لا تكثر من استعمال الخيوط إن أمكن على أن لا تقصها قريباً من العقده  
ولا تقارب بين عقد الخيطة ، ولا تشد على (البريتوان) كثيراً ، وضع  
الثرب وراء الرحم لا أمامه • ولا تكرر حركاتك قبل البدء في عملها •  
وحاول أن تجعل كل حركة هي الأولى والأخيرة •

ولما رأيته قد انتهى من هذه النصائح شكرته مرة أخرى وهو ساء  
ولاه عني فاذا هو يهيم لي سؤالاً ، فداهمني به قائلاً :

— هل تلاحظ أن كثيراً من حالات المشيمة المتقدمة تظهر علاماتها الأولى  
في ساعات الليل ؟ وسكت

فأجبت :

— أحسب ذلك •

وكانت العملية التي أنجزتها توأ لحالة مشيمة متقدمة ، فقال لي :

— اسأل المريضة بعد أن تستيق من المخدر فيسا اذا حدث النزف بعد علاقة  
جنسية ، وأضاف يقول ان هذه مجرد فكرة •  
وبعد لحظات سكوت قال :

— ان المريض الذي يصاب بكسر في عظم فخذه مثلاً ، يكون نومه مضطرباً  
فلا يغلبه النعاس حتى تنبسط العضلات التي تمسك طرفي العظم  
المكسور فلا يحتك الطرفان من الكسر ليسبب الألم • (ثم قال) فاذا  
صح أن أقول ان الرحم يهدأ أو (ينام) فتتوقف فيه قوته العضلية التي  
تضبط فوهات الأوعية الدموية ، فتفتح هذه الفوهات ويبدأ النزف من  
المنطقة التي تلتصق عليها المشيمة •

ثم سمعت كندي يهيم لنفسه :

- هل هذا التفسير صحيح ؟
- ويجب نفسه على مسمع مني أيضاً :
- لماذا لا يصح !
- ويسكت هنيهة ثم يقول :
- لا أدري •
- أما أنا في ذاتي فقد قلت :
- ما أعظيك يا أستاذي كندي !

### أول محاضرة سريرية في الامراض النسائية/ ١٩٣٩

منذ وقت مبكر وأنا أميل الى مهنة التعليم ، وكانت بداية ذلك حين صار يجتذبني مدرس التاريخ الاسلامي درويش المقدادي وهو يلقي محاضراته بأسلوبه القصصي المشوّق ، خصوصاً إذا ما تحدث عن شخصيات الخلفاء الراشدين • وكان بقامته المديدة وضخامته وصوته الممتلئ ، وهو يصف عمر ابن الخطاب (رض) حين يسك بيده (الدرّة) لأخاله وهو يتكلم عن هذه الشخصية الجبارة إلا وكأنه الخليفة ابن الخطاب نفسه • كان المقدادي رحمه الله محاضراً مؤثراً • غير ان المحاضرين الاطباء كانوا انموذجاً آخر بالغ التأثير ، ولكل واحد منهم سمة مميزة في محاضراته • كان أستاذ طب العيون الدكتور سبنسر يبدأ محاضراته بقوله : أيها السادة ••• ويبدأ أستاذ الطب العدلي الدكتور حنا شياط محاضراته قائلاً : ذكرنا في المحاضرة الأخيرة الأزباب (الأسباب) التي ••• ، أما أستاذ الباثولوجي الدكتور ملز فيستهل محاضراته بقوله : يا أولادي ••• ويبدأ أستاذ الأمراض النسائية والتوليد الدكتور كندي بقوله : تذكروا ما قمه في المحاضرة الأخيرة في ••••

كان هؤلاء المحاضرين يسحرونني بقيافاتهم وهم يريدون الربوب الجامعي الأسود ، ويأسرونني بعباراتهم التي يصوغونها بأسلوب لا يصعب فهمه على من لا يعرف اللغة الانكليزية بسهولة • ولم أنقطع عن حضور

دروس الأستاذ كندي حتى بعد نخرجي في الكلية ، لا لأستزيد من علمه  
 تعزيزي اختصاصه فقط بل لأتابع أيضاً حركاته وما يقوله وما يكتبه أو  
 يرسمه على السبورة لتوضيح المادة العلية التي يحاضر فيها . فقد كان كل  
 ما يأتي به هذا الأستاذ أثناء الدرس في نظري درساً بحد ذاته . وحلت يوماً  
 ساعة عصيبة بالنسبة لي ، فقد طلب مني يوماً أن أنوب عنه في إعطاء محاضرة  
 سريرية لطلاب الصف الرابع . وكان طلبه هذا مفاجأة أرعبتني وأفرحتني  
 معاً ، وتمنيت لو أنه أخطرني قبل يوم بهذا الطلب لأعدّ له ما يجعله سهلاً  
 عليّ . قال لي : لا بد أن أكون في السفارة البريطانية بعد نصف ساعة ،  
 وطلاب الصف الرابع مجتمعون في قاعة الدرس في الجناح الثامن . وأضاف :  
 تكلم معهم في أي موضوع تعرفه ، خذ مريضة ، أية مريضة من الردهة  
 الحادية عشرة ، حالة سقوط الرحم ، وفي الردهة الآن حالة من هذا النوع  
 مثالية للدرس ، وهي امرأة مسنة ولا تعارضك لو أردت أن تكشف رحمها  
 المتدلي بين فخذيها أمام الطلاب .

ووقت أمام الطلاب في قاعة الردهة الثامنة ، وتملكني خوف وحذر من  
 أن أتل في هذه المهمة ، وهي تجربتي الأولى في حياتي الجامعية ، ولا بد  
 أن مررتني أمام الطلاب يدعوني إلى السريرة أو إلى العطف ، فقد بدأت  
 باستجواب هذه المريضة وفي شيء من الجلجلا والارتجاف في حبل  
 العبارة الانكليزية :

— اسك يا أمي ؟

— شمرك ؟

— كم ولد عندك ؟

— مم تشكين ؟

— وكيف بدأت هذه الشكوى ؟

الى آخر مثل هذه الأسئلة النسطية في استجواب المريضات اللاتي في

مثل حالة هذه المريضة • وهي أسئلة لا يخطئ مبتدئ في تسلسل توجيهها للمريضة • وخفضت رأسي في ما أقوله بعد ذلك ، فوق نظري على أقلام الطباشير الملونة التي كانت على الطاولة التي أقف وراءها ، وكان فيها انتقادي من الحرج الذي تورطت فيه ، فتناولت أحد أقلام الطباشير ورسمت على السبورة موقع الرحم وملحقاته في الجوف الحوضي ، ومكان المثانة وعلاقته بالرحم ، وأنا أحسن التعبير بالرسم منذ صغري • والتفت الى صفوف الطلاب الذين أمامي ، وبدوا لي وكأنهم ليسوا إلا عيوناً وآذاناً ترصد ما أقوله وما أفعله أمامهم • وشرعت أقول متابعاً ما رسمته على السبورة : — هذه هي الأعضاء الاثوية الداخلية في حالتها الطبيعية •

وعدت الى السبورة وقلت :

— أما في حالة هذه المريضة فإن الحاجز الذي يفصل بين المثانة وجوف المهبل قد إنمط وتضعضع بفعل ضغط رأس الجنين أثناء الولادات المتعاقبة • ومسحت هذا الحاجز بالاسفنجة لأجعل الرحم يحتل مكانه الى جانب المثانة ، ورسمت هذا التخريب الذي حصل ، بالطباشير الأحمر ، وصار في هذا الرسم مخطط واضح ، لا بد ان الطلبة قد استوعبوه •

وحين عدت الى الردهة وجدت الأستاذ كندي قد وصلها في التو ، فسألني :

— كيف كانت محاضرتك يا بني ؟ خبرني عما قلته وفعلته أمام الطلبة •

فأخبرته بما أراد وهو ينصت إليّ ، وأخيراً قال :

— سأكون حاضراً في محاضرتك القادمة •

### تطور نقل الدم / ١٩٣٩

كثيراً ما ينزف المريض قدراً من الدم أثناء العمليات الجراحية والولادات فيعرض لخطر عاجل أو آجل قد يقوده الى الموت • وكان أطباء المستشفى الملكي هم الوحيدون الذين يعوضون الدم الذي يفقده المريض بدم يأخذونه

من شخص آخر • ولا بد لاجراء هذه العملية أن يفحص مخبريا كل من دم المريض ودم الشخص الذي يؤخذ منه الدم لتأكد من تلاؤمهما • وهذا الفحص على بساطته وسهولة عمله لم يكن يحلو من حظوره الخطأ في صنف أحد الدمين • وكنا يومئذ سنحصل الدم من مريض (مجانين) دار النساء الملحق بمستشفى أسكي ، دون الانشغال بمشاكله الصحية هؤلاء المرضى وضعف أبدانهم فضلا عن ذلك من خلوه من الأمراض الأخرى ، وقد يتكرر باضطراب أحد الدم من مجنون أكثر من مرة حتى يصحى منه ذات يوم غير ذي فائدة للمريض الذي يقل إليه الدم • وكنت ردهه الولاده يومئذ أسر الردهات التي تحتاج الى دم مريض دار النساء ، فيؤتى هؤلاء الى الردهه الولادية وهم منسلمون دلائعهم التي تهاد الى الجازر ، ويضطجعون على طاولة أخذ الدم وعلى أفواههم ابتسمه بهاء يهونها بصحكه قصيرة ، ثم يهدأون صامتين طيبة سحب الدم من أوردهم • فإذا انتهت من هذه العملية كتبت ورفه صغيره الى مطبخ المستشفى ليزود هذا المريض بنصف دجاجة مطبوخة ليأكلها زيادة على نصيبه الاعتيادي من وجبة الطعام الاعيادية • وقد تحدث في هذه لحاله بعض المصارفات والمصحكات ، فقد سألني يوماً مريض من هؤلاء عما في هذه الورقه ، فلما قلت له : فيها نصف دجاجة لك ، فما أن سمع مني ذلك حتى دفع الورقه في فمه وصار يضغها بتلذذ وازدرداها بسرعة • فكتبت ورفه أخرى عوضاً عنها وأعطيتها في هذه المرة للمضمد الذي كان يقود ذلك المجنون • ومرة أخرى مع مريض آخر وهو يسأل عما في هذه الورقة ، فلما أخبره المضمد انها امر لسطبخ لاعطائه نصف دجاجة زيادة على حصته الاعتيادية من وجبة الغداء ، أخذ هذا المريض الورقة وفتلها مرة ومرتين ودفعها الى المضمد وهو يقول له ساخرٌ بعصب : ادفعها في مقعدك أحسن !

وكنا نستحضر المريض الى صالة نقل الدم قبل استحضار المريض

المجنون ، ثم ناتي بهذا المجنون ليصطحب قريباً من المريض ، وناخذ منه الدم  
بمزرقه ونددعه في وريد زبد لمريض الذي يحتاج الى الدم . وهذه العملية  
عدا البطء في خطواتها فشة احتمال كبير في بخر الدم في المزرقه او في  
إبرتها ، كما قد يهدر من الدم على الأرض بقدر أو أكثر مما يعطى منه الى  
المريض . وذات يوم من خريف ١٩٣٩ زار ردهه الولادة مثل شركة ( قناني  
باكستر ) ، واختار هذه الردهة لزيارتها دون غيرها من ردهات المستشفى  
لعلمه ان مرضى هذه الردهة اكثر المرصى الدين يتعرضون للنزف الدموي .  
وعرض هذا الممثل عليّ قنينه (باكستر) بسعة لتر واحد ، مفرغة من الهواء  
وبداخلها قدر قليل من محلول سترات البوتاسيوم ، ويسد فوهة هذه القينة  
غطاء مطاطي ينفذ منه انبوبان من الزجاج يتصل أحدهما بالنبوب مطاطي  
ينتهي بآبرة تدفع في وريد الشخص الذي يبرع بدمه الى المريض فتشعط  
الزجاجة المفرغة من دمه بفعل خوائها من الهواء . ويربط بالانبوب الثاني  
ابوب مطاطي آخر ينتهي بآبرة تدفع في وريد ساعد المريض ، ثم ترفع القينة  
الى مستوى أعلى من مستوى المريض فينسب الدم من القينة الى دم  
المريض . ولا يتخثر الدم الذي في القينة لوجود سترات البوتاسيوم  
في داخلها .

وأجرى أمامي ممثل ( قناني باكستر ) نقل الدم من شخص الى مريض في  
الردهة ، فاذا هي عملية سهلة ولا تهدر قطرة من الدم خارج مجسراه من  
المتبرع الى المريض . وكان ممثل الشركة ذكياً . أو هكذا يجب أن يكون  
من يعمل في الدعاية لتصريف البضائع ، فحمل إليّ من سيارته صندوقاً فيه  
اثنتا عشرة قينة باكستر هدية الى الردهة ، وسرعان ما أتت هذه الهدية  
يفوائدها لشركته ولمرضى الردهة ، فقد طلبني الأستاذ سدرسن لاعطاء دم  
الى أحد مرضاه في دار التمريض الخاص ، وكان وجه هذا المريض شاحباً  
بلا لون جراء النزف الدموي من قرحة في أمعائه . ووقف الأستاذ سدرسن

يرأبني وأنا استعمل فنية باكستر لنقل الدم الى مريضه فأعجب بهذه  
تقنيه وطلب مني ان ارفع إليه طلبا لاسيراد خمسمائة فيه ليطلبها عن  
مريق وكلاء الناج البريصاي . ومصره اخرى طلب مني الاساد سدرسن  
نيمونيا ان اسنحضر مريضه لانهل إليها دم من شخص اخر لتكون هذه العمليه  
جزءا من محاصرته في معالجه فقر الدم احدى . وهكذا انشر استعمال هذه  
التقنيه بين ردهات اسنشفى حتى صارت العمليه في استعمالها رتيبه لاصعوبه  
فيها . كما توقف تدريجيا احدى الدم من مرصى دار الشفاء ، وصار يؤخذ  
من دوي المريض أو من اشخاص آخرين متبرعين ، ثم صار يشتري من  
الاعراب ، حتى صار لهذه البصاعه سوق لمن يتعاطها بأجر . وقبل ان يؤسس  
مصرف الدم صار من يمارس هذه (البصاعه) يظوفون المستشفيات الحكوميه  
والاهيه لتزويدها بصنف الدم الذي يحتاجونه . . وكان منظر بعض  
الأشخاص الدين يجيء بهم ( دلال الدم ) كما كان يسمى ، محزنا ومؤلما  
حين نعرف ان هؤلاء يتاجرون بحياتهم في سبيل لقمة العيش . ولم تحتف  
هذه الظاهره إلا بعد تأسيس مصرف الدم الحكومي في سنة ١٩٦٥ ، فصار  
هذا المصرف يزود الدم بحسب طلبات المستشفيات .

### اعارة الكتب / ١٩٣٩

ذات يوم احتجت الى مزيد من المعلومات عن ( الغدة النحامية ) فسألت  
الأستاذ ليونيل ابريهام أن يهديني الى كتاب يبحث في هذه الغدة ، فقال لي :  
— عندي ذلك الكتاب الذي تحتاجه .

وفي اليوم الثاني جاء الأستاذ ابريهام بذلك الكتاب ، ودعاني الى مكتبه  
اللصيق بصالة العمليات الكبرى لأراه ، واستغربت أشد الاستغراب إذ  
قال لي :

— سيبقى هذا الكتاب على منضدتي ، وباستطاعتك أن تدخل غرفتي في  
أي وقت تشاء ، وتقرأ فيه وتقل عنه ما تريد ، فأنا لا أعير كتابا لأحد ،

وهذه وصية عمي (وليم بريهام) فقد دلت له مكبه ضخمة عامره  
بمختلف كتب معرفته النسيب القديمة والحديثة ، ويوما طلبت منه كتاباً  
لبضعة أيام ، فقال لي :

— لا يخرج هذا الكتاب من مكتبتي يا بني . واذف يقول : انظر الى مكتبتي  
الضخمة هذه دعلم ان الدينير من ليها قد اسعرتها من اصحابي ولم  
ارجعها اليهم . وان هؤلاء معلمين كما ترى ، ولا اريد ان اكون  
مغفلاً مثلهم .

وبعد لحصت وابريهام ينظر إليّ وأنا أنظر إليه ، قال :

— صار هذا مبدئي لا آحيد عنه .

فقلت له : في الكتاب العربي انرايه مقولة تمنق والمبدأ الذي تتبناه .  
وسألني الاستاذ بريهام :

— وما هي المقولة ؟

فاجبته وأنا أنرجمها له بالانكليزية :

— عييط من يعير كتابا واكثر مه عباطه من يعيد الكتاب . .

فضحك بكبرياء ، وقال لي :

— إذن أنا وعمي لسنا من العييطين .

من أحداث أيام الإقامة

(١) امرأة تلد قرداً !!

شاع بين الناس ان امرأة من سكان الكاظمية قد ولدت قرداً ، وان  
هذا القرد حين خرج الى الدنيا هاجم الفابلة وعضّها فصرخت مستنجدة  
برجال البيت ، فسارعوا لنجدها وقتلوا ذلك القرد الشرس . والشائعة  
بمجلها لا تصدق ، غير انها انتشرت بين عامة الناس حتى صاروا يضعون  
لها تفسيرات بمثل غرابة هذه الولادة . ولا أعلم كيف وصل الخبر الى  
الأستاذ كندي ، فطلبني الى غرفته وسألني :



— كان ، ما خبر الفرد المولود في الكهنة فلبثت إلى ذن ذلك الفرد ،  
ولنصوره إن كان من غراب المحفوظات •

ودهبت بصحبه لندي إلى قنصلية الكهنة ، وادعاه لندم يؤيد  
ما سمعه عن ذلك الفرد الوليد و صدر امره بى امره لاستدعاء بقية  
التي اشرفت على توليد الحمل ( ام الفرد ) في جواب الشبهة ما يؤيد  
ساعة التي اسرب بين الناس مع زيادتي سميت اسفحة وهي غاوى  
ن نوثق حقيقة ما حدث ، وذهب ان زوج امره قد رأى اشرد بعيه وانه  
هو اندي منه ثم اخذه ودمه • وسب اناسهم احضار زوج امره نسي  
انه رأى او قتل ذلك ( الفرد ) غير انه انه سمع بقية صرح « فرد »  
فرد « وليس اثر من ذلك • ووصل الى قبر ( الفرد ) وخرجاه من  
قبره فادا هو طفل اعيندي سوى ان ليس به دمع ، فبدأ وجهه هو الراس  
يكلمه • وهكذا وضحت الحقيقة ، وان اسدعه بددبه ، وكثيرا ما يكون  
اشاعات من هذا الضرب مع الفرق في التفاصيل ••

(٢) الاستاذ ابراهيم يعنى مريضه مصابا بالسرطان

في إحدى الليالي عالج الأستاذ ابراهيم مريضاً اوصى به حكمت سكين  
باجراء عملية جراحية نأى على ذكرها لاحقاً ، كان أحد مرضى الردهة  
الغامسة الجراحية يصرخ بوحشية من آلام سرطان القولون وقد أجرى له  
ابراهيم عملية فتح الامعاء وخياضها الى سطح البطن • وقد سمع ابراهيم  
صراخ هذا المريض بينما كان يعبر الكريدور أمام الردهة الحمة ، وسألي  
— وكنت أمشي الى جانبه — :

— كمال ، أهذا هو مريض سرطان القولون ؟ أليس كذلك ؟

— نعم ، هو ذلك المريض •

— استحضر لي عشر حبات مورفين •

وكان المورفين يجهر يومئذ على شكل حبيبات ، لا في امبولات كما

صار يجهز بعد ذلك بسنوات ، فذاب حبه او اكثر بحسب الحاجة في ملعقة كبيرة مئنه بدء ، على مصباح كحولي • واحصرت ما طلبه مي ابراهام وحملها إليه في مزرقه ، فقال لي :

— هيا الى المريض ، فقد آذنت ساعه خلاصه من العذاب •

وقد أدركت ما فصدته ابراهام حين صرنا الى جانب سرير المريض ، وأخذ المزرقه من يدي وحن ما فيها عيها في إليه المريض • ونام المريض بعدها ولم يسمع له صوت في تلك الليلة ولا في ايه ليله بعدها ، فقد حمله أهله في صباح الغد جثة هامدة •

وحين غادرنا الردهه قال لي ابراهام :

— ان ما عملته جريمة في نظر القانون ، ولذلك تعمدت أن أعملها بيدي لا لتعملها انت ، فهذا المريض لا محاله سيموت في أيام قريه ، ولكنها أيام فيها من العذاب ما لا يتحملة الحيوان اليهم •

وتوجه ابراهام نحو داره المجاورة للمستشفى ، اما انا فقد مكثت في مكاني وأنا اودعه بظرائي واسأل نفسي فيما إذا كان أستاذي ابراهام محققاً ومصيباً فيما عمله لانهاء حياه هذا المريض • • وادا كان قد أجرم بعرف القانون واندين • فهل يتوجب عليّ أن اخبر المسؤولين لأدفع عن نفسي جريمه اخفاء هذه الجريمة ؟ وكنت يومها اعرف ان في فرنسا جمعية تدافع عن من يفعل ما فعله ابراهام بعد توبيق الضوابط التي بنع هذه العملية • وغادرت مكاني الى الردهه العاشره دون ساعه بما عمه الأسناد ابراهام •

(٣) قتله ناكل اذن طفل وأنفه

ترتفع بنايات المستشفى الملكي عن الأرض بما لا يقل عن المتر ، وفيما بين أرضية الردهات وسطح الأرض فضاء ربما كان القصد منه إبعاد أرضية الردهات عن رطوبه الأرض ، ويتحرك هواء ذلك الفضاء من خلال منافذ صغيرة محصنة بشبكة من الحديد لمنع دخول الحيوانات البيتية

تجردان والمقصود ، غير ان تلك السيدات لم يبق مهاب يوم الحفنة يستنمى إلا حواشيها بعمل الاهداء والزمان ، فصار المقصد المدخل الى بيت النساء ومواقف فيها ، فمدد عدد كبير من هذه الحيوانات يصاب على ما يتبقى على صحون المرمى وهو نير ، صعام دسم بالمقصود ، فمدخل بنفسه عه في ردها استنمى ، وخصوصا حين يرتفع اصوات الصحو وهي نورع على امرضى . وقد يهز المقصد الى اسره المرمى ومهود الاسنان وراء الدفء في الشتاء إن لم يكن وراء الطعام .

وحدث في يوم ما ادعنا وارغب ، فقد استنمت إحدى مرضيات اردده في ساعه من انيل فنا يجثم على صدر طفل بعمر ساعه ، لم يصف بعد من الدم . ورسويات الرحم اسي علت بوجهه ، ويمضم ذلك المقصد بتميه رتبتي انت الطفل بعد ان ابى على غصروف ادته ايسرى ، وام الفصل تعط في نومها من شدة ما عانت من اوجاع الولادة . واسر هذا الحدث اعرب بين منسبي استنمى وسرب ابى خرجها ، وساوله الصحف ، وشكلت لجنة للتحقيق في الاهداء واسبابه ، وعوقبت القابله المستؤونه ابى اشرفت على ولادة الطفل ، ولم يكن ذلك علاجا للوفايه من حادث ماس .

#### (٤) مجنونة في المعاض بدار الشفاء

هذا حادث طبي لا أنساه ، عريب وبتع من وجوه عدة ، نفى ليلة باردة من شهر شباط سنة ١٩٣٩ ايقظني ( ابو جواد ) وهو يقول لي عبارة التقليدية : « مريضة مسنعة » . فوضعت سدريني فوق بجامي وخرجت مسرعا الى الردهه وما يزال أثر الوسن يطبق على عيني بارخاء . وفي المدخل الى الردهه ، قابلتني المولدة (موزلي) الحثيره واخبرني ان المريضة في دار النساء لا في الردهه ، فنوجهت انا وموزلي عبر الممرات المطيه الي كانت يومئذ غير معبدة الى دار الشفاء الواقعة على الطرف الشرقي البعيد من ردهه الولادة ، فاستقبلتنا حارسه قسم النساء في دار النساء ، وفادنا الى

امريضة انني جئت من أجلها • كان العبير الذي كانت فيه هذه المريضة  
 مجنونه صويرة وسن الراتحة وباردا يصم رهاء ثلاثين مجنونه بأعداد محلته،  
 وهم يريدون لباسا موحدا من القماش الحسن بلون البن فصفاضا ، لا يحو  
 من سرق في لثمة واطرافه اسفليه ، وبدوي بعضهم اقسام غير فليته من  
 أجسامهم العريه من الالبسة الداحيه • لما دلت واحده او اثنتان منهم  
 عاريين • لما شغدت في راوية من العبير مجنونه منهم في كومه نيام  
 فيه بعضهم على بعض طلب للدفء ، اما من ابرلن عن هذه النومه فكانت  
 كل واحدة منهم تصنع على جنبها وهي سبي رجليها وتحني ظهرها حتى  
 تنس ركبتيها عنقها المسي على اعلى صدرها • وكان بعضهم القليل يقمن  
 هادئات متجهعات وينظرن إليّ بعيون مستغربة • وعلى قم اخريات بسمات  
 ليس لها معنى • وحين خضوت لارى امريضة من بين هذه المحلونات التعيسة،  
 صاحت حارسه الغبير والنعص الطوييه بيدها ، ان مسح المجنونات الطريق  
 لأصل الى امريضة • ووقفت على راس امراء في مقبل عررها تتلوى بأوجاع  
 الطلق • لقد كانت حاملا وحان وقت وضع جينها • وبرق في رأسي  
 تساؤل : متى حصلت هذه الصبيه العيسه ، اي دار الشفاء هذه ؟ فان كان  
 كذلك فهذا امر لا يمكن ان يضعه رجل سوي العقل • وهل حصلت من رجل  
 مجنون في دار الشفاء سرب إليها من ردهات الرجال في هذه الدار ؟ أم انها  
 ادخلت الى الدار وهي حامل ؟ فسالت الحارسه عن تاريخ ادخالها الى  
 دار الشفاء فأجابتنني بما ارتاح له وجداني الانساني :

— قبل اسبوعين •

إذن دخلت وهي حامل •

— وهل تعرفون أهلها ؟

— جاءت بها الشرطة حين كانت تنجول في الطرقات على غير هدى ، ولم

نضبط حتى حقيقة اسمها الى الآن •

وحين كنت أحدث مع الحارسة ففزت إحدى المجنونات لضرب مني وهي تقول :

- جرء ( تقصد أن أسحب الجنين )

وتقدمت مني مجنونة أخرى وقالت :

- جرء من إذنه ، هذا ابن حرام ..

وقالت أخرى :

- هو ابن نابليون !

وقالت المجنونة الأولى :

- يعني غير معروف أبوه ، لو نابليون لو ابن نابليون ، يعني نفل !

وكثرت المتكلمات من المجنونات وعت أصواتهن بصخب فصاحت بهن الحارسة وهي تضرب الأرض بعصاها الطويلة لبتعدن عني ، فقفزت متقهقرات ومن يتضحكن باستهتار . واستدارت إحداهن وقالت تخاطب المريضة الماخض :

- مريم العذرة ، قولي انت مريم العذرة يا فاجرة ..

وثار نقاش بين المجنونات عن كون هذه المجنونة سباحاً أم شرعياً ، وسرعان ما تلاطمن وتناثرن من أفواههن أقبح الأوصاف والسباب . وفجأة صرخت مجنونة وهي تتكئ على الحائط :

- صلوات على محمد وآل محمد

الحقيقة ان الموقف الذي صرت فيه أربسي أكثر من أن يزعجني ، والقابلة موزلي خافت هي الأخرى ، فافترحت نقل المجنونة الى الردهة العاشرة لأن ذلك أفضل ما يمكن أن نفعله لحالتها ولتخرج كذلك من بين حشد المجنونات المخيف ، فارتحت لاقتراحها ، فحسب هذه المرفضة على نقالة وهي لم تنبس بكلمة ، ولا بدت عليها علامات الألم إلا انشأ يسير في عضلات وجهها . وفي الردهة العاشرة وضعت هذه المقيمة طئلهما عند

بزوغ الشمس • وبعد ساعة أو ساعتين فضت متعجئة عن سريرها وقتزت على سرير مريضة بجاورها ورفعت ثوبها الى خصرها وبالت وهي واقفة على رجليها وقد أفرجتها على وجه المريضة فاستبقت هذه من نومها فزعة لتدفع عنها المجنونة ، وقتزت هذه الى سرير آخر لتكمل تبولها على وجه مريضة أخرى فقتزت هذه من نومها برتعد من الخوف . فكان لابد أن نعيد هذه المجنونة الى دار الشفاء حيث كانت هناك في شقاء وجحيم •

#### (٥) بابا برهاد في الموصل وامتحانه في بغداد

هو أبو اسكندر برهاد ، طبيب نسائي ناجح في ممارسة التوليد والأمراض النسائية في الموصل ، وله تجربة واسعة في علاج حالات غسار الولادة ، وفاعده في ذلك التجربة لا الدراسة العلمية • ومما اكتشفت دوائر الصحة انه لا يحمل شهادة طبية ، ولا اجازة في ممارستها ، وبوصفه لم يخطئ في علاج المرضى ولا سبب لهم ضرراً يستوجب الشكوى منه ، بل انهم انما كانوا يذمونه عن الدقة في العمل والحل لمشكلته أن يتجن في معلوماته الطبية ليمنع من الممارسة ، ويجاز فيها • وقد حضرت امتحانه من قبل الأستاذ كندي في موضوع الأمراض النسائية والتوليد • وحضره بابا برهاد في الساعة التاسعة صباحاً الى ردهة التوليد • وكان في عمر الستين سنة ، أبيضاً أبا يشبه ابنه كما كان بابا برهاد يشبه ابنه اسكندر برهاد ، وبخاصة في لون بشرته وملامح وجهه وتكوين رأسه • ولم يكن يعرف اللغة العربية إلا ما تستعمله العامة من مفرداتها ، وكذلك كان في اللغة الانكليزية ، بر كان يتقن التحدث بالفرنسية التي يجيدها الأستاذ كندي ، فامتحن كندي معلوماته الطبية بهذه اللغة ، وأنا لا أعرفها بأي قدر ، ولكنني استطعت أن أعرف الأحوبة التي افتتح بصحتها الأستاذ كندي • وكان جل الامتحان سريرياً على المريضات الراقدا في الردهة العاشرة • ووقف كندي عند سرير إحدى المريضات ، فنقدت منه رئيسة مرضات الردهة زريفة وقالت

« بالفرنسية : ان هذه المريضة تدعي ان طفلها لم يبل منذ ولد قبل يومين .  
وكن كندي لا يبخل عليّ في تعليسي ، فترجم لي هذه الشكوى الى اللغة  
لانكليزية ، وأضاف يقول لي :

— ان هذه الحالة تصحح أن تكون مادة في هذا الامتحان . والتفت نحو  
بابا برهاد ، وقال له :

— أنت سمعت ما قالته المريضة زريفة عن هذا الطفل ، فما هو رأيك  
في حالته ؟

فتقدم بابا برهاد من مهد الطفل، وحلّ قشاطه، وحدّق بدفة في الخرقه  
المحشورة بين فخذه ، وعلى عضوه الذكري ، ثم رفع الخرقه وشمّها .  
وهس كندي في أذني يقول عما رآه :

— هذه خطوة جيدة لفحص هذا الطفل .

ورفع بابا برهاد رأسه عن الطفل وقال للأستاذ كندي ما معناه :

— نعم ان هذا الطفل لم يبل .

ثم كشف عانة الطفل وتلمّس أسفل بطنه . وسأله كندي عما يقترحه  
لعلاج هذه الحالة ، فأجابه بالفرنسية وهو يرفع الطفل ويضعه على جنبه  
الأيمن :

— هذا هو العلاج يا أستاذ كندي .

ولم يكمل الأستاذ كندي مسروره على مرضى الردهة ، حتى جاءت  
زريفة وأخبرت كندي وهي تبسم وقالت له :

— لقد بال الطفل ..

وبدب الدهسه على وجه كندي . ثم التفت نحو بابا برهاد وقال :

— ولماذا أضجعت على جنبه الأيسر ، وليس على الجنب الأيسر ؟

فأجابه بابا برهاد :

— هذه تجربتي ..

وضحك كندي وهو يقول لي :

— ان التجربة أصاق مصادر المعرفة في الطب •

ووجه كندي الى الردهة الحادية عشره وحن من ورائه كما يتبع  
الطل صاحبه • ووقف عند سرير مريضة مصابة بالتهاب انبوبي الرحم  
الصديدي وكنت أعرف مرضها مقدماً • وعرف بابا برهاد انها حالة مرضية  
لامتحانه في شخصيتها وعلاجها ، فسأل بابا برهاد هذه المريضة بعربية ممكنة  
— انت شو بيك ؟

فأجابته :

— عبي بضني توجعني ••

— متزوجة ؟

— متزوجة ولكن ليس لي خلفه ••

— هل حاولت استشارة الأطباء أو القابلات ؟

— راجعت الجدة غزالة بالقراغول •

واكتفى بابا برهاد بهذه الاسئلة ، ثم بسط كفه على بطن المريضة ، وهو  
يتطلع الى ما يبدو على وجهها من علائم الألم ، وهما قال له كندي :

— كفى يا سيد برهاد ، فما رأيك في نوع إصابتها ؟

فأجابه دون إبطاء :

— التهابات في الاعضاء الاثوية الداخلية •

وكان بابا برهاد مصعباً في هذا الجواب ، واجتاز الامتحان بنجاح •

(٦) شوندره ايضا/ ١٩٣٩

أمضيت سنتين في مدرسة الحلة المتوسطة، وسنتين في المدرسة الثانوية  
المركزية ببغداد ، وست سنوات في كلية الطب ، وسنة في ممارسته بالردهة  
العاشرة في المستشفى الملكي ، فلم يبق في خواطري شيء كثير مما له علاقة  
بمسألة الحلة (شوندره) ، غير انني ما كنت أحياناً أستطيع مقاومة استذكارها



حين يكون الشوندر على مائدة طعامي ، أو حين أشرب عصاريه الخيرية  
الشهية ، فنحفظ صورة شوندره في مخيلتي كما لو أنها حزمة من الشفائف  
الراهية المتعالية على ما حولها من الاعشاب الصغيره . وذات يوم وأنا أقطع  
كريدور المستشفى الملكي في طريقي الى الردهة العاشرة التي أعمل فيها .  
رأيت خالة شوندره في حالة آلمتني حتى أعرق أحشائي ، فقد بان عليها العوز  
والحاجة بأوضح صورهما ، وهي التي كانت يوماً تنوء بحمل ما عليها من  
الحلي الثمينة . وكان زوجها قد غرق في الديون على الموائد الخضر ، فباع  
مزرعته في (عنانة) القرية من خرائب بابل على الجانب الآخر من نهر الحلة،  
وصار يعيش هو وزوجته على راتب شوندره التي توظفت معلمة في المدرسة  
نفسها التي درست فيها . نادتي (الخاله) بينما كنت أقطع كريدور المستشفى  
فحو الردهة العاشرة النسائية . ولما تقدمت منها بدت لي كأنها قد كفت  
لتوها عن البكاء ، وفي صدرها مزيد منه ، قالت مستنجدة :

— عيني كمال ، شوندره !

فسألتها بجزع :

— ما بها يا خالة ؟

فأجابتنني :

— ادخل الى (القاوش) يا بعد خالتك وشوفها ..

كانت شوندره مستلقية باعياء على حشية بين قوائم مريرين من سرر  
الردهة . ووجنتها متوهجتان من فرط الحمى ، وأنفاسها تنقطع بضيق .  
وناديتها وأنا أجلس الى جانبها على بلاط الردهة البارد :

— شوندره ؟ يا شوندره ؟

وتحت عينيها باستعطاف وذل ، أثارت ذكرياتي عنها في الجلسة حين  
كانت في عمر كنه حيوية وخفة روح ، أين بك العيان البراقتان ، والنحر  
البلتوري ، والشفتان النابضتان بلجمال ، والبشرة الطافحة بالحياء ؟

وسمعت الخالة وأنا في غمرة المقارنة بين ماضي شوندره وحاضرها .. سمعت  
الخالة تذكر لي شكوى شوندره :  
— سخونة عالية وألم في بطنها (وأضافت) سوئي لها صورة حل ، الله  
يرضى عليك .

وتشجعت بتردد أن أكشف بطن شوندره فاذا تحت سرتها انتفاخ مؤلم  
للتلمس ، تتو على سطحه بقعة لينة رجراجة ، وهي علامة قاطعة لخراج  
تحت تلك البقعة ، ولكن ما هو سبب الخراج في هذه المنطقة من البطن ؟  
وإذ أن فحص حالة هذه المريضة لتشخيص حالتها المرضية لا يكتمل إلا  
بالفحص المهبل ، وهذا ما لا أستطيع نفسياً عمله لشوندره ، لذلك طلبت  
من أستاذي كندي أن يفحصها ، ونقلت إليه وهو يصر النظر الى وجهها  
وبطنها ، ما أعرفه عن تاريخ حياتها النسوية ، وموضع شكواها وما الى ذلك  
مما يتطلبه الاستجواب الطبي في مثل هذه الحالة المرضية . وسأل كندي  
— متزوجة ؟

ولما لم أكن أعرف ذلك ، أحلت السؤال الى خالتها ، فأجابت بالنفي ،  
استدركت قائلة :

— مخطوبة ، مقطوعة مهر ..  
وكنت أتوقع أن تكون متزوجة منذ سنوات عدة ، فمثلها يتمالك  
على الزواج منها كل من ليس في عينه غشاوة أو في نفسه خلل . وسأل  
الأستاذ كندي :  
— وماذا عن العادة الشهرية ؟

ولم أكن قد سألت شوندره عن ذلك ، إذ ليس في وسعي أن أفترض  
شوندره مريضة فيشير ذلك ذكرياتي المريحة عنها بألم ، فأحلت هذا السؤال  
الى خالتها ، فأجابت :

— لا أذكر أنها شكت يوماً من عاداتها الشهرية .

— ومتى كانت آخر عادة ؟

فسألتهما الخالة عن ذلك • غير أن شوندره لم تجب على سؤالها • وكررت الخالة سؤالها فلم تجب أيضاً ، وشوندره تتظاهر باغواء أو كانت حقيقة في هذه الحالة • ويبدو أن كندي فهم الجواب وهو يعرف قليلاً عن الكلمات الطبية باللغة العربية ، فقال لنا :

— يكفي ، أنا فهمت ! •

وطلب كندي نقلها الى صالة العمليات • وفحصها تحت المخدر العمومي بمزيج من الكلوروفورم والإيثر (٤:١) • وأكمل كندي الفحص باصبعيه السبابة والأوسط ، فاكتشف وجود ما له ملمس خراج يملأ جانباً من الجوف الحوضي • ورأى كندي ان هذه الحالة المرضية درس ثمين لي ، فقال :

— ضع قفازاً مطاطياً على يدك يا كمال لفحص هذه الحالة الغريبة وجرب أن تشخصها ••

أما أنا فقد قبحت الدنيا في عيني وغامت فكرت أن أفحصها فقلت له :

— لا أريد أن أفحصها يا سيدي •

ونظر إليّ باستغراب ، وسألني :

— هل هذه المريضة من أقاربك ؟

وكان جوابي سكوته مطبقاً ، وأظن أن كندي أدرك حينذاك ما في نفسي ، فلم يكرر طلبه مني لأفحصها وأكمل العملية بنفسه فشق الجلد الرقيقة التي تنتو على الامتلاء الذي يترجرج تحتها ، وهو يقول :

— المس جسماً مدياً ينتهي الى سقف الرحم •

وسحب ذلك الجسم المديب فاذا هو (ليطة) من سف النخل أقحمت من خلال عنق الرحم الى جوفه فنفذت جداره وسببت الالتهابات الواسعة آلت الى تكوين خراج غطاء الثرب ولفائف الأمعاء الدقيقة •

والتفت كندي نحوي قائلاً :

— انها حلة إسقاط جبائي يا كمال ، وقد عرفت ذلك مقدماً - بين نجابت هلت السؤال عن آخر عايتها الشهيرة . ثم انها غير بكر . وكان الحبل من خطيبها أو من غيره ، فرأت الحبل قد حدث ببل أوانه فارادت التخلص منه ، وهذه هذه النتيجة .

كان كندي يتكلم عن هذه الحالة وأماض عن الجريمة الطبية في عملها ، وأنا في عالم بعيد عن عالمه . وهو عالم شوندرية في ريعان شبابها الخلاب ، وهي الآن على أبواب القبر .

وبعد خمسة عشر عاماً من وفاة شوندرية دخلت عيادتي بمستشفى السامرائي خالة شوندرية بحالة برثي لها من علامات العوز المادي البادي على وجهها وملبسها ، فاستغربت من السرعة التي فني فيها غنى هذه المرأة ، وسألت نفسي أيضاً :

— هل استطاعت أن تنسى مأساة شوندرية التي كانت تفضلها على نفسها وعلى زوجها وعلى جميع أقاربها ، ومتى جفء دمعها بعد تلك الفاجعة ؟  
وبادرتني الخالة حين دخلت عيادتي :

— جئت أسأل عنك يا كمال .

— شكراً ، وانت كيفك يا خالة ؟

فأجابتنني بحسرة تنبئ عما في داخلها من هم وغم :  
— هذا الذي تشوفه !

وعرفت ما عنت بذلك ، والهدف من زيارتها ، فوحز الأسف قلبي بخشونة ، وتوقفت عند شفتي عبارات كان يجب أن تكون ذات مناسبة ومسلية ، لكنني لم أقل شيئاً . وخرجت الى سكرتيرتي وأخذت منها ما كانت أخذته من مرضاي في عيادة ذلك المساء وأضفت إليه شيئاً ما كان في جيبتي ، وعدت الى الخالة في غرفتي ، ودسست المبلغ في جيبها وهي تدافع انحدار دمة رطبت عينيها التعبتين ، ولم تنس مع ذلك أن تقول لي :

— أشكرك .

وغادرت عيادتي ، ولم أرها بعد ذلك .

(٧) مصرع الملك غازي ١٩٣٩/٤/٤

سأت حاله حجرتي التي ست أقيم فيها ، وصار سقفها يضح مما برأهم  
عنه من مياه الامطار ، فيسدر منه الجص على ضوئي ونراشي ، فاسفلت  
الى غرفه داخل السر الذي أنشئ ملحقاً بالردهة العاشرة . وبعد الى هذا  
السر غرفه للممرضات وغرفه لمريضات الصرع الفاسي وغرفه لرئيس  
الشعبة وغرفه أخرى للأطباء وطببة الكلية ، وصالتان للتوليد . وبالرغم من  
أن غرفتي انني انتقلت إليها قريبه جد من صالتي الولاده التي لا تفك  
يصلني منها صراخ الماخضات بلا انقطاع ، وصخب الداخلين الى السر من  
زائري المريضات ، فضلاً عن بعد المرافق الصحية عن حجرتي فقد كان محل  
اقامتي الجديد أفضل من حجرتي الأولى . وكانت المسؤولة الاولى عن  
هذه الشعبة ممرضة انكليزية اسمها (ستيرم) وناديها في الردهة باسم (الأخت  
ستيرم) . وهي في منتصف العقد الثالث من عمرها ، فارعة الطول ، متمثلة  
الجسم بتناسق ، حنطية السحنة وذات عينين بين اخضرة والزرقاء ولا يصح  
أن أصعبها بالجمال لولا حركاتها الطبيعية الموزونة وجرس نطقها الاثوي .  
وقد استقدمتها الحكومة بتعاقد مع مستشفى داندي باسكوتلندا ونسبتها  
مديرية المستشفى الملكي مسؤولة عن الردهة انشائية التي أعمل فيها .

كانت (مس ستيرم) نشطة وملزمة بدوامها في الردهة وحريصة على  
القيام بخدماتها للمرضى . كما كانت فطنة وواعية على ما يدور في المستشفى  
بشكل عام ، وعم تراه وتسعه ممن يدخلها من المرضى أو زائريهم . وسرعان  
ما صار لها معارف وأصدقاء من مختلف الطبقات الاجتماعية والحكومية مما  
لم يتحقق مثل ذلك لأتربها من الممرضات الاجنبيات بمن فيهن رئيسة  
التمريض في المستشفى الملكي المس كنكستون التي سلخت قرابة

عشر سواب من عمرها في هذا المستشفى • وكان يسير بين الممرضة ستيرم ود منصور وكراهيه مبادلته مكبوه ، وكنت أغزو ذلك لوسامه السبب الذي نسع به ستيرم وجفاف الشيخوخه الذي ولجته ككسنون • ونصيق هذه أحيانا بصرفات ستيرم في الردهة فتعادر الردهة حائفه بل ان تكمل بنقيشها جوانب الردهه واعمال الممرضات فيها وهي تردد كله (بج) ويومها كنت أفسر هذه الكلمه بمعنى (كلبه) فاسمبح هذا الاسلوب في كلام المس ككسنون ، ثم عرفت انها تفصد بتلك الكلمه اوضح من ذلك المعنى وهو المرأة العاهر • واعتقد ان ستيرم كانت تسمع هذا السب القادع ، غير انها لا تعيره اهتماما ولا نرمش له عيناها ، فتجاهله ببرود وكأنها صنعت من تلج أو دان في أذنيها وقر •

و ذات ليلة وأنا نائم في الهزيع الأخير من يوم ٤ نيسان ١٩٣٩ اقتحمت مس ستيرم الحجرة التي كنت أنام فيها ، وهزت كتفي بعنف وطلبت مني بهلع أن أستيقظ وهي تقول :

ب - قتل الانكليز ملككم غازي • ولم أع لحظتئذ كلامها وأنا ما زلت متعباً وعيناي نصف مغضتين بعد سهرة عمل مع مريضاتي في الردهة ، ومع ذلك تبادر الى ذهني بسرعة سؤال هو : كيف تغزو ستيرم قتل الملك غازي الى الانكليز وهي نفسها انكليزية ؟ ثم قلت لنفسي انها قد تعني أن الالمان هم الذين قتلوا الملك لا الانكليز ، والهفوة إنما جاءت من سبق اللسان لهول الحادث وفظاعته ، غير أن ستيرم عادت تستحني على النهوض لارتداء ملابسها وهي تعيد قولها : ان الانكليز قتلوا الملك غازي يا دكتور كمال • هيا أسرع • وقطعت تفكيري بغريب ما ادعته مس ستيرم حين دخلت حجرتي ممرضة الردهة الخفية وهي تقول لي :

— ان الدكتور صائب يطلبك عاجلاً على التلفون •

وهرولت الى التلفون ، فكانت مكالمته عن مصرع الملك غازي واحتمال

منه الى المستشفى الملكي . وصب مي اخطار صاله العمليات اختياصا . وحين  
انتهت من مكالمه الدكتور صائب عدت افكر فيما قالته لي ستيرم وهي تعزو  
مقل الملك الى الانكليز لا الى الالمان انصارين في اتجاه الشرق العربي ،  
ثم من الذي انبا ستيرم بمصرع الملك بعد منتصف الليل وهي في دارالمرضات  
لا في الردهه العاشرة ٠١ وبعد اسبوع واحد من تلك الليلة ودعت ستيرم  
أطبائ الردهه وممرضاتها وسافرن الى مسكة سيام مثل عمها بتعاقد مع  
تلك الدولة . ولم يمض سوى شهر واحد أو أقل بعد ذلك حتى دخلت  
غرفتي المس كنكستون ويدها لفة من الاوراق وبدأت تمك طياها لريبي  
بتشف وهي نمر باصبعها على سطر في إحدى أوراقها فائلة :  
— اقرأ يا دكتور كمال ..

وقرات ما معناه ان الممرضة ستيرم قبض عليها وهي متبسة بجريمة  
التجسس لحساب المائيب وقد أعدمت رميا بالرصاص . ثم قالت مس  
كنكستون :

— ان اسمها ليس (ستيرم) بل (شتيرم) أي نجمة باللغة الالمانية . (وأردفت  
فائلة) ما قد صدق حدسي حين اشتبهت بأنها غير انكليزية .

(أ) الدولة تنهي عهدها مع الدكتور كندي/ ١٩٣٩

ان دوافع إنهاء عقد الأستاذ كندي تستحق التسجيل . فقد حدث أن  
أحيلت إليه زوجة وزير لداخلية فحصها ومعرفة ما إذا كانت حاملا أم غير  
حامل ، وكان كندي في هذا التشخيص يعتمد على فحص ادرار المرأة بتعامل  
(فريدمان) على مبيض اتى الأرنب ، وهو فحص اذا جاء موجبا فهو دليل  
قاطع على وجود الحمل . أم إذا جاء سلبا فقد يكون الخطأ فيه نسبة (١٠٨)  
بالمائة . وفحص كندي بول زوجة وزير الداخلية بهذه الطريقة فكانت النتيجة  
سلبا ، ولما توثق الحمل بشكل واضح سخط السيد الوزير على الدكتور  
كندي ، كما شاع في تلك الأيام ان الراديوم الذي اشتراه كندي من باريس

معالجه حالات السرطان غير صالح للاستفاده منه، إذ بعد معموله، وزاد آخرون على ذلك ان لدي قد احسن قدرا من ابيع المحصص لشرائه فحصل عني نوعيه رديئه منه ، وندس احياء لا ينصفون ؛ فوصلت تلك النساء بصريته ما الى كسدي وسشاط واحد فرارا حاسما ، وكب الى مديرية الصحة العامة يشرح استخدام جبر من ايه دونه لفحص الراديوام الذي اشتراه من باريس ، وانه هو الذي سيدفع أجوره اذا ثبت لديه اي بلاعب او تسويه في المعدن الذي اشتراه . اما إذا امنعت الدولة من تنفيذ هذا المقترح فانه يرجو اعنائه من اسراره في العمل بكليه الصب والمستشفى الملكي . ولما لم يصل إليه رد من مديريةية الصحة العامة أندر عياده كليه الطب انه سيفادر العراق بعد شهر واحد - وهي مدته كافيه لجهد الكليه من يحل محله للتدريس ومعالجه المرضى - . وغادر بغداد بسيارات بيرن ، ولم يودعه في محطة الانطلاق بمنطقة الصالحيه إلا مس ويد رئيسه صالة العمليات الكبرى بالمستشفى الملكي وكاتب هذه المذكرات .



قد أكون أنا أكثر من أصابه الضرر من مغادرة الأستاذ كندي ، فقد لمست حالا انني ما أزال بحاجة الى التلذذ عليه ، إذ كنت في كل لقاء معه أحصل منه على معلومة جديدة ما أحوجني إليها . انني لا يمكن أن أنسى أفضال هذا الطبيب العالم عني ، فضلا عن هديته الثمينه لي وهي ستة ( ملاقط انسجة ) Tissue Torcers وكتاب روبنسون الموسوم بـ ( الطب العربي ) ، وكلاهما لا يزالان في حوزتي ، ويذكراني به وبفصله علي .

(٩) الاستاذ صائب شوكة يتراس قسم النسائيات وكالة / ١٩٣٩

حين سافر الأستاذ كندي أوكل الاشراف على ردهتي التوليد والأمراض النسائية الى الأستاذ صائب شوكت . وحين دخل الردهة العاشرة أول مرة شعرت كأني أنا الذي استدعيته ليزور هذه الشعبة . وحين رأيته منكمأ



لي فحص مريضه وقف الى جانبي يراغب ما استجوب فيه هذه المريضة ،  
وتتمت من فحص المريضة فرأيت على وجهه إمارات الرضا والتقدير ،  
وحرضي على دوام المراءة في كتب اختصاصي ، وأد لا احدد اهمامي على  
لحالات الرتبية ، وقال لي :

— هذه أيامك يا كمال ، سجل لنفسك كل حالة مرضية سار من فحصها  
وعلاجها ، فذلك هو سبيل تعلم هذه المهنة ، وافحص المريضة في كل يوم  
وسجل على استمارتها التغييرات المرصيه الجديده التي تظهر عليها وما اختفى  
من أعراض وعلامات مرضها • وفي حالة النقص درجة نكوص الرحم في كل  
يوم ، وارسم خطأ بياناً لها • وصحبته وهو يسر على مرضى الردهة وكانت  
إحداهن باهنة السحنة بافراط ، ولد أشار لي ذلك فلب له نها ففقد كثيراً  
من دمها بسبب المشيمة المتقدمة •

وكانت شعبة الولادة أكثر شعب المستشفى حجة لمحاليل الزرق ونقل  
الدم لمن تصاب بالزف الدموي ، فقال لي الاستاذ صائب انه يدرك هذه  
الحالة الخطرة وانه يعمل جاهداً لانشاء مركز لتصنيع محاليل الزرق ومركز  
آخر لمصرف الدم • وقد رأيت ذلك آنياً ان فكرته ضرب من المحال او  
التمني ، غير انه سرعان ما حقق ذلك ، وسار المركان مسيرة جيدة نحو  
الكمال • وفي الوقت نفسه أسس مركزاً لتعقيم الحليب للأطفال ومرضى  
ردهات المستشفى •

(١٠) حالة مرضية غريبة ، واعتداء على ولادتي في كلبه الثوب/١٩٣٩

في حياتي الطبية بالمستشفى المنكسي لم أكلف بطبابة الخمر إلا مرة  
واحدة ، وكنت يومئذ حديث التخرج وبوصفي مقيماً في الردهة العاشرة ،  
والعمل في هذه الردهة وبخاصة في الليل متواصل ، فلم يشملني جدول  
الخفيرين • غير ان الدكتور عبدالرحمن الحوربه جي رحاني أن أحد مكانه

في إحدى الليالي • وبينما كنت أعط في نومي في غرفة الطبيب الخفير بالعيادة  
أخرجني • رنة • بنون الغرفة • فرفعت ساعه الى أدنى ، وأذا رجل ينادي :  
— من المتكلم ؟

فأجبت :

— ضبيب الخفر بالمستشفى الملكي ، تفضلوا

— إسحك رجاء ••

— كمال السامرائي •

— أسعني • دكتور كمال ، ان حكمت سليمان ، بعد قليل سيصلكم أحد  
الفلّاحين وقد أصيب بصق ناري فاصل بالدكتور صائب ليعمل له  
ما يراه مناسباً أو ضرورياً •

ومعرفتي بحكمت سليمان أكثر من كونه أحد قادة انقلاب بكر صدقي  
في سنة ١٩٣٦ ، فأنصت بالدكتور صائب شوكت ونقلت إليه مخابرة حكمت  
سليمان عن الفلاح المصاب بالطلق الناري • غير ان الدكتور صائب شوكت  
أجابني ان هذا الاسبوع من خفارات الدكتور ابراهيم ، وطب مني أن اتصل  
به في نادي العلوية وأبعث إليه بسيارته الاسعاف لتنقله الى المستشفى • وكان  
الفلاح الجريح قد وصل أثناء هذه المكثمة التليفونية وأدخل الى الردهة رقم  
(٥) النابعة لوحدة الدكتور صائب شوكت • وحضر الدكتور ابراهيم ، وبعد  
دقائق حضر الدكتور صائب ومقابل الاثنان وأنا أفف الى جانبهما • قال  
الدكتور صائب وهو يخاطب الدكتور ابراهيم :

— كسي حكمت بك تلفونيا وطلب مني أن أرى الفلاح الجريح ، فطلبت  
من الطبيب الخفر أن يتصل بك لتتولى علاجه بوصفك الجراح الخفير  
في هذا الاسبوع •

فقال الدكتور ابراهيم :

— إذن تفحص هذا المريض معاً ، إذا لم يكن عندك مانع .

كان هذا المريض مثلاً للعلاج العراقي . هيئته وخبراً ، ولم يكن عمره يتجاوز العقد الثالث ، حاي القدمين ، حاسر الرأس ، داكن البشرة . سأله الدكتور صائب بعض الأسئلة ذات علاقة باطن الباري ، ثم كشف بطنه فبين منفذ الطلقة صغيراً كالعادة ، ثم قلب المريض على بطنه فلم ير مخرجاً لصلقه النارية ، وتلمس بطن المريض فلم يجد ما يميز معرفته . فاقترح الدكتور ابراهيم إرجاء العلاج الجراحي الى صباح غد بعد أن تفحص البطن بالأشعة لمعرفة موقع الطلقة ، واقترح الدكتور صائب العمل فوراً لاستخراج الطلقة . واتفق الاثنان أخيراً على فتح بطن المريض ، فوجدوا عدة ثقوب في الأمعاء سببها مسرى الطلقة بين لثمتيها . فحطوا لثوب ، غير انها في أي واحدة منها لم يجدوا مخرجاً للطلقة ، فعرفوا أنها توقفت في جوف الأمعاء ولم تنفذ منه . وبعد أن أكملوا خياطة جميع ثقوب الأمعاء بدءاً بتمسان الأمعاء بحثاً عن الطلقة فوجدوها في الأمعاء الغليظة ، فدفعوها في اتجاه فوهة المنقعد ، وتركها في مكان قريب منه . وطب مني أن أراقب اندفاعها مع غائط المريض . وخرجنا من صالة العمليات وهما يتندران في ما يعمل الطلق الباري أحياناً في جوف المريض .

وحيث تهيأ الدكتور صائب لمغادرة غرفه الملاصقة لصالة العمليات كان على نقالة المرضى أحد تلامذة كلية الطب ووجهه ملطخ بالدم المتجمد عليه حتى لا تكاد تستبان معالمه ، معرفته من نظمه لا من ملامح وجهه ، واسمه ( رفيق طاهر ) وهو من أهل كوي سنجد بشمس العراق ، فانتبه الدكتور صائب إليه . وسألت أنا رفيق طاهر عني مسمع من الدكتور صائب :

— ما الأمر يا رفيق ؟

فأجابني والدكتور صائب ينصت إليه :

— ذهب رزي حمد دربي لي فمدى يده ليمس رقبتي على رقبتي جسر  
المدى فيصل . فترسني على مدخل احدى ضابط وهو محصور يعربد .  
تضربني على راسي . وم سانه عن سب هذا لاعتداء . من  
مسده وضربني على راسي بقبضة عدة مرات . . وم كدت مسك  
خون من نسووس على الارض حتى ركسي رفيقه برجيه وعادرا  
الشدق دون اهتمام بما احدثه بي .

وسر الدكتور صائب ، رفيق طاهر :

— تعرف الضابط ؟

فأجابه رفيق طاهر :

— لم أره بحياتي . غير ان الضابط الاول كان يعرج قليلاً ، وعرفت من  
خدم بندق احمد من مراقبي بكر صديقي ، قائد انقلاب سنة ١٩٣٦

ودخل الدكتور صائب غرفته الملاصقة مدخل صالة العميات وطلب من  
في بداله تيمون المستشفى ان يوصله برئيس الوزراء حكمت سليمان في  
بيته . وتكلم معه بلغة تركية التي لا أفهمها ، وعرفت حذساً ان أول  
مكانته كانت عن الفلاح المريض . ثم تحول يصف ما فعله مرافقا بكر صديقي  
بأحد طلاب كلية الطب . وبين الدكتور صائب وحكمت سليمان رابطة  
عائلية ، فكان كلام الدكتور صائب لا يحلو من النقد والعتب . وقد عرفت  
ذلك من لهجة كلامه لا من نغمة . وأعلق الدكتور صائب التيمون وعاد الى  
رفيق طاهر الذي ما زال على النقالة ، وقال له بحدة وتأثر :

— اتصلت برئيس الوزراء ، فلا تتنازل عن حقك إذا اعتذر منك ذلك  
الضابط ، فاعتذاره لا يكفي بل يجب أن يناله العقاب .

وفي صباح اليوم التالي جاء ذلك الضابط الأعرج يسأل عن رفيق طاهر

الذي كان قد ادخل الى الردهة تحت المرافبة الطبية واحنى عليه وهو في سريره وقبله ووقع الصلح .

### الاستاذ ماهاني/ ١٩٣٩

خفف الأستاذ كدي بعد معادته العراق الأستاذ (مهدي) ، وهو بريطاني عمر يزيد على الستين سنة ، طويل القامة ، نحيف النيه . متواضع وسهل التعامل ، وله خبرة طويلة في (ددي) باسكولندا في الأمراض النسائية والتوليد . وبعد بضعة أشهر أصيب بلزحار وذيل جسده في بضعة أيام . واتصل بي تلتونياً ذات صباح من غرفته بفندق (دجلة) طالباً أن أذهب إليه لأمر معين . وكان في سريره حين دخلت مخدعه ، وبدأ لي متعاً . وما كدت أجلس على كرسي الى جانب سريره حتى طلب مني أن أساور ورقة كانت على طاولة قريبة منه ، وانقرأها . كانت هذه الورقة مكتوبة بخط يده وموجهة الى عميد كلية الطب الأستاذ سندرسن وفيها طلب لقبول استقالته من وظيفته في كلية الطب بسبب صحته وجو بغداد الذي لا يلائمها . وختم مضمون الرسالة بثناء عليّ قائلاً «إنتي أثق بالدكتور السامرائي كمال ليأخذ مكاني اني أن تجدوا أستاذاً في التوليد والأمراض النسائية، الخ ..» ولما أتممت قراءة ما كتبه في تلك الورقة ، قلت له :

— ألا ترى يا أستاذ ماهاني انك تسرعت بتقديم هذه الورقة ؟ فالحالة المرضية التي أنت فيها طارئه ، وتحدث لأي شخص في بغداد وأي شخص في انكلترا .. فأجابني :

— لا ، ان جو بغداد لا يتفق مع طبيعتي ، وقراري في تقديم الاستقالة نهائي ولن أراجع عنه . ثم قال . أه متشاك يا كسر ، وهذا يجب أن تعرفه . »

ولما نهضت لأغادر غرفته قال لي :

— نسيت الورقة ، فأنا طابعت لنحلبها بنفسك ونعطيها بيدك الى الدكتور  
سندرس .

وبعد يومين ودعته في محطة تقييات ( جيري تيرن ) في السالحيه ،  
وصافعني وهو يتسم يرود .

**أول أجر أحصل عليه من ممارسة الطب / ١٩٣٩**

قبل انتهاء الدوام الحكومي في المستشفى الملكي من يوم ٦ / ٨ / ١٩٣٩  
قال لي أستاذي الدكتور حيقاري :

— كمال ، لدي مريضة سأجرى لها عملية فتح خراج (حوضي) صباح يوم  
غد (الجمعة) وأريدك أن تعطي لها (البنج) في هذه العملية . وهذه أول  
مرة يطلبني فيها الدكتور حيقاري أو غيره من الأطباء لمساعدته في عملية خارج  
المستشفى . واعطاء البنج في البوت عملية لا تخلو من خطورة لعدم توفر  
الاوكسجين عند الحاجة . فترددت في سري في تلبية طلبه ، غير أنني لم أرض  
لنفي أن أكون في عجز عن القيام بهذه المهمة ، خاصة وان أستاذي الدكتور  
حيقاري هو الذي طلبني إليهما . وكان كثير من الناس يومئذ لا يثقون  
بخدمات المستشفى الطبية لاعتقادهم ان في المستشفى تقبض الأرواح وتنتهي  
الأعمار ، فبانوا يفضاون الاتكال على الأطباء الخصوصيين ليعالجوهم في  
بيوتهم مع ان هؤلاء الأطباء في تلك الايام هم أنفسهم الاطباء الذين يعالجون  
المرضى في المستشفى . والدكتور حيقاري من جملة من كانت لهم ممارسة  
واسعة في الطب النسوي ، وكان يجري بعض عملياته الولادية بلا بنج ،  
وحجته في ذلك ان آلام الطلق أشد من آلام تطبيق الملقط على رأس الجنين  
وسحبه الى خارج القناة الولادية .

وفي الساعة العاشرة صباحاً كنت أجلس الى جانب الدكتور حيقاري

بسيارته في طريقنا الى بيت المريضة في محله (خضر الياس) بجانب الكرخ .  
وحيث توقفت السيارة عند باب بيت المريضة تساماً ، وضح لي أن سائق  
سيارة الدكتور حيقاري يعرف هذا البيت مسبقاً ، وبالتالي ان أهل هذا  
البيت هم من زبائن الدكتور حيقاري . وترجّل الدكتور حيقاري من سيارته  
بنشاط واستدار الى مؤخرة السيارة وفتح صندوقها الخلفي وأخرج منه  
حاولة عمليات من الحديد بدائية الصنع معمولة بهندسة يمكن طيّها ليسهل  
حملها الى بيوت المرضى . وحمل الدكتور حيقاري هذه الطاولة بنفسه الى  
داخل بيت المريضة حيث استقبلنا رجل الدار بترحيب بالغ وقادنا الى ( نيم  
سرداب ) فبسط الدكتور حيقاري الطاولة في وسطه بسهولة ويسر .

وكان خراج الجوف الحوضي يومئذٍ من الحالات المرضية التي ليست  
غير مألوفة ، وتحتاج لفتحة آلة جراحية خاصة تعرف باسم (كرستوفر-مارتن)  
التي أصبحت هي والخراج الحوضي بعد عقدين من الزمن لا يُعرفان إلا في  
الكتب والخزانات الأثرية .

وحين شرعت برش مزيج الكلوروفورم بالإيثر ، وهو المخدر المستعمل  
يومئذٍ ، قاومت المريضة استنشاقه بقوة غير انها انصارت أخيراً وغطّت في  
نوم عميق . ولم تطل عملية فتح الخراج . ونهياً الدكتور حيقاري لطبي طاولة  
العمليات ، وحملها بيده ، وعند باب ( النيم سرداب ) كان يقف رجل الدار  
فاستقبلنا يقول :

— بارك الله بكم وكثّر من أمثالكم .

ورأيت يدس شيئاً ما في جيب سترة الدكتور حيقاري . ولما تحركت  
السيارة بضعة أمتار أخرج الدكتور حيقاري ما دفعه الرجل في جيب سترته  
فاذا هي لغة من الدنانير ، وحسب عددها فكانت ثمانيه ، فقال الدكتور  
حيقاري :

... مضمون ، يعني فيها مائة روبيه • وأضاف : وهؤلاء الناس من مرضاي القدماء ، وهم طيبون وكرماء •

ثم قرر دينارين من المال ودفعها في جيب سترتي • ورفضت قبولها •  
نقال لي :

— كمال ، هذا حفتك الحلال ، ورفض الحلال ضرب من الكفر !  
وسكت وأبقت الدسارين في جيب فكانا أول أجر أحصل عليه من ممارسة مهنتي خارج المستشفى الملكي •

### الاستاذ كروكشانك / ١٩٣٩

أعنت سفارة العراق في لندن عن حاجة الكلية الطبية في بغداد الى استاذ في الأمراض النسائية والتوليد ، فتقدم الى هذه الوظيفة الاستاذ كروكشانك واسمه الاول وليم ، وهو أمريكي الجنسية من أصل كندي ، وحاصل على شهادات عالية من كلا البلدين ، ومن انكلترا أيضاً • وقد عمل جراحاً في كلية اللب ببيروت مدة تزيد على خمس سنوات متواصلة • وكان من شروط حكومة العراق أن يكون المتقدم الى الوظيفة في كلية طب بغداد بعمر لا يزيد على الخمس والأربعين سنة ، فكتب كروكشانك الى السفارة العراقية بلندن انه يقرب من الخمسين إلا انه بنشاط من في الأربعين • وبعد اسبوعين وصل كروكشانك الى بغداد • وفي اليوم السابع من شهر تشرين الأول ١٩٣٩ دخل الردهة العاشرة التي أعمل فيها ، عيد الكلية الطبية الأستاذ صائب شوكت ، وبصحبه شخص قريب من عمره ، وأقصر منه قليلاً ، وردي البشرة ، أزرق العينين ، قدمه لي الأستاذ صائب باسم الأستاذ كروكشانك الذي سيتولى (أستاذية) شعبة الأمراض النسائية والتوليد في كلية الطب والمستشفى الملكي • ولم أفاجأ بذلك إذ أن الدكتور صائب قد سبق أن ذكر لي أن وزارة الشؤون الاجتماعية قد أبرمت عقداً مع



استاذ أمريكي في الطب النسوي يعمل في كلية بيروت ، كما لم أهتم برئاسة هذا الأستاذ على الشعبة فيني وبينه الدكتور فؤاد مراد الشيخ وهو أسبق مني في الشعبة بما يزيد على خمس سنوات . ومع ذلك قال الأستاذ صائب وهو ممسك بعصدي ومخاطباً الأستاذ كروكشانك :

— تستطيع أن تعتمد على كمال ، وسوف يعطيك المعلومات التي تحتاجها لمعرفة ما في هذه الشعبة .

وفي غرفة دكتور كروكشانك التي كنت أشغلها قبل التحاقه بهذه الشعبة تحدثت معه عن كادر الشعبة من الأطباء والطلاب والمرضات والقوابل . وكانت لهجته أقرب الى اللهجة الانكليزية منها الى الامريكية . وفي غضون حديثي معه لمست منه ما يوحي بأنني سأحصل منه على معارف جديدة في الجراحة النسائية . وصدق حدسي فقد ثبت لي بوقت قصير أنه جراح قدير وأنه ذو مكنة عالية في الاعمال اليدوية داخل الجوفين البطني والحوضي . وبالرغم من ضخامة كفيه فقد كانت حركاته الجراحية تجتذب انتباهي باعجاب ، كما كانت له طريقة غريبة في عقد خطوط الجراحة ، وفي استعمال المقص في فك الالتصاقات فيما بين أعضاء الحوض . كما رأيته يفضل المقص المنحني على المقص المستقيم في هذه الاعمال . وسمعت ذات مرة يقول في تعريف الجراح النسائي ( هو الجراح الذي يقطع بمقص منحني جرحاً مستقيماً ) .



وبعد شرح لم يظل كثيراً عن علاقة هذا القسم بكلية الطب ، تحول الى الكلام عن نفسه فقال :

وصلت البارحة صباحاً بسيارات ( جيرى نيرن ) ولم أمهل نفسي لأرتاح بل أسرع الى الشارع العام ماشياً ، كما دخلت بعض أزفته ، وبهرني النظر الى مثذنة بحوضين . وهذا ما ليس له مثيل في سوريا أو لبنان ،

- ثم قال متسائلاً : ولكن ما الهدف من الحوضين وحوض واحد يكفي  
ليسمع الناس نداء المؤذن للصلاة ! وقلت له :
- سترى الكثير في بغداد ما ليس له خير في سوريا ولبنان • وسأني :
- ألا يوجد كتاب مصور عن بغداد باللغة الانكليزية ؟
- ولم ينتظر مني جواباً ، بل سأني فجأة :
- هل ثمة مانع ديني أو حكومي من تصوير ما أراه في بغداد ؟ وأين أجد  
بغداد القديمة ؟ ( واستطرد يقول ) أحسن أوقات التصوير هو قبل  
بزوغ الشمس حيث لم تكون بعد الظلال • فقلت له :
- سوف ترى الكثير عن بغداد القديمة •

والأستاذ كروكشانك هو الثالث الذي ترأس قسم الأمراض النسائية  
والتوليد بكلية الطب والمستشفى الملكي • وهو طويل القامة باعتدال، وعمره  
بنحو الخمسين سنة ، كندي الأصل ولكنه امريكية ، وقد تكون انطبعت فيه  
هذه اللهجة أثناء عمله جراحاً في الكلية الامريكية ببيروت على مدى خمس  
سنوات متتالية قبل أن تستقدمه الكلية الطبية الملكية ببغداد • وكان أول  
ما استرعى انتباهي إليه هو بعض تصرفاته الغريبة ، فقد كان يدخن السكاير  
التي يلفها بأصابعه ، لا بخلاّ أو اقتصاداً بل هواية أو رغبة في ممارسة  
العادات غير المألوفة • كما لم يكن يستعمل أعواد الثقاب لإيلاعها ، بل يتلذذ  
بوضع الفتيل على حجر الصوان ثم يضربها بزناد من الصلب ، فيقدح الشرار  
من بينهما فيشتعل الفتيل ليشتعل له السكارة ، وهذه هي الطريقة التي كان  
يستعملها الفلاحون في العراق الى وقت قريب • وكان أيضاً يحمل في جيب  
سرواله حفنة من المفاتيح يجمعها بشريط من الجلد يشده الى حزامه • وله  
أيضاً حركات غريبة في فحص المريضات ، فيضجعهن على جوانبهن لا على  
ظهورهن لهذه الغاية • ويلجأ بتركيز في استجواب المريضة عن تاريخ مرضها،  
وله تفسيرات غريبة في سبب الحمى الالتهابية ، وعسر الولادة • وفي أيامه

لم تكن مضادات الحياة الدوائية متوفرة فيستعمل الكنين عوضاً عنها ، كما لم يكن يستعمل الكحول على يده بعد غسائها عندما يستحضر نفسه للعمليات الجراحية ، ويكتفي بوضع يده في القفازات المطاطية المعقمة ، فاليد كما يقول : « لا يمكن تنظيفها إلا بشيئها على النار » .

وكان كروكشانك هاوياً لاقتناء التحفيات من ثياب وأحجار ومخطوطات وأواني قديمة ، وصارت بينه وبين تجار هذه البضائع صداقة غير متكافئة . كما كان يهوى التصوير الفوتوغرافي ، وله من أدوات هذا الفن ما كانت ضخمة وغالية الثمن ، ومختبر في بيته لطبع الافلام التي يسجل فيها ما فيه المتعة أو الأهمية الوثائقية . ومما له من هذه الاعمال صورة تمثال الملك فيصل الأول ، وقد التقطها بعد أن راقب سقوط نور الشمس عليه في أوقات مختلفة من النهار ، فوجد ان خير ساعة لتصوير ذلك التمثال هي قبيل ارتفاع الشمس عن أفق مطلعها ، حيث لا تكاد تكون لأجزاء التمثال ظلال تخفي محاسن دقائقه . وقد قال لي يوماً وهو يطنب في إعجابه بالتوافق الذي أجاده النحات بين نظرتي الملك فيصل والفرس التي يمتطيها :

— ينفذ الألم الى عظامي حين أرى أسلاك الكهرباء أو التلمون في طريق نظري الى الفن العالي في هذا التمثال الجميل .

واجتهد كروكشانك بطرائقه الخاصة فمحا ظلال تلك الاسلاك من صور التمثال حتى بدا طليقاً شامخاً من اسرها الذي يحيط به من كل جانب .

و ذات يوم ترجل الدكتور كروكشانك من سيارته وبصحبه عجري كان يجلس الى جانبه وهو يحمل ربابته ، وكان كروكشانك قد عثر على كنز في شخصية هذا العجري ، وأخرج من صندوق سيارته آلة تصوير ضخمة وحاملتها الثلاثية ، وأوقف العجري أمام جدار الردهة العاشرة ، وطلب منه أن يضرب على ربابه ويفني ما يشاء ، إذ هو وراء تسجيل التغيرات التي

تظهر على معالم وجهه بتأثير معاني غنائه وتأثره بها ، لا يسمع تلك الأنغام .  
وأخذ كروكشانك لهذا الفجري ما يقرب من عشر لقطات تصويرية ، وقد  
رأيت بعضها بعد أن أكمل طبعها وكأني أسمع منها غناء الفجري والحن ربابه  
المتناغمة معه .



كذلك كان كروكشانك ولوعاً بالتحدث عن الخيول ، فإذا ورد ذكرها  
طاب له أن يأخذ الكلام في وصفها ، وما في تركيبها من رشاقة وجمال ، وما في  
حركاتها خيباً أو حفراً من تناسق وموازنة . ولديه اضبارة ضخمة عن  
الخيول التي فازت بسباقات بيروت مؤشراً على كل واحدة منها باسمها  
وعمرها ونسبها ولونها . وهذه هي هوايته التي لا يستطيع الفكك منها ،  
حتى كان على منضدة مكتبته تمثال من البرنز لفرس نافرة تأبى أن تطأ  
حوافرها الأرض . وكروكشانك حين يتكلم عن الخيل فانه يصف العرية منها  
حصراً ، ويحب منها الخفيفة الشعر ، وذات الفرّة التي لا تنحدر الى خشتها ،  
ولا تتسع الى خديها . كما يفضل الفرس المحجلة بثلاث أرجل ، وذات العينين  
الوسيعتين ، والهامة العالية ، والاشداق الواسعة ، والاعناق الطويلة .  
واستغربت جداً حين قال لي : لا تلد الأفراس مهراً بلون أبيض ، بل تلده  
بالوان أخرى ثم يتبدل لونه الى الأبيض . وكان مصيباً في ذلك ، بينما كنت  
أنا لا أعرفه ومسقط رأسي في سامراء مشهورة بخيولها من كل الألوان  
والأنساب . كما كان كروكشانك يتردد على اسطبلات خيول السباق بجانب  
الكرخ ببغداد ويصادق بتودد أصحابها والسائمين انذين يهتمون بشؤونها ،  
ومن يستطيعها في محبة السباق .

وكان في جعبة كروكشانك على ما بدا لي كثير من الاسئلة قد يكون  
استحضرها قبل أن يصل ببغداد ، والأجوبة على أسئلته الكثيرة يطول ،  
فسألته لأبتر ميلها :

— أين تسكن الآن يا استاذ كروكشانك ؟  
فاجابني :

— لي معرّبه قديمة بالدكنور (بيتى) الباكريولست في كيتكم الطبية وقد  
اتفقت معه بالمكاتبه أن أشاركه الدار الي يسكنها ، وهي قريبه جداً  
من كلية الطب ، ولا يفصل بينهما إلا طريق غير وسيع .

ولفت كروكشانك نظري الى انه حتى الآن لم يسألني عن نطاق عملي  
في شعبة النسائيات والولادة ، وما سيكون عمله فيها ، وهي أسئلة كنت  
أتوقع أن تكون مضاع نعرفه بي وعلى الشعبه النسائية ، وفي خلال تحدّثه  
معي دخن أكثر من ثلاث سكاير حتى بدا لي انه ليس جاداً ولن يكون  
متفرغاً بفكره ووفته للتعليم في كلية الطب وبالمستشفى الملحق بها . وأخيراً  
نحوّل يسأل في حدود ما سيكون من واجبه في الدائرتين ، فسألني :

— هل تكثر الولادة العسرة في بغداد ؟  
فقلت له :

— انها ليست قليلة .

واستغربت حين قال لي بصراحة :

— ليس لي خبرة واسعة بهذا الموضوع . وكانت أكثر أعمالي في بيروت في  
الجراحة العامة ومن ضمنها عمليات حوض المرأة .

وحين وصلنا في حديثنا الى حالة سقوط يد الجنين في الاعتلان  
المستعرض سألني :

— هل تعالج ذلك بالعملية القيصرية ؟  
فأجبته :

— كلا بل بقطع رقبة الجنين .

وأردت أن أتباهى أمامه فقلت له :

— طوّرت عملية قطع رقبة الجنين لاحتمال انحباس رأسه بعد سحب

جسمه الى الخارج ، فصرت أبقى اليد التي لم تسقط الى الخارج  
متصلة بكتف الجنين ورأسه لتساعدني على سحب الرأس بعد  
استخلاص جسم الجنين من الرحم .

ورأيت كروكشانك يوسع عينيه لينصوّر خطوات العملية ، وقال :  
— لم أقرأ ذكراً لهذه العملية ، ويبدو لي انها مبتكرة ، وأريد أن أراك  
تعملها بحضوري .

ودأت يوم أجريت هذه العملية بحضوره ، غير انه لم يبد لي منحمساً  
لها فقال :

— انها تأخذ وقتاً أكثر مما تأخذ العملية التقليدية .

زوجة الاستاذ كروكشانك في بغداد

صباح يوم من شهر مايس سنة ١٩٤١ فان لي كروكشانك :

— ساعدني يا كمال ، فان ( مسز كروكشانك ) ستصل بغداد غداً صباحاً ،  
فأحجز لي ولها غرفتين في أحد الفنادق لمدة ثلاثة أيام .

وسألت نفسي ، ولماذا غرفتين وهما زوج وزوجته ؟ فسألته للتأكيد :

— غرفتين ؟

فأجابني ببساطة :

— نعم غرفتين .

فاتصلت بالصدیق ( أبي جلال ) صاحب فندق السندباد ليحجز غرفتين  
باسم كروكشانك ومسز كروكشانك . وفي صباح اليوم التالي حضر  
كروكشانك كعادته الى الردهة العاشرة ومعه زوجته مسز كروكشانك ،  
وهي في مثل عمره تقريباً غير انها أطول منه وأنحف عوداً ، وردية البشرة  
وعلى وجهها نمش قليل ، يكثر في جيدها وأعلى صدرها الذي يتدلى عليه

عقد من المرجان غير المشذب ، ويحيط بمعصمها سوار من الفضة يبدو عليه  
القدم . قالت لي :

— سمعت عنك كثيراً من وليم ( تقصد زوجها وليم كروكشانك ) ، وأنا  
مسرورة بلقائك . فقلت لها :

— شكراً ومرحباً بك في بغداد .

ثم قالت لي بلهفة :

— استدلني على معالم بغداد القديمة ، وأريد أيضاً أن أرى بابل إن أمكن ،  
وأريد شراء مزهرية من النحاس المطروق .

والتفتت الى زوجها كروكشانك تسأله : هل اشتريت الختم البابلي  
الذي طلبته منك ابنتك (أدث) ؟ فأجابها :

— اشتريت لها ختماً بابلياً ، إلا أنني أعتقد أنه مزيف ولكن باتقن .  
فقالت له :

— وأنا أريد واحداً أصلياً لا مصطنعاً .

فقال لها مازحاً :

— إذن لا بد من أن أسرق واحداً من المتحف العراقي !  
فردت عليه تقول :

— اسكت ، فأنت تنسى كل شيء إلا المزاح .

والتفتت نحوي وقالت :

— أريد أن أشتري فروة نسائية .

وسمعها كروكشانك فقال لها :

— اشتريت فروة من نوع جيد ، إلا انها رجالية .  
وسأله زوجته :

— ماذا تقصد بالرجالية ؟

فأجابها :

— حورية نزل الى المدين ،

وفي اليوم الذي اصطحبها الى سوق الصفاير ، فبدت على وجهها الدهشة والاعجاب حين ساهدت عدد الحاس ينتظون المحامل الحسية التي يصفون عليها صياح الحاس ويديفون بها بالاسدال التي يريدونها ، فقال :  
— يا إلهي ، كيف يصبون ضربات مضاربهم بالقوة نفسها والابعاد نفسها على صمحة الحاس !

وشرعت تسأل من حانوت الى حانوت في سوق الصفاير وهي سمعن طرها في اعصابهم بصع القدور ودمر الهووه ومبارب الماء ، ومنافص السدير وما اني دلت . وبعد نحو ساعة في هذا السوق دون أن تشتري شيئا منه ، فاب لي وعلى وجهها مزيد من الرعب في ان يقف فيه :  
— أخذت فكره جيده عن صاغة الادوات الحسية وما في هذا السوق منها ، وسوف اعود إليه لأشتري منه ما أريد افتائه .

وكنت أنا وكروكشانك ننظرها في اليوم التالي في الفندق لتناول الشاي ، وعاد من سوق الصفاير وهي تحمل بيدها مزهرية صغيرة من الحاس ، وبادرت زوجها تقول :

— وليم ، رأيت ما لم أكن أتخيل أنه يصنع بالمطارق اليدوية البدائية، وبأيدي لا تعتمد في عملها إلا على التجربة والقليد ، انه أمر رائع يا وليم ويجب أن تراه . وفي مساء اليوم نفسه اتصلت بي تلفونيا وأنا في بيتي :  
— كمال ، أنا أخطأت في اختيار المزهرية ، فهل نستطيع إبدالها بواحدة غيرها ؟ انها غير مستوية في طرف من حاشيتها ، فقلت لها :  
— نحاول مع البائع ولا أظنه سيمنع .

وفي بعد ظهر اليوم التالي كنت وإياها في حانوت من باع لها تلك المزهرية ، وصارت تفحص بدقة عددا من المزهريات مثيلات التي اشترتها منه ، فتكشف عيباً في كل واحدة منها وتقول :



— هذه لو كانت اعشق لك انت افصل ، وست لو كنت بلا هذا الاعوجاج  
نفضتها على النبي استرنيها ، وهذه لو ان الطرق فيها اعشق لكنت هي  
التي أريدها ، وهذه مفرنصاتها غير متساوية ••

وهذا ما كانت تقوله عن كل مزهريه موجوده في الحانوت • عسا  
بأن كل واحدة منها بدينار ونصف لآلتر • وبدا لي ان البائع قد فهم من  
مابغة ما كنت تقوله لي وهي تؤشر على الاماكن التي يعيب — بدا انه  
عرف ما كنت تقصده ، فقال بها بالعربية :

— خانون ، يرحم أبك ، هذه من صنع ابيد لا من عمل ماكنه ، وهذه هي  
قيمتها الفضية •

فترجست ما قاله البائع لمسز كروكشانك ، فادا هي نطبت مي أن أآل  
البائع : هل يمكن أن يعمل لي واحدة بحضوري ؟  
فقلت لها :

— وما الفرق بين مسز كروكشانك ؟ فان جميع هذه المزهريات من صنع يده •  
فقلت لي :

— أريد أن أرى مزهريتي وهي صميحة من النحاس وأتابع ضرب المنارق  
عليها خطوة خطوة حتى ينتهي العمل منها ونصير المزهرية التي تزين  
صالون بيتي •

ونقلت ذلك الى صاحب الحانوت فقال لي :

— عمي هذه لخانون مرهية على زمانها ، والمزهرية بدينار ونصف • ومدة  
صاحب الحانوت يده وأخذ من يدها المزهرية التي سبق أن باعها اليها ،  
ودخل حانوته وأخرج من درج تحت منصده صغيرة ديناراً ونصف  
وقدمها لمسز كروكشانك وهو يقول :

— هذه فلوسك ، وهذه مزهريتي تعود إليّ والله يرحم أبك •

ورأيت ان صاحب الحانوت محق في نصرته مع مسز كروكشانك ،

فاعتذرت منه غير انه أصر على استعادة مزهرته • وفهمت مزر كروكشانك الموقف وغادرت الحانوت وكان لم يحدث شيء الى حانوت ثانٍ وحانوت ثالث فلم تقف على مزهرية ترضيها ، فقالت لي :

— المزهرية الاولى التي أعدتها الى البائع الاول هي احسن ما رأيت الى الآن في هذا السوق ••

وغادرت سوق الصفاير ولم نشر شيئاً منه •

### فرز كشانك والسيد شيبان

دخل ذات يوم غرفة الأستاذ كروكشانك رجل في عمر الثلاثين أو أكثر قليلاً ، وكان بيده سوط محبوك من الجلد بمقبض أسود أبنوسي الشكل والوزن ، ويرندي سروالاً كالذي يلبسه فرسان سباق الخيل ، وهو ككل (جوكي) صغير الحجم وقصير القامة ، ثم رأته مرة أخرى وبصحبه سيدة ذات وجه مستدير بض ، وعيين واسعتين ، ثم رأيتها بعد نحو ثلاثة أو أربعة أشهر في غرفة الأستاذ كروكشانك وبطنها منتفحة بالجبل • وعرفت من كروكشانك أن هذا الرجل كان من الجوكية المشهورين في حلبة السباق ببيروت ، وهناك كانت أول معرفته بهذا الرجل ، وهو لبناني واسمه (شيبان) • وقد كبت به فرسه ذات يوم وهو على ظهرها في ميدان السباق ، فدهسته الجياد التي وراء فرسه وحطمت بعضاً من أضلاعه وعظم فخذه الأيمن ، فلم يعد صالحاً لركوب الخيل والتسابق على ظهورها •

وكان كروكشانك يهوى مشاهدة الخيول وعلى ظهورها الفرسان ، وكان الفارس والحصان (كما يقول) كتلة واحدة تحملها الأرض بذلة ، وتخضع لضربات حوافرها باستكانة • وتوثقت بين شيبان وكروكشانك صداقة وتكررت مقابلاتهما يتحدثان فيها عن الخيول العربية وصفاتها الحميدة • وكان لكروكشانك بنت في منتصف عقدها الثاني لا يذكر اسمها

، وبشي عليها كستطلعة لتعلم الفروسيه على ظهر جواد اشراه لها أبوها  
كروكشانت ليدربها صديقه شيان على ركوب هذا الجواد . ودل لي  
كروكشانت يوماً انه ينوي أن يجعل منها (جوكيه) ليكون أول فسه سارس  
هذه المهنة في لبنان وربما في العالم كله .

وحان يوم أنه تضع روجه شيان وليده ، فأدخلها كروكشانت دار  
اتريض الخصى بالمستشفى الملكي ، وفحصها فذا جنيتها معلى بالمفعدة أو  
كما نسميه العامة (مرجل) ، وهو اعلان لا يحلو من خطورة عند اندماع  
الجنين من انسلك الولادي . فربط كروكشانت قريباً من غرهب باصبر  
اضدار الجنين ليقوم بمهته في تخليص رأسه من مخرج الحوض . وحان  
الوقت ليعمل ذلك ، وحاول بكل ما عنده من علم ونجربة غير انه أخفق في  
انقاذ (ابن) صديقه الحميم ، ومعلم ابته الفروسيه شيان . كان يتمنى من  
صميم قلبه أن يعطي شيان ولداً حياً ، فأعطاه ولداً ميتاً .

ورأيت كروكشانت يلقي نظره كثيية على ذلك الوليد وهو مسجى بلا  
حياة على طاولة جانبية . ونقطب جبينه ونهدلت شفته ، وتهاوى على مقعد  
صغير الى جانب طاولة الوليد الميت . ولا بد انه كان آتذ يفكر بجسامة  
النتيجة المفجعة ، حين يصل خبرها الى صديقه شيان ، وما عساه أن يقول له  
إذا تقابلا بعد دقائق . ودخلت الغرفة القبية (خاون) بينما كن كروكشانت  
يطوي ظهره ويسند رأسه على راحتي يديه ، ومرفقيه على ركبتى رجلبيه ،  
فأدركت ما به من هم ومن خوف حين يعرف زوج المريضة شيان النتيجة  
الأليمة ، فأسرّت القابلة خاتون في أذه أنه يفادر غرفة الولادة من بابها  
الخلفي ، وفهم كروكشانت غرضها من ذلك فأطعها بامتثال ودكّة . وحينذاك  
تناهى إلينا ونحن في الغرفة صياح شيان يتعالى بالسب والشتم حين فوجئ  
بوفاته ابنه الذي كان عقد عليه الآمال بعد طول عزوبة ، وزوجته بعمر  
تجاوز سني الشباب ، وسمته يزرق :

— يا لكذب كروكشانك ، انه قاتل ، ولا بد ان اقلته •

وكان كروكشانك قد خرج هارباً عن طريق باب الغرفة الحلمي، واختفى عن المستشفى طيلة ذلك اليوم واليومين التاليين • وفي اليوم الثاني بعد اولاده اصبحت حراره زوجه شيان ، فجئ شيان وعاد يسب ويشتم كروكشانك وكان مصابه بوفه ابيه قد وقع نوا لا قبل يومين ، وصمم على اخراج زوجته من المستشفى ، وعبتا حاولت افعاه لابقائها يوماً آخر لتعرف سبب الحمى ونزاع صورها • وفاجاني بعد ساعه يقون انه قرر ابقاءها حتى صباح غد • وفي صباح يوم غد ادركت بعد ان اخرج زوجته قبل بدء الدوام الحكومي ، سبب ابقائها في المستشفى هذه الليلة ، فقد سهرها والمرضى والمرضات ليام ، في كذبة كل ما هو بديء وفيصبح في وصف صديقه كروكشانك ، كبت على جدران غرفة روجه ، وجدران كريدورات الردهة، وعلى مصوح الصولات ، واغصيه المصاييح ، وستائر النوافذ ، وأبواب الخزانات ، وحتى على بلاطة الغرفة • كتب كل ذلك بالدهان الذي لا يحوه الماء والصابون ••

— ( الموت لكروكشانك المجرم ، الموبوء ، والنصيحة لكل امرأة أن لا تعتمد على هذا الدجّال ، فانه لا يعرف من الطب إلا ما يقلل المرضى ) •

كان حادث ولادة زوجه شيان دفعني الى أن أستذكر حق أستاذي كندي وحيقاري حين يعالجون ولادة الجنين بالمفعدة ، فاذا (التوليد) فن وتجربة وموهبه ، وجميعها متوفرة في الأستاذين كندي وحيقاري • أما كروكشانك فهو جراح مقتدر ولكنه مولد رديء • فهو لم يمارس هذا الاختصاص في بروت بل مارسه متطفلاً حين ترأس وحدة الولادة والتوليد بالمستشفى الملكي ببغداد ، فكان من أمثلة أعماله الخائبة ما حدث لزوجة شيان •

## أم تخنق ابنتها حتى الموت / ١٩٤٠

طلبني تلفونياً في باكر صباح يوم من شهر كانون الاول سنة ١٩٤٠ السيد (م) وكان هذا يوماً ما حاكماً بمرتبة عالية في دوائر وزارة العدلية العراقية ، وهو كردي من عائلة مشهورة بشمال العراق ، قال لي يا ضراب :  
- حضر الى بيتنا حالاً ، أرجوك !

وقطع المخابرة دون أن يقول أكثر من ذلك ، وبقيت أنا في حيرة لأعرف ما دعا السيد (م) الى هذه المكالمة المبهمة . وكنت أعرف مكان بيته في محلة العواضية ، وقد دخلته أكثر من مرة بدعوة من أخ زوجة الحاكم (م) صديقي الدكتور (٠٠٠) فتوجهت حالاً الى بيته فوجدته ينتظرنني على عتبة داره بحالة قلق ، وبادرني يعتذر عن ازعاجه لي بهذا الاستدعاء المبكر في الصباح ، وتقدمني الى غرفة جانبية في (هول) بيته ، وحين دخناها كانت عبقة برائحة حادة خائفة ، فأشرت الى ذلك باستغراب واستعلام ، فأجابني بـ :  
- أعرف ذلك !

ثم قال لي وهو يشير الى امرأة كبيرة العمر تستلقي على ظهرها بـ :  
- هذه أم زوجتي .

ولم تكن ثمة حاجة أن يعرفني بها ، فأنا أعرف انها أم صديقي الدكتور (٠٠٠) ثم حوّل اشارته الى فتاة في منتصف عقدها الثاني ، وقال :

- وهذه ابنتها في حالة تسمم بغاز الفحم ، وأما أيضاً بحالة تسمم . فطلبت منه اخراج الأم من الغرفة حالاً . وتقدمت من الفتاة لتلبس نبض رفسها فوجدتها بلا قلب ينبض . وتأكدت بالمحص المتكرر فاذا هي جثة بلا حياة . وأمسكني السيد (م) من عصدي وودني الى غرفة عند مدخل بيته ، وسدّ بابها وراءنا ، ثم قال لي :

— دكتور ، سأكون صريحاً معك ، وأنت صديق الدئنة ، فأنا أعتقد أن  
الأم هي التي قتلت ابنتي بغاز الفحم . وما أنجزت ما قررت أن تفعله  
بإبنتها ، حاولت خنق نفسها بالطريقة نفسها .

فوجئت بهذا التصريح الخطير ، فلماذا تقتل الأم ابنتها ؟  
— إن هذا الموضوع يصعب عليّ شرحه ، فديّر لي شهادة وفاة الفتاة ،  
أرجوك !

فقلت لنفسي : إن في الأمر جريمة . وإن السيد (م) لا بد يعرف ذلك ،  
فأخذت حذري وأنا أجهل قدر اشتراكي بها إذا كنت خبرها عن السلطات  
الحكومية ، فقلت له :

— يا أستاذ (م) أنت أعلم مني بالقانون ، وتعرف أن شهادة الوفاة من  
اختصاص الأطباء الممارسين ، وأنا لست ممارساً بعد .  
فسألني :

— ألا تكنب وصفات إلى مرضاك ؟ حسب هذه الشهادة كالوصفات التي  
تعطيها للمرضى ؟

ورأيت منطق لسيد (م) مردوداً ، ففسرته بسبب اضطرابه في أمر أخت  
زوجته الذي يملأ في نظره فضاء البيت كله . فقلت له :

— غير مسحوح لي بكتابة وصفة طبية ، إذ أنني طبيب مقيم ووصفاتي  
لا تصرف إلا في صيدلية المستشفى الملكي .

ورأيت السيد (م) يتعد بفكره عني ، ثم التفت نحوي وقد كمن  
يسأل نفسه :

— كيف أدير الأمر ، يا إلهي ؟

وودعته وانصرفت إلى المستشفى ، وأنا أفكر بما رأيت . وبعد نحو  
عشرين سنة ، كنت يوماً مع صديقي الدكتور (ن) ، فشكى لي وهو مخمور  
من أخيه (آ) ، وذكر لي دون تردد حكاية الفتاة التي قتلها أمها بغاز الفحم ،

قال والنقمة تتفجر من فمه على أخيه :

— انه مجرم بالخلقة ، ولا يتورع من أن يعتدي على أعراض الناس حتى لو كانوا من جيرانه ، ويقبونه صباحاً ومساءً ، ويا ما حذرتك من التنصص على فتيات الجيران ، غير انه لم ينصت الى نصائحى فكان من ذلك ما حدث لجارتنا تلك الفتاة التعيسة •

وحينذاك عرفت كل شيء عن وفاة أخت صديقي الدكتور (٠٠٠) بغاز

الفحم •

### مشروع زواج لم يتم / ١٩٤٠

أيقظتني في الصباح الباكر ضربات على باب حجرتي بالردهة العاشرة بطريقة لم ألقها من إحدى مرضات الردهة ، أو من الفراش الذي يخدمني في هذه الحجرة ، فاستيقظت لأرى الطارق ، وانحدرت عن سريري لأفتح باب حجرتي وفي عيني وسن ، كما كنت متعباً من أعمالي في تلك الليلة ، وفتحت الباب قبل أن أرتدي كامل ملابسي فكانت المفاجأة التي اضطرتني أن أظاهر بالسرور للملئى هذا الطارق ، فقد كان الدكتور (ق) وهو أحد أساتذتي الذي يوليني اهتماماً خاصاً بتعليمي وتوجيهي ••

— صباح الخير يا كمال •

— صباح الخير يا أستاذي ، والمعذرة فقد كنت متعباً فلم أحبك سريعاً •

— كمال ، عندي مريضة يهني أمرها ، وهي الآن في الغرفة الجانبية بالردهة العاشرة ، فأرجو أن يكون اهتمامك بها خاصاً •

— أمرك يا أستاذي •

— أنتظر في حجرة المريضة ، ولا عجلة في ارتداء ملابسك •

وخطر ببالي سؤال : إذا كانت المريضة بحالة مستعجلة اضطرت أستاذي

أن يجيء بنفسه الى مخدعي ، فلماذا قل لي لا عجلة في ارتداء ملابسي ؟

المريضة تجاوزت العقد الرابع من عمرها ، أحست بالأم مفاجيء بينما

كنت تغف في نومها قبل أربع ساعات ، وكانت حين دخلت الى غرفتها في  
الردهة العاشرة تضجع منبسطة على ظهرها ، وتجلس على كرسي الى جانب  
رأسها فتاة في عز شبابها . ذات وجه صبور وملامح حبيبة ، وعينين سوداوين  
ونظرات ساخنة متواضعة ، وشفنين رطبتين فيهما تهيؤ الى الابتسام بأدب .  
وجسم لا متلئ ، ولا نحيل ، وبسطة وذوق في لباسها المحتشم . وسألتني  
هذه الفتاة :

— دكتور ، أخرج من الغرفة ؟

وحتى لو كان ما يستوجب خروجها من الغرفة لما استطعت أن أطلب  
منها ذلك ، فقد غلبتني على أمري من أول نظرة ، فقلت لها :

— لا ، ابق في مكانك ، أهى أمك ؟

فأجابتنى بما يشبه الفخر :

— نعم ، هي أمي .

ولم أجد صعوبة في تشخيص مرضها ، كانت مصابة بورم مبيضي  
ملتو ، عرفته دون حاجة الى فحوص كثيرة . وشرحت الأمر لأستاذي  
الذي كان ينتظر خارج الغرفة ، ونادى بدوره على ابنتها لتسمع قرارى ،  
وكان العلاج الجراحي مفهوماً بالنسبة لأستاذي ، أما ابنتها فألتنى :

— والعلاج يا دكتور ؟

— عملية مستعجلة .

— خطرة ؟

— بسيطة باذن الله .

وحملت المريضة على نقالة الى صالة العمليات . ولم يكن لي الى ذلك  
اليوم تجربة واسعة في مثل هذه العملية ، غير أني قد شاهدت كثيراً مثلها  
وساعدت أستاذي كروكشانك في عدد غير قليل منها . وكروكشانك يومئذ



خارج القطر في عطلة السيرة ، وهي عملية بسيطة .

لقد كان ذلك اليوم بالنسبة لي حافلاً ، فأستاذي (ن) يأتي بنفسه الى محلي ليطلب مني معالجة مريضة تقربه ( على ما قال لي ) ، وابنة المريضة قد هزت مشاعري حتى أعاقها لأقوم بخدمة لأمها ، ثم انجاز عملية ( فتح بطن ) لم أكن قد مارست مثيلة لها قبلاً . والذي أعذرني لأتقصد هذه المسؤولية غياب أستاذي كروكشانك عن القطر . لقد كنت في ذلك اليوم كأنني أمرٌ بامتحان عسير لا بد أن أجتازه بنجاح لأكون شيئاً ما يجلب انتباه تلك الفتاة إلي . وحين أتممت العملية خرجت من الصالة بزهو ازداد فجأة حين رأيت ابنة المريضة تقف عند مدخل الصالة وهي تسند رأسها على اطار بابها الخشبي ، ودموع تنحدر بصمت على خديها . وكالعادة حين يخرج الجراح من صالة العمليات يسأله أهل المريض بلهفة وقلق :

— دكتور ، العملية ناجحة ؟

وسألتني هذه الفتاة القلقة :

— كيف أمي يا دكتور ؟

وعددت سؤالها مديحاً لي ، فقلت لها بما يقابل ذلك :

— جيدة ، والعملية نجحة باذن الله .

وصرت بعد ذلك أزور المريضة مرة أو مرتين في اليوم ، فأرى ابنتها تجلس على كرسي قرب رأسها وهي تمرّ براحة يدها على جبهتها بحب وعطف ، وصرت بعد ذلك أتهز الفرص لأكلهما وأنا أتمنى لو أنها تكثر من طلبتها مني أياً كان نوعها .

شغلت بالي هذه الفتاة ، أنا أكبرها قراءة عشر سنوات ، ولا أعرف شيئاً عن نسبها وثقافتها غير أنني أعتقد أن الخلق لا بد أن يكون موازياً للخلقة في كثير من الامثال ، وتصرفاتها تدل على نبل منبتها ، وصمت أن أطلبها للزواج ، دون أن يخطر على بالي احتمال رفضها أو رفض أهلها

لطلبي ، بل رأيت أن احتمال القبول ليس أكثر من احتمال اتسائي السي عائلتها نسباً . كما صرت أخجل حين أقارن جمالها بشكلي وهيئتي ، كذلك تناسيت أنني في أول طريقي الطويل في الحياة ولم أكوّن بعد لنفسي مركزاً في ميدان مهنتي . كل هذه الأفكار خطرت بياالي حين حكمت مع نفسي أن هذه الفتاة كفؤ لتكون زوجة صالحة لبيت سعيد . غير أن مخططات الأقدار غير ما تقررته الأفكار ، فقد علمت بعد بضعة أيام أن أستاذي (ق) قد سبقني إلى طلب يدها من أهلها ، فاعتذرت أمها عن قبوله نسبياً بسبب التارق بين عمره وعمر ابنتها ، فارتحت لهذا الخبر وقررت حالاً زيارة أمها في بيتها ومكاشفتها بطموحي لخطبة ابنتها ، فاذا القدر أسرع مني وأمضى عزمي ، فقد أجابني أمها الوقور أن ابنتها خطبت قبل يومين وتم القبول وقرئت الفاتحة . وغادرت دارها وأنا أظاهر بروح رياضية ، والزواج قصة ونصيب ..

### بين الدكتور سندرسن والاميرة راجحة

كنت أعنى بسمو الأميرة راجحة بنت الملك فيصل الأول أثناء حملها الأول من زوجها عبدالجبار محمود ، وهو من طياري القوة الجوية العراقية ، وذو وسامة رجولية وخلق دمث ، وقد أحيل على التقاعد بطلب منه بعد أيام قليلة من زواجه من الأميرة . وصرت أزور الأميرة في بيتها في الشهر مرة وعلى نحو منتظم ، وأستجيب لميادتها إذا وصلني طلب منها في أي وقت . وكانت تسكن في بيت مأجور متواضع في منطقة الكرادة داخل قريب جداً من بيت الفنان شوكت الرسام . ومرت شهور حملها دون شكوى مهمة إلا زيادة في وزنها ومن الأرق ، وحتى هذه كانت طفيفة لم تضطرنني إلى علاجها إلا بتنظيم غذائها كما ونوعاً . كما كانت الأميرة راجحة متفهمة وصبورة ولا تطلبني لزيارتها إلا لسبب وفي مساء يوم عشرين من شهر حزيران سنة ١٩٤٠ حان وقت وضعها ، وكان ذلك اليوم قريباً جداً من اليوم الذي

حدده لولادة جينها فوصلني نداء تلفوني من زوجها السيد عبدالجبار دارورها ، واحقق من سيعه شكواها . وحين دخلت محدد الاميره كنت الى جانبها الأميرة صالحه أحت المثل فيصل الاور ، وسيدة أخرى هي أخت زوجها عبدالجبار ، وانشفت بعد فحص الأميرة اها في حالة محاض صاوق . وفحصت موضع الجبين في رحتها فاذا هو يتقدم برأسه في الحوص لا برجليه ، وهو الاعلان الطبيعي الذي كنت أدبته في الشهرين الاخيرين من الحمل . فطمئت الأميرة على طبيعه حالها وحاله جينها . وذن زوجها السيد عبدالجبار يقف الى جانبها ويسمع ما ذكره للأميره . وسرعان ما اشتدت آلام الطلق ، وانحسر راس الجبين في مدخل الحوص . غير انه لم يتقدم الى داخله بسرعة محسوسة . وسالني سيد عبدالجبار : كم يطول هذا الحال لتضع الأميرة وليدها ؟ فأجبه قد يطول ساعات . وهذا غير مهم طالما كل شيء طبيعي في هذه الولادة ، ففان معترضا : ولكن الأميرة تتألم ولو ان ذلك لا تظهر علائمه عليها . فهي هكذا دوما صبورته وكتومة . فقلت له ان آلام الطلق الولادي ضرورية لانحدار الجنين وولاده ، ولولاه لما حصلت الولادة . وأضفت اقول : وأنا باقم هنا لأرى متى يحين ضرورة تدخلي لراحتها وسلامتها ، وان القابلة التي الى جانبها كموءة لتهتم بأمرها . وقد أخبرتها متى تطبني لاعادة فحصها . واقتنع السيد عبدالجبار ، وبدا عليه شيء من الاطمئنان . وتوجه معاً الى حديقته بيته لنجلس على أرجوحة في أحد أركانها غير ان الفلق ما زال يهوف على وجهه بالرغم من ظاهر هدوئه وقلة تحدثه إلي . ورفقه عن حاطرته وأراد أن يتكلم ، فسألني إن كان يستطيع أن يرى الأميرة فأجبه : لا مانع أن يفي لي جانبها حتى يحين الوقت الذي يسبب اندفاع الجنين . فنهض ودخل داره ولم يطل فيه حتى عاد وهو يحمل بيده سبتاً مليئاً بالفواكه ، ولم يمكث طويلاً الى جانبي على الأرجوحة حتى نهض ودخل الدار مرة أخرى ثم عاد وهو يحمل طبقاً من الحلوى . وأنا أعرف معنى ما يعمل فقلت له : إهدأ يا سيد عبدالجبار فليس

في حله الأميرة ما يفتق • وظالت الآلام الأميرة وروجها الى جانبها • وكنت وحدي في الأرجوحة فعلمني النعاس فنتت نوما متقطعا وأما اسمع في خلال ذلك حين أنصت بتركيز الى ما يجري داخل البيت ، إلا أن ذلك لم يزع عن عيني الوسن وصرت بين اليقظ والنائم حين وخزنتني بأصراف انامها العائبة وهي نفوس لي : أعتمد ان فحس الأميرة قد وجب الان • إذ قد مضى وقت كاف دون ان يتقدم رأس الجنين في الحوض ، كما بدا اسحب على الأميرة • فنهضت من مكاني أبع العائبة الى محدد الأميرة • وبعد فحصها اربأت أن أسحب الجنين بالملقط الولادي لاوفر للأميرة إطالة الآلام المخاض • وكنت الى هذه السه أمارس التوليد بالملقط في بيوت المواحص على طريقة أستاذي الدكتور حيقاري دون استعمال التخدير بدعوى ان آلام الطلق أشد من آلام تطبيق عمليه الملقط • فضلا عن عدم توفر من يعمل بالتخدير من الأطباء في تلك الايام • وتطبيق هذه العمليه في غير المستشفى لا يخلو من الادى وقد لا يخلو من الخطورة أيضا ، غير أنها كنت تمارس بهذه الكيفية بطلب ملح من أهلها ليتحاشوا حملها الى المستشفى الذي لم يلبسوا منافعه بعد ، وفي حالة الأميرة راجحه كان لزاما عليّ أن أطلب طبيباً مخدراً ، كما يتعين عليّ أن أخبر الدكتور سندرسن بوصفه طبيب العائلة الهاشمية في بغداد عن قراري بتوليد الأميرة بالملقط • ورأيت ان أخبر الأميرة أولاً بهذا القرار ، ولما قلت لها إنني سأطلب الدكتور سندرسن ليشارك في هذه المسؤولية ، قالت لي بامتناع « إبعد عني هذا الرجل يا دكتور فاني لا أريد أن أراه » فقلت لها إذن سأكتفي بإخباره ، فقالت « ولا أرجو ذلك أيضاً وأنا أقرر مصيري بنفسى ، وعمتي الأميرة صالحة وزوجى يشهدان على ذلك » وحاولت تلفونيا أن أحصل على طبيب محدر فأخفقت فلم يكن يومها ثمة اختصاص في التخدير ، فكل طبيب يستطيع أن ينهض بعملية التخدير وبالطريقة البدائية التي كنا نمارسها برش مزيج من الكلوروفورم والإيشر

على قناع يغطي أنف المريض وفمه ، فشرحت ذلك للأميرة وضرورة استدعاء  
الدكتور سندرسن اضطراراً فأجازتني على مضض لاستدعائه ليقوم بعملية  
التخدير . وحين استدعيت الدكتور سندرسن تلفونا كاتب الساعة ود  
اقتربت من الخامسة صباحاً ، ونقلت إليه فراري في تطبيق الملقط ، ولما سألني :  
وما حاجتك بي ؟ وكفايه انك احبرتني بذلك ، والامر من اختصاصك ،  
فقلت له : ولكنني أحتاج الى من يحذر الأميرة ، وسمعت الدكتور سندرسن  
يقول لي : سأوجه إليك حالاً وسأمر في طريقي الى صاله العمليات في  
المستشفى الملكي لأخذ منها قنينة المخدر وفناعه ، وسأقوم انا بتخدير الأميرة  
واستدركت أقول له أن يآسي أيضا بدوات الملفظ الولادي ، ووصل  
سندرسن بيت الأميرة بسرعة لم اتوقعها ، وهو بكامل لباسه وكأه ذاهب  
الى حفلة ساهرة أو عائداً منها وحيا الأميرة راجحة فردب عليه بنحية تحلو  
من الصميمية والحرارة . وتجاهل سندرسن موقفها ونشأغل عنها بخلع  
سترته . وشرع برش المخدر على القناع الذي غطى به أنف الأميرة . وهذا  
المخدر قوي الرائحة خائق فقاومته الأميرة بقوة خارقة من يديها ، وحاولت  
أن تنهض فاعداها الى فراشها . وحاول سندرسن بمعسول الكلام أن  
يقنعها بأن تستلقي هادئة وتستشق المخدر باريح وهدوء . وقال لها :  
« كوني فتاة طيبة واسترخي » فما سمعت الأميرة هذه العبارة حتى أمسكت  
قناع المخدر وفذفته في وجه سندرسن فاستغرب من حركتها المفاجئة وهي  
على وشك أن تغط في نومها تحت تأثير المخدر ، وزارت كاللبوة الجريحة  
تخاطب دكتور سندرسن بلفه خليط من العربي والانكليزية « كن مؤدبا يا  
رجل وخاطبني بلقب الأميرة ولا تنسى اني بنت الملك فيصل الاول ولست  
أي بنت أخرى فأنا أفضل الموت على ان لا تخاطبني بكامل اسمي ولقبني » .  
وبهت سحنة الدكتور سندرسن وتهدل حكه فأسرع الى الاعتذار منها غير  
أنها بقيت حائرة مخيفة فرأيت أن أشرح للأميرة ما فاله الدكتور سندرسن

وان عبارته مألوفة عند ملئته الانكليزية ولا يقصد منها الالهانة بأي حال .  
فردت الأميرة تقول « بل هي الالهانة بالنسبة لي واية اهانة » وعاد الدكتور  
سندرسن يعتذر منها وهو يعلم ان من سلوك المهنة أن يحتمل الطبيب شتية  
المريض ، فكيف إذا جاءت الشنيعة من هذه الأميرة ، وعاد بتوجس فوضع  
المخدر على القناع حتى نامت الأميرة وأتمت عملية تطبيق الملقط الولادي  
بسلام وكان الموليد بنتاً سُميت حزيمة .

٩٢٦/١

ص ٢٨٤ السامرائي ، كمال

حديث الثمانين سيرة وذكريات/

كمال السامرائي ، بغداد : دار الشؤون

الثقافية العامة ، ١٩٩٤ .

ج ١ ( ٣١٠ ص ) ، ٢٤ سم .

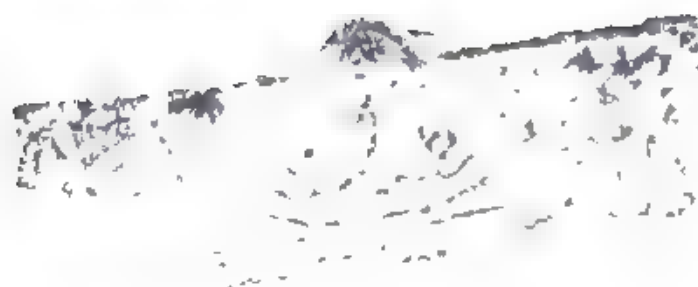
السامرائي ، كمال (طبيب)

م . و . آ . العنوان

٩٩٤/٣٥٠

المكتبة الوطنية ( الفهرسة أثناء النشر )

رقم الابداع في دار الكتب والوثائق ببغداد ٣٥٠ لسنة ١٩٩٤



طبع بمطابع دار الشؤون الثقافية العامة

بغداد — ١٩٩٤م





طباعة ونشر

دار الشؤون الثقافية العامة

حقوق الطبع محفوظة

تحتون جميع المراسلات

باسم السيد رئيس مجلس الإدارة

العنوان :

العراق - بغداد - اعظمية

ص.ب. ٤٠٣٢ - تلکس ٢١٤١٣ - هاتف ٤٤٣٦٠٤٤

Twitter: @sarmed74

المهندس سرمد حاتم شكر السامرائي - Sarmed

Telegram: [https://t.me/Tihama\\_books](https://t.me/Tihama_books)

قناتنا على التليجرام: كتب التراث العربي والاسلامي

٢٠٢٠ شربل حاتم شكر

أستعرت الكتاب من مكتبة المهندس  
محز الدين بكر الراوي رحمه الله إلى

وزارة الثقافة والإعلام

دار الشؤون الثقافية العامة



الغلاف : ابراهيم عبد الرزاق

بغداد - ١٩٩٤

طبع في مطبع دار الشؤون الثقافية العامة

## فهرس موجز للجزء الأول

الصفحة	المقالة
5	مقدمة لا بُدَّ من قراءتها
8	القسم الأول : سامراء القديمة والحديثة وأسرّي ودراسيّ الأولى فيها
12	مدينة سامراء
15	الحضرة العسكرية
17	أهالي سامراء
18	النساء في سامراء
51	مرض أبي 1929
67	الامتحان النهائي في بغداد 1926
73	القسم الثاني : في المدرسة المتوسطة بالحلة
94	القسم الثالث : في الثانية المركزية ببغداد
120	القسم الرابع : الدخول الى كلية الطب ببغداد 1932
128	أول يوم في كلية الطب
132	أول محاضرة للأستاذ سندرسن
143	صديقي في السنة الأولى بكلية الطب
144	في خان محمد طيب ببغداد 1932
154	الملك فيصل الاول في قاعة التشريح
157	أول فتاة تدخل كلية الطب
179	في سامراء سنة 1935
189	في قاعة التشريح بالطب العدلي 1935
191	جغرافية المستشفى الملكي
192	في ضائقة مالية 1935
194	عجيل الياور وابنه صفوك 1935
198	حالة مرضية غريبة 1936
199	في محنة العيواضية

201	الاستاذ ابراهيم في الكادر التعليمي
208	الامتحانات النهائية بكلية الطب 1938
211	حفلة التخرج 1938
213	حفلة التخرج الخصوصية 1938
218	طبيب في التدريب بالمستشفى الملكي 1938
242	مقيم في الوحدة النسائية 1938
248	واجباتي في ردهة الولادة
252	أول عملية توليد بالملقط واول عملية قيصرية 1938
258	أول محاضرة سريرية في الأمراض النسائية 1939
260	تطور نقل الدم 1939
263	اعارة الكتب 1939
265	من أحداث ايام الإقامة
277	مصرع الملك غازي 1939
281	حالة مرضية غريبة واعتداء على طالب في كلية الطب 1939
285	الاستاذ ماهاني 1939
286	أول أجر أحصل عليه من ممارسة الطب 1939
288	الاستاذ كروكشناك 1939
306	بين الدكتور سندرسن والاميرة راجحة 1940

تنويه: هذا الفهرس الموجز ليس من أصل الكتاب ؛ وإنما أعدده تسهيلاً للوصول الى رؤوس المواضيع . م. سرمد حاتم شكر السامرائي